
محاكم التفتيش والموريسكيون
المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة
تأليف :
مرثيديس غارثيا - أرينال
محاضر
محكمة
كوينكا
ترجمة: خالد عباس
مراجعة و تقديم
جمال عبد الرحمن
657

المشروع القومى للترجمة

محاكم التفتيش والموريسكيّون

محاضر محكمة كوينكا

تـألـيـــف : مرثيديس غارثيا أرينال

ترجـــمـــة : خالد عباس

مراجعة وتقديم : جمال عبد الرحمن



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٦٥٧
- محاكم التفتيش والموريسكيون (محاضر محكمة كوينكا)
- مرثيديس غارثيا - أرينال
- خالد عباس
- جمال عبد الرحمن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة كتاب :

Inquisición Y Moriscos

Procesos del Tribund de Cuenca

Por

MERCEDES GARCÍA - ARENAL

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت. ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

الفهرس

مقدمة المراجع

هذا هو الكتاب الثانى للزميلة الدكتورة مرثيديس غارثيا أرينال الذى يترجم إلى لغتنا العربية. كان الكتاب الأول بعنوان " الموريسكيون الأندلسيون " وقد نشر فى إطار المشروع القومى للترجمة الذى يصدر عن المجلس الأعلى للثقافة وهو عبارة عن مجموعة من الوثائق لا يستغنى عنها من يريد التعرف على جوانب المحنة التى تعرض لها مسلمو الأندلس بعد سقوط دولة الإسلام فى غرناطة.

عنوان الكتاب الذى نقدم له يدعونا إلى الحديث عن موضوعين: محكمة التفتيش والتعريف بها ، ثم الموريسكيين وظروف حياتهم.

١- محاكم التفتيش

تختلف محكمة التفتيش عن المحاكم العادية من عدة أوجه، فهى تختص بنوع محدد من "الجرائم" وهى الأفعال التى تراها المحكمة نوعًا من الإلحاد ، ثم إن المحكمة تتولى النظر فى " الجرائم" التى يرتكبها أصحاب ديانة معينة : المسيحيون ، حتى لو كان اعتناقهم للمسيحية وليد إكراه. على أن الفرق الأكبر بين محكمة التفتيش والمحاكم العادية يمكن أن ندركه من اسم المحكمة نفسه: هى محكمة التفتيش والبحث عن ملحدين، أى أنها لاتنتظر حتى يتقدم إليها أحد بشكوى، بل تتحرك من تلقاء نفسها بحثًا عن قضايا.

(أ) محكمة التفتيش البابوية

في عام ١٠٩٥ أعلن البابا أوربانو ضرورة "استرداد" بيت المقدس من أيدى المسلمين، ولكى يحشد متطوعين لذلك أعلن أن الاشتراك فى الحروب الصليبية يعدل التوبة عن أى ذنب ، ويستحق صاحبه الغفران. بعد ذلك أصبح من يشارك فى نفقات الحروب يستحق الغفران كذلك ، ثم أصبحت صكوك الغفران تباع للمساهمين فى نفقات تشييد كاتدرائية القديس بطرس ، وبعد ذلك أصبحت تلك الصكوك تباع بأثمان زهيدة ولأى سبب.

الأمر الغريب هو أن الحملات الصليبية أتت بنتائج غير تلك التى كانت تتمناها الكنيسة الكاثوليكية ، فقد عاد المتطوعون إلى أوربا وهم يحملون مبادئ تخالف الكاثوليكية. وقد خشيت الكنيسة الكاثوليكية من حدوث انشقاقات عليها ، ولهذا فقد أرسل البابا إينوثينثيو الثالث حملات تفتيشية حققت بعض النتائج المرجوة منها إلا أن المخالفات استمرت. وأخيراً دعا البابا إلى القيام "بحملات صليبية داخلية" فى جنوب فرنسا عام ١٢٠٨ ، وكان المشاركون فى تلك الحملات يحصلون على الغفران ويحصلون كذلك على الأراضى المصادرة من "الملحدين" ، مما جعل عدد المشاركين يصل إلى ٥٠٠ ألف متطوع. وقد استولى المتطوعون على مدينة بيزيرس **Beziers** وذبحوا ستين ألفًا من سكانها من بينهم نساء وأطفال. وكان الجنود يسألون القساوسة : كيف نفرق بين المسيحى المخلص والملحد؟ فكانوا يجيبونهم : اقتلوا الجميع وسيتولى الرب التمييز بين الفريقين.

رغم كل ذلك إلا أن "الإلحاد" استمر فى تولوز ، مما أدى إلى استمرار الصراع حتى عام ١٢٥٣ ، وكان البابا قد أصدر أمرًا بإنشاء محكمة التفتيش البابوية عام ١٢١٥ . إزاء المجازر التى ارتُكبت ضد أبرياء فى جنوب فرنسا تصاعدت صيحات الاحتجاج فى أنحاء عديدة من العالم المسيحى ، مما ترتب عليه عقد اتفاقية تولوز عام ١٢٢٩ التى أقرت إنشاء محكمة التفتيش.

بالإضافة إلى كل ما تقدم كان البابوات يحثون ملوك أوربا على إصدار قوانين تعاقب جريمة "الإلحاد" بالإعدام ، وقد استجاب الإمبراطور فريديريك الثانى لنداء البابا إينوثينثيو الثالث وأصدر قانونًا يعاقب "الملحد" بالإعدام حرقًا ، وبمرور الوقت كان البابوات يدعون الملوك الآخرين إلى سن قوانين مشابهة.

كانت الأحكام التى تصدرها المحكمة قابلة للاستئناف أمام البابا ، وكان البابا يلغى الأحكام عادة نظير مبلغ يدفعه المتهم ، أو نظير خدمة تراها الكنيسة ضرورية. وكانت محكمة التفتيش البابوية أحيانا تصدر "عقوبات دينية" ضد من يخالف المنهج الذى تسير عليه الكنيسة ، منها حضور جلسات وعظ وأداء صلوات وصيام ، وغير ذلك.

(ب) محكمة التفتيش الإسبانية

نشأت محكمة التفتيش الإسبانية عام ١٤٧٨ بقرار من الملكين الكاثوليكيين فيرناندو وإيسابيل. ربما كان السبب الأول فى إنشائها هو تحول كثير من اليهود إلى المسيحية عام ١٣٩١ بعد تعرضهم لضغوط شديدة ، مما جعل ذلك التحول ينقصه الصدق. لذلك ، ففى القرن السادس عشر كان هؤلاء المسيحيون محل ريبة المسيحيين القدامى.

بعد وفاة إنريكى الرابع ملك قشتالة آل عرشه إلى أخته إيسابيل عام ١٤٦٥ ، وقد تزوجت الملكة الجديدة من فيرناندو الذى تولى عرش أراغون بعد وفاة خايمى الثانى.

كان القسيس الذى تعترف أمامه الملكة إيسابيل هو توماس دى توركيمادا الذى كان له نفوذ فى القصر. استمع توركيمادا إلى شكاوى المسيحيين القدامى فبدأ يتحدث عن أهمية إنشاء محكمة تفتيش فى قشتالة.

فى عام ١٤٧٨ اكتُشفت مجموعة من الأشخاص فى إشبيلية تمارس طقوسًا غير معهودة فى الديانة المسيحية ، وهذا ما أقنع الملكة بأن تطلب من سفرائها فى روما إذنًا من البابا لإنشاء محكمة تفتيش فى قشتالة وأراغون.

وقد أصدر البابا سيكستو الرابع مرسومًا فى نوفمبر عام ١٤٧٨ يأذن فيه لملكى إسبانيا بتعيين أعضاء محكمة تفتيش ، وقد وصل أعضاء المحكمة بالفعل إلى إشبيلية فى ديسمبر عام ١٤٨٠ ، وحاكموا مجموعة من اليهود المنصَّرين وأصدروا حكمًا بإعدام بعضهم حرقًا فى ٦ فبراير عام ١٤٨١ .

وتختلف محكمة التفتيش الإسبانية عن محكمة التفتيش البابوية ، من حيث إن أعضاء المحكمة الإسبانية يعينهم الملك لا البابا ، وعليه فإنهم موظفون فى الدولة ويخضعون لسياساتها. وهناك اختلاف آخر يتمثل فى أن الأحكام التى تصدرها المحكمة الإسبانية لا يمكن استئنافها فى روما.

كان مقر محكمة التفتيش الإسبانية فى إشبيلية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى طليطلة، وكانت سلطة رئيس محكمة التفتيش لا تناقش، وكان يرأس مجموعة من الأعضاء عددهم خمسة، يشكلون المجلس الأعلى. وقد منح البابا كليمنتى الثامن أعضاء المحكمة الإسبانية سلطة النظر فى المطبوعات والمخطوطات وحظر قراءة الكتب والأوراق التى يرون أنها تخالف الآداب العامة أو عقيدة الكنيسة الكاثوليكية، وكانت عقيدة الكنيسة تتمثل فى عذرية السيدة مريم – حتى بعد أن وضعت – والتثليث ، وصلاحية الكنيسة الكاثوليكية فى منح الغفران.

كانت المحكمة تتكون من نائبين وعالم لاهوت، وكان لهم زىٌّ خاص. كان هناك ممثل ادعاء، وكان هناك قاض مهمته تقييم العقارات والثروات المصادرة، وكان لكل هؤلاء عدد من المساعدين من بينهم كاتب المحكمة الذى كان يسجل الأسئلة التى تُوجَّه إلى المتهمين والأجوبة ، وكان كاتب المحكمة يسجل الاعترافات التى يدلى بها المتهم بعد تعرضه للتعذيب.

وكان هناك فى كل قرية أو مدينة لجان تتولى تنفيذ أوامر محكمة التفتيش وإلقاء القبض على من تحوم الشبهات حولهم. ثم كان هناك "المتعاونون مع المحكمة" ، وكان هؤلاء يتمتعون بعفو شامل عن ذنوبهم. ولتعيين "متعاونين" كانت المحكمة تُخضِع الشخص المرشح لاستجوابات خاصة بنقاء الدم، وكان الشخص المرشح يُودع حوالى تسعة آلاف ريال قبل عملية استجوابه.

كانت محكمة التفتيش تتولى ملاحقة الملحدين herejes ، والملحد فى نظر الكنيسة هو المسيحى الذى يُشَك فى إيمانه ، أى أن اليهودى والمسلم كانا بمنأى عن خضوعهما لسلطة محكمة التفتيش. هذا معناه أن الشخص كان يخضع لسلطة المحكمة اعتباراً من تاريخ تنصيره، سواء أكان هذا التنصير إرادياً أم قسرياً. من هنا ندرك أهمية عمليات التنصير الجماعى التى قام بها الكاردينال ثيسنيروس ومن سار على نهجه: إنه – ببساطة – أوجد "عملا" لأعضاء محكمة التفتيش. لعلنا بهذا ندرك سبب محاولات الموريسكيين الاتصال بروما وإخبار البابا بأنهم لم يتلقوا ماء التعميد ، أى أنهم غير خاضعين لسلطة محكمة التفتيش. كان تمويل محكمة التفتيش الإسبانية ذاتياً (١) وهو ما يدعونا إلى القول بأن قسطاً وافراً من القضايا التى نظرتها تلك المحاكم كان يستند إلى دوافع اقتصادية. هذا ما يفسر – كذلك – تعنت المحاكم وإطالة أمد القضايا المنظورة أمامها.

(ج) مشهد الإيمان auto de fe

عندما كانت محكمة التفتيش تصدر أحكاماً عديدة ضد "ملحدين" كانت ترى أن تعدد القضايا دليل على تفشى ظاهرة " الإلحاد" ، فكانت تقيم احتفالا يستمر يوماً كاملا. كان الاحتفال يبدأ باقتياد المذنبين إلى منزل رئيس المحكمة ، وهناك كانوا يلبسونهم عباءة صفراء وطاقية خاصة. كان الناس يصطفون حتى المكان الذى سيقام فيه المشهد ، وعادة كان المشهد يعقد فى ميدان كبير. هناك كانت تلقى خطبة وعظ يشار فيها إلى عواقب الإلحاد. بعد ذلك كانت أحكام الإدانة تُتلى ، وكانت تبدأ بالأحكام الخفيفة وتنتهى بأحكام الإعدام. كان المحكوم عليهم بالإعدام يساقون إلى مكان يسمى المحرقة ، حيث كان يتم حرقهم أحياء أمام الناس.

(د) التعذيب

كان التعذيب وسيلة تتبعها محاكم التفتيش لانتزاع اعترافات من المتهمين ، وكان الأمر يبدأ بأن يرى المتهم غرفة التعذيب والأدوات المستعملة ، وكان ذلك فى بعض

الأحيان كافياً لكى يدلى المتهم بالاعتراف المطلوب منه أو بالإرشاد عن متهمين آخرين. إذا ثبت المتهم على موقفه ولم "يعترف" كان السجان يبدأ فى تعذيبه ، وكان من الشائع استجواب المتهم أثناء التعذيب.

٢- الموريسكيون

الموريسكى هو المسلم الذى بقى فى إسبانيا بعد سقوط غرناطة الإسلامية عام ١٤٩٢ ، وحافظ على إسلامه سراً بعد أن أجبرته السلطات الإسبانية على اتباع المسيحية. حاول أولئك المسلمون بكل السبل أن يحافظوا على دينهم ، فبذلوا من أموالهم الكثير حتى تخفف السلطات من القيود التى كانت تفرضها عليهم ، وطلبوا العون من الدول الإسلامية ، ثم فى النهاية تركوا الغالى والنفيس وفروا بدينهم إلى بلاد إسلامية مثل المغرب وتونس والجزائر ومصر وتركيا ، بل منهم من هاجر إلى العالم الجديد وحمل تعاليم الإسلام إلى أمريكا الجنوبية ، ظناً منه أن بإمكانه الاختفاء عن الأعين و ممارسة الإسلام فى أراضى الهنود الحمر الشاسعة.

كانت وسيلة الموريسكيين فى الحفاظ على هويتهم الإسلامية فى البداية هى الكتب العربية ، فلما حظرت القوانين الإسبانية استخدام اللغة العربية ترتب على ذلك تناقص عدد من يجيدونها ، فكتب الفقهاء منهم نصوصاً بالألخميادية – أى باللغة الإسبانية وبحروف عربية – أما بعد ذلك فقد كتبوا نصوصاً محررة باللغة الإسبانية وبحروف لاتينية(٢) .

استخدم الموريسكيون كل الحيل التى تمكنهم من ممارسة شعائر الإسلام ، وقد عملوا بما جاء فى رسالة مفتى وهران التى أجازت لهم التظاهر باتباع المسيحية ثم أداء الشعائر الإسلامية فى الخفاء. الجدير بالذكر أن الموريسكيين استغلوا حرفاً معينة فى تحقيق هدفهم الأكبر ، فامتهن بعضهم التجارة ونقل البضائع ، وكانوا – تحت هذا الستار– يتناقلون الأخبار والعلوم الدينية دون أن تفطن السلطات إلى ذلك. أما الأغنياء وأصحاب النفوذ منهم فقد استخدموا إمكانياتهم بشكل آخر ، فالبعض تظاهر بالتعاون

مع محكمة التفتيش ، وتحت هذا الستار كان بمنأى عن الملاحقة فاستغل ذلك فى تعليم إخوانه اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامى [٣]

كان تمسك الموريسكيين بالإسلام يدعو إلى الإعجاب حقيقة ، ففى أوج تعرضهم لأهوال محاكم التفتيش كانوا يتحينون الفرص لكى يقوموا بالدعوة إلى الإسلام.[٤]

على أن محنة مسلمى الأندلس كانت لها بعض الفوائد - إن جاز التعبير - فقد استقر كثير منهم فى شمال إفريقية وأسهموا فى إدخال أنماط من الحرَف والمحاصيل إلى البلاد التى استقروا فيها ، وبكثير من الأسف نقول إن هذا الموضوع لم يحظ بعد بدراسات شاملة فى عالمنا العربى ،وإن كان بعض الباحثين الأوربيين قد تعرض له بإيجاز. [٥] وإذا تحدثنا عن الجانب الدينى فلنا أن نذكر أن وصول الموريسكيين إلى بلاد إسلامية قد فجَّر قضايا عديدة أو أعاد إلى دائرة الضوء قضايا كانت قد انتهت ، مثل جواز استعمال لغة غير العربية فى العلوم الدينية.[٦]

نعود مرة أخرى إلى وصول الموريسكيين إلى أراضى العالم الجديد - وهو بالمناسبة حقل جديد تمامًا فى الدراسات الموريسكية - فنقول إن ثمرة هذه الجهود لا تزال باقية إلى اليوم ، فأنماط العمارة فى بعض دول أمريكا الجنوبية يغلب عليها الطابع الإسلامى ، كما كانت لهجرة الموريسكيين أيضا آثار على العادات والتقاليد فى مناطق فى الأرجنتين على سبيل المثال.[٧]

جمال عبد الرحمن

ملاحظات

(١) انظر :

" Del policiamiento inquisitorial: La suerte de los moriscos en el Rio de la Plata", en el libro *Homenaje a Galmes de Fuentes,* Zaguan, Tunez, 2003, p. 344

(٢) انظر – كنموذج لذلك – قضيتى كوسمى بن عامر والأدميرال سانشو دى كاردونا المنشورتين فى كتاب "الموريسكيون الأندلسيون" تأليف م. غارثيا أرينال ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣ ، ص ١٣٧– ١٥٤ ، ١٦٧ – ٢٠٠

(٣) راجع – على سبيل المثال – قضية كوسمى بن عامر المشار إليها فى كتاب "الموريسكيون الأندلسيون".

(٤) انظر كتاب " الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون : المجابهة الجدلية (١٤٩٢–١٦٤٠) . انظر كذلك المخطوطة ٩٦٥٤ بمكتبة إسبانيا الوطنية بمدريد، وفيها قصة جدل دينى تم بين قسيس وموريسكى ، وكان الاثنان محبوسين فى سجون محكمة التفتيش .

(٥) أشير هنا إلى كتاب ميكيل دى إيبالثا "الموريسكيون فى إسبانيا وفى بلاد المنفى" ، وربما تصدر قريبًا ترجمة له ضمن المشروع القومى للترجمة .

(٦) الحقيقة أن الإسلام الأندلسى بشكل عام لم يتوقف عن إثارة قضايا فقهية غير معهودة فى المشرق. نشير هنا إلى جواز أن يدفع البلد المسلم جزية. (انظر حول هذا الموضوع بحث ميكيل دى إيبالثا عن علاقة السيد بالمسلمين فى المؤتمر الذى نظمته مؤسسة فيرناندو الكاثوليكى ونشرت أعماله عام ١٩٩١) . نشير كذلك إلى تأثر الإسلام الأندلسى أحيانا بالمسيحية (راجع كتاب أسين بلاثيوس El Islam cristianizado) . هل كان الاحتفال بالمولد النبوى فى نشأته إلا تقليدا لاحتفال المسيحيين بميلاد المسيح عليه السلام؟ (راجع مقال لا غرانخا فى مجلة الأندلس)

(٧) تقول م. إلبيرا ثاغارثاثو إن بعض قرى الأرجنتين لا تأكل لحم الخنزير مطلقا ، وتذكر أن الحفريات تؤكد أن الناس قديمًا كانوا يدفنون موتاهم على الطريقة الإسلامية، وتتحدث عن الاحتفال بالمواليد هناك بطريقة مشابهة للعقيقة.

مقدمة الطبعة الثانية

يعتبر نص هذه الطبعة هو نص طبعة سنة ١٩٧٨ نفسه بدون أى تغيير. و على الرغم من ذلك فإن بعض استنتاجاته و أدلته فى حاجة إلى إيضاح [١].

فى الوقت الحالى، تم تصنيف دار محفوظات كوينكا، التى تعد أحد أهم أرشيفات محاكم التفتيش بإسبانيا، بطريقة جيدة وتم وضعها بشكل لائق فى القصر الأسقفى الكوينكى.

و تعد مخطوطاتها هدفًا للعديد من الدراسات، لكن لا يوجد، حسب معرفتى، من قام بتناول موضوع الموريسكيين الذين تعرضوا للمحاكمة. و على العكس، فهناك نوع آخر من الدراسات التى تلقى بالشكوك حول هؤلاء الموريسكيين و توضح أهمية جماعات المدجنين القدامى الذين قطنوا المناطق الشمالية الواقعة تحت نفوذ محكمة تفتيش كوينكا، خاصة بلدة مولينا (Molina) و مدينة سالم (.Medinaceli) هذه هى المخطوطات الأعجمية و العربية المحفوظة حاليًا فى معهد الدراسات العربية (Miguel Asín) بالمجلس الأعلى للبحوث العلمية. و لقد تم العثور بين تلك المخطوطات ومن بين ظهر غلاف أحد الكتب على بعض الفقرات المهمة المنسوخة بالأعجمية (يعنى مكتوبة بالإسبانية و بحروف عربية) حول محضر محاكمة يوسى دى لاباثيا (Yoçe de la Vacia) ، فقيه بلدة مولينا، أمام محكمة التفتيش، و تم نسخ صحيفة الاتهام هنا (ملحق رقم ١). و تتعلق كل الفقرات التى عُثر عليها بالحكم الذى لم يُحفظ أصله (محاضر خزانة المحفوظات الأسقفية غير مكتملة). أما عن كونه وثيقة عن محكمة تفتيشية فهو يمثل نصًا فريدًا.

قمت - بالاشتراك مع آنا لابارتا (Ana Labarta) - بنشر هذه الفقرات مع دراسة حولها فى بحث بعنوان: (بعض الفقرات الأعجمية من محضر تفتيش يوسى دى لاباثيا، فقيه قرية مولينا (١٤٩٥) [٢]

ونشر ل. هارفى (L. Hrvy) ، فى المصدر السابق ، دراسة حول كراريس مدرجة فى محضر خيرونيمو (Jeronimo) نقاش بلدة أركوس (Arcos) {ADC) ، لفافة أوراق (٢٣٧، رقم ٢٠٧٢) والتى ذكرت فى هذه الدراسة، وعلاقتها ببعض الحكايات الأعجمية الموجودة فى المكتبة الوطنية بمدريد. لكن أهم هذه الدراسات أبحاث ماريا خيسوس بيغيرا (M. Jesús Viguera) ، و منها على سبيل المعرفة: "كراسة أعجمية عن الدِّين" (مدينة سالم، القرن السادس عشر)[٣] . و "توزيع إرث بين عائلة مُدجّنة من مدينة سالم"[٤] .

فهذان البحثان يدلان على أن أهمية جماعة المدجنين بدائرة سيغوينثا (Siguenza) وثقافتهم العربية الإسلامية و تماسكهم الداخلى وعلاقتهم بأراغون (Aragón) أكبر بكثير مما تعكسه الدراسة التى بين أيدينا و يجب أن يكون ذلك موضع اهتمام.

و بما أن هذا البحث عبارة عن دراسة وثائقية فلم تُعدل ملاحظات حواشيه. أما بالنسبة للمصادر، فعلى الرغم من أن هناك زيادة كبيرة فى الأعمال المتعلقة بالموريسكيين بوجه عام، فإن الأعمال التى ذكرتها آنفًا هى التى تتعلق بشكل مباشر بالموريسكيين الكوينكيين.

مرثيديس غارثيا - أرينال

الهوامش

(١) قمت بجزء من ذلك بالفعل فى دراسة عرضتها فى أول مؤتمر دولى عن محاكم التفتيش الإسبانية (كوينكا - ١٩٧٨) بعنوان:

"Los procesos de moriscos del tribunal de la Inquisición de Cuenca", publicada en las actas, que llevan el título de "La Inquisición española.Nueva visión, nuevos horizontes", siglo XXI, 1980.

بالإضافة إلى إسهامى، بالتعاون مع جان بيير دى ديو (Jean Pierre Dedieu) بعمل :

"Los moriscos de Castilla la Nueva", al volumen titulado *La Inquisición y los moriscos,* ed. Por L. Cardillac (en prensa).

(٢) انظر : "Algunos Fragmentos aljamiados del proceso Inquisitorial de Yuce de la Vacia, alfaqui de la Villa de Molina", (1495), *Nueva Revista de Filología Hispánica.* Volumen dedicado a los estudios hispanoarabes (México، 1983).

(٣) انظر : (Un cuaderno aljamiado de las deudas (Medinaceli, siglo XVI), Ms. Junta, núm. XXXV 11-8), en *Homenaje a don José Ma. Lacarra en su jubilación del profesorado,* vol. V (Zaragoza, 1977), páginas 214-268.

(٤) انظر : ("Partición de herencia de una familia mudejar de Medinaceli" *Alcántara,* III, 1982).

مدخل

على الرغم من الكم الهائل من الدراسات التى ظهرت فى الأعوام الأخيرة حول الموريسكيين، إلا أن الكثير مما نعرفه عنهم من خلال المصادر الكلاسيكية لم يتم استكماله بعد ، ولم تقدر كميته ولم يتم تنقيحه. كذلك أيضًا يوجد عدد كبير من الوثائق غير المنشورة، و بخاصة وثائق محاكم التفتيش.

و بما أنه قد ثار جدل واسع حول موضوع محاكم التفتيش وكُتب عنه كثيراً، فقد يبدو غريبًا أن مخطوطات محاكم التفتيش المختلفة (خاصة ما يتعلق بمملكة قشتالة) لم تستغل جيدًا من قِبَل الباحثين، باستثناء مخطوطات محكمة طليطلة، أكثر المطبوعات ربما من حيث الأهمية و هى الوحيدة بالطبع التى صنفت بشكل جيد(١).

وتعد خزانة المحفوظات الكوينكية المهمة التى تحوى وثائق محفوظة عن محاكم التفتيش بكوينكا مثالاً للإهمال: فعملية التصنيف التى لم تتم على أكمل وجه (٢) وعيوب المبنى والساعات القليلة التى تفتح فيها أمام الجمهور (على الأقل منذ ما يقرب من سنتين عندما تم إعداد هذا البحث) وعزلها عن المدينة... كل ذلك أسهم فى جعل الوثائق القيمة بمحكمة كوينكا بمنأى عن استفادة الباحثين (٣).

تشكل المحاضر الموريسكية الخمسمائة تقريبًا والمحفوظة بالخزانة موضوع الدراسة التى بين أيدينا.

لم تكن للموريسكيين التابعين للمنطقة التى ترعى انتباهى أية أهميه على الإطلاق، فمع قلتهم العددية واندماجهم فى السكان المسيحيين، كانوا يمثلون جماعة فقيرة وجاهلة ومَقصيَّة مع الطبقات الدنيا فى المجتمع: لم يكن لهم أى تأثير ، ولم يقدموا رجالاً يصلون بهم إلى أرقى الدرجات فى الدولة الإسبانية.

ومع ذلك، فهذه الجماعة الضئيلة نالتها كل الأهوال التى لحقت بالأقلية الموريسكية، و كانت هدفًا لمراقبة و قمع مستمرين من جانب محاكم التفتيش؛ فالإحصائيات والمحاضر العديدة تشهد على ذلك . و لم تكن تبدو هذه الجماعة -بالنسبة لمحاكم التفتيش والإدارة فى ذلك العصر- مجردة من الأهمية. فمثال بلدة سوكوياموس (Socuéllamos) التابعة لإقليم لامنشا (La Mancha) خير دليل على ذلك: ففى سنة ١٥٨١ كان يوجد فى هذه البلدة ٤٩ عائلة موريسكية منها ٣٢ عائلة قُدم منها فرد أو أكثر للمقاضاة أمام محاكم التفتيش بين عامى ١٥٨٢ و ١٥٨٥[٤] .

إذًا لماذا انشغلوا بهم إلى هذا الحد؟ ما المشاكل والقلاقل التى كانوا يدبرونها؟ هذا هو ما ننوى إيضاحه، بالإضافة إلى أمور أخرى.

وعلى الرغم من غزارة الوثائق الكوينكية التى لم تنشر حول الموريسكيين، إلا أنها لا تضيف شيئًا جديدًا مائة بالمائة أو مثيرًا لمعارفنا حول هذه الأقلية. و تكمن قيمتها الأساسية فى أنها تمكننا من الإيضاح والتقدير الكمى ورسم صورة بشكل أدق لأفكار كثيرة وثابتة عن الموريسكيين، بالإضافة إلى استكمال أفكار أخرى تم توضيحها فى الحواشى السفلية أو تمت الإشارة إليها.

وعلى جانب آخر، كما ذكرت، فالكوينكيون لم يتزعموا أى حدث فى التاريخ الموريسكى، ولا يوجد بين المحاضر محضر واحد يقاضى شخصية بارزة أو حتى مثقفة.

وتبدو لى على نفس القدر من الأهمية تلك الصفة التى تميزهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية وعوام و بسطاء، لأنها تسمح بكشف النقاب عن أساس المشكلة الموريسكية التى تظهر وتعرض من خلال الاحتكاكات القليلة ومتناقضات الحياة اليومية، وعلى الرغم من أن هذه الاحتكاكات مستمرة ومتصلة إلا أنها أصعب ما يمكن القيام به، على الرغم من عدم أهميتها الظاهرية.

من خلال هذه المحاضر عن أناس جهلاء وبلا علوم دينية تُذكر ، يتم رسم فكرة أولية عما كانت عليه حياة تلك الجماعة الموريسكية ومشاكل التعايش، حيث إن وجودهم اليومى كان يعنى مواجهة مع سكان من المسيحيين القدامى. والنزاع القائم كان بين

طائفتين مختلفتين اجتماعيًا و ثقافيًا بل و اقتصاديًا، لكنهم كانوا يرجعون الفوارق بينهم إلى أساس دينى. أعتقد أن الاستنتاجات التى تم التوصل إليها يمكن أن تطبق بملامحها العامة على بقية الموريسكيين القشتاليين.

نطاق سلطة محكمة كوينكا

يجب أن ينال الموريسكيون الكوينكيون - من بين الموريسكيين القشتاليين - موضع اعتبار منا ، وذلك لتمييز وضعهم الجغرافى بين أراغون (Aragón) وفالنسيا (Valencia) ولامنشا أهم ثلاث مراكز موريسكية فى شبه الجزيرة(*). و ما كان لهذه الجماعات الموريسكية الكوينكية من صدى و تأثير على موريسكيى قشتالة يجعلها تتميز بملامح عامة فى المشكلة التى تعرضوا لها .

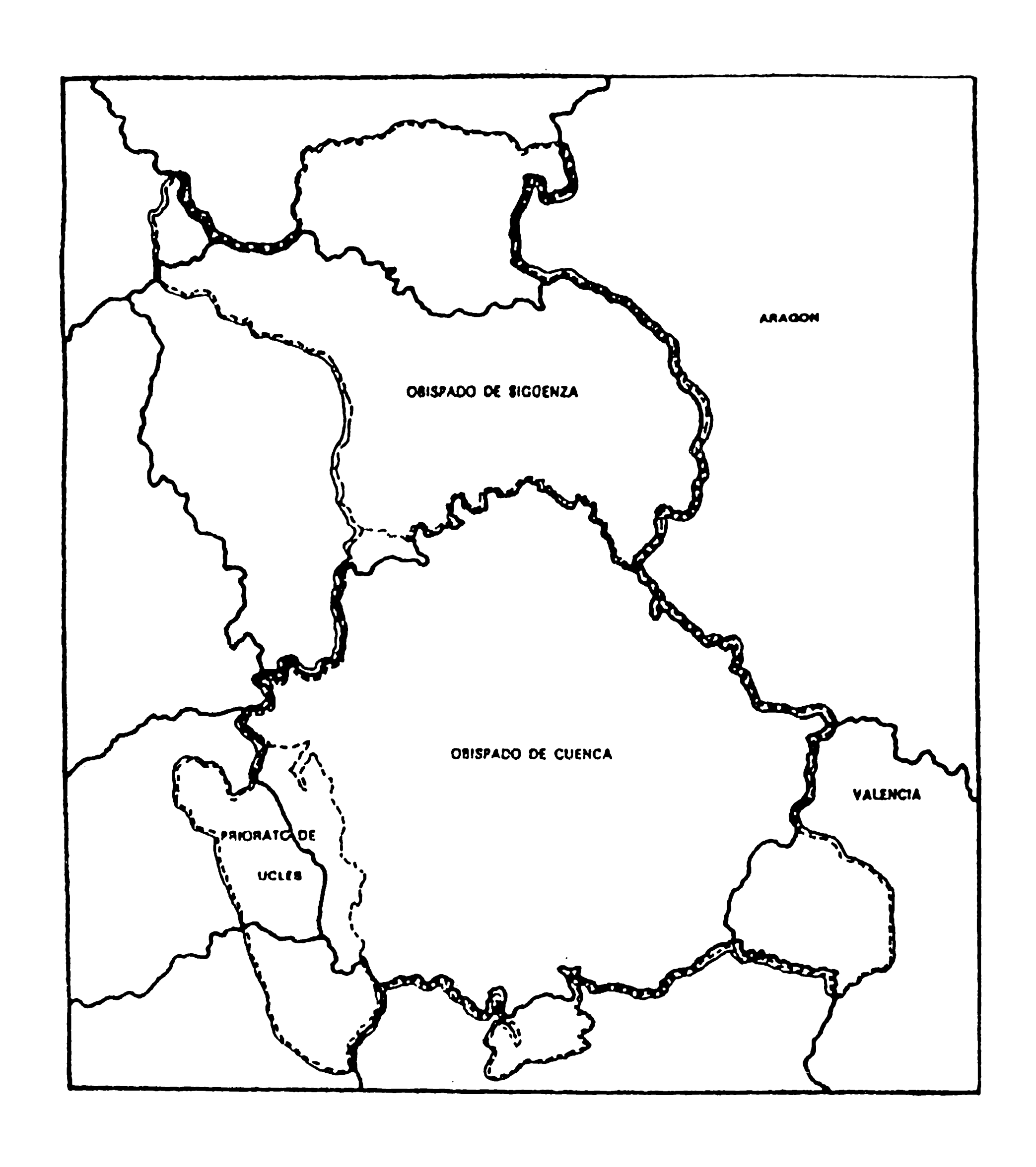
كانت دائرتا كوينكا و سيغوينثا و دائرة أوكليس، (Uclés) التابعة لرهبانية سانتياغو (Santiago) ، تقع تحت نطاق سلطة محكمة تفتيش كوينكا . و كانت حدود كلتا الدائرتين آنذاك أكبر بكثير مما هى عليه الآن : فحدود كوينكا كانت تشغل المحافظة الحديثة المعروفة بهذا الاسم الآن (باستثناء المنطقة الجنوبية الشرقية التى كانت تتبع أوكليس) وجزءًا من محافظة الباثيتى (Albacete) : لارودا (La Roda) وجزءًا من فالنسيا: ريكينا (Requina) وأوتييل (Utiel) .

وكانت حدود سيغوينثا تعنى جزءًا كبيرًا من محافظة غوادالاخارا (Guadalajara) الحالية (الإقليم الشرقى ابتداء من خط يشمل أتينثا Atienza وسيغوينثا وثيفوينتس (Cifuentes) وجنوب سوريا (Soria) مدينة سالم وبيرلانغا (Berlanga) وألمازان (Almazán) وتمتد حتى محافظة سيغوينثا (Segovia) التى تتبعها أيون (Ayllon) وكانت دائرة أوكليس، التى كانت تتمتع بنظام حكم ذاتى إلى حد ما، تشكل أيضًا جزءًا من نطاق محكمة كوينكا وتشغل فى قلب لامنشا أرضًا تتبع اليوم ثلاث محافظات :

(*) المقصود بشبه الجزيرة هو ما يعرف بإسبانيا والبرتغال حاليًا . (المترجم) .

كوينكا (أوكليس و بيامايور Villamayor وموتا دل كويربو Mota del Cuervo ولوس إنوخوسوس Los hinojosos ولاس ميساس Las mesas وأوركاخو Orcajo ، إلخ.) وثيوداد ريال Ciudad Real (كامبو دى كريبتانا Campo de Criptana وبيدروموينيوث Pedro Muñoz وسوكوياموس) و طليطلة (سانتا كروث دى لاثارثا Santa Cruz de la Zarza وكورال دى ألماغير Corral de Almaguer وبويبلا دى ألموراديبل Puebla de Al- moradiel وكينتانار دى لا أوردن Quintanar de la Orden والتوبوسو El Toboso) .

و تقع أراغون على الحدود الشرقية لهذا الإقليم الشاسع: ففى الوديان الواقعة على روافد الضفة اليمنى لنهر الإبرو (Ebro) تعيش جماعة كثيفة ومتجانسة من السكان الموريسكيين ينحدرون من أصول قديمة جداً ، وتحدها فالنسيا من الناحية الجنوبية ؛ فالجبال المتفرعة من سلسلة جبال فالنسيا الواقعة على الحدود مع كوينكا هى مناطق مأهولة بالسكان وملجأ للموريسكيين. وأخيراً، فلقد استقبل إقليم لامنشا وإقليم أراضى الرهبانيات أكبر قدر من الموريسكيين الغرناطيين.



خريطة رقم (١) مناطق محكمة كوينكا.

الهوامش

(١) فيما يتعلق بموضوع الموريسكيين، انظر على سبيل المثال :

P. Dressendoerfer, *Islam unter der Inquisicion : Die Morisco Prozecesse in Toled,* 1575-1610, Wiesbadeu, 1971.

(٢) يوجد فقط :

S. Cirac Estopanan, *Registro de los documentos del Santo Oficio de Cuenca y de Siguenza,* Cuenca-Barcelona, 1965.

و أيضاً :

Los procesos de hechicerías de la Inquisición de Castilla la Nueva (Tribunales de Toledo y Cuenca), Madrid, 1942.

(٣) الاستثناء الوحيد، فيما يتعلق بموضوع الموريسكيين، هو مقال مشترك حول المحاضر :

B. Loupias, "La practique secrete de l'slam dans les eveches de Cuenca et de Siguenza au XVI et XVII siecles", *Hesperis-Tamuda,* 1965, pp. 115-123

ويتناول ل. كارdياك فى رسالته للدكتوراه والتى نشرت حديثًا بعنوان :

(Morisques et Chretiens.Un affrontement polemique, 1492-1640, Paris, 1977.)

بعض المحاضر الكوينكية. ولقد أفدت من كلتا الدراستين فى إعداد العمل الذى بين أيدينا واتخذت من بعض افتراضاتهما نقطة انطلاق لعملى .

(٤) هذا جزء من رسالتى للدكتوراه التى تحمل عنوان :

Los moriscos en los distritos de la Inquisición de Cuenca, Madrid, enero de 1976.

الفصل الأول

السكان الموريسكيون

المُدَجَّنون

كان عدد السكان المدجنين – فى أواخر العصر الوسيط وفى جميع أنحاء قشتالة – قليلاً ، وكان طابعهم العام حضريًا ومذابًا فى وسط السكان المسيحيين، على عكس جماعات المدجنين فى أقاليم أخرى، خاصة التابعة لمملكة أراغون.

ومع ذلك، فلابد أن سكان إقليم كوينكا من المسلمين كانوا كثيرى العدد فى الأزمنة اللاحقة لفتح المدينة – حسبما أشار إلى ذلك المؤرخون المحليون – (١) كما هو بديهى فى إقليم حدودى يحتم وضعه منح مميزات و ضمانات للسكان القدامى (٢).

خلال القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر، كانت هجرة المدجنين القشتاليين إلى مملكة غرناطة (على الرغم من الجهود المبذولة فى بعض الأحيان لمنعهم) مستمرة وفى ازدياد تبعًا لما كان يحدث لهم من تجريد من المميزات وزيادة القيود وفرض الضرائب الباهظة (٣).

فى حركة تشتت مندفعة، كان المدجنون يهدفون إلى هجر المدن الكبيرة، وهذه العملية تنعكس بوضوح من خلال الأخبار القليلة التى لدينا عن مدينة كوينكا: فبعد ما كان حى المسلمين بالمدينة يحوى ٢٥ عائلة بين عامى ١٤٤٧ و١٤٥٠ ميلادية ، لم يعد هناك إلا سبع عائلات فى عام ١٤٨٢ (٤).

و بالنسبة لباقى الإقليم، فهناك إثبات بالوثائق أنه مع بداية القرن الخامس عشر كانت توجد أحياء متفرقة للمسلمين من أبرزها: مدينة سالم ومولينا وبيا إسكوسا دى أرو (Villaescosa de Haro) وأويتى (Huete) وأوكليس (٥). وتسمح الضرائب والأعمال

المفروضة على الموريسكيين، خلال النصف الأول من ذلك القرن، بمعرفة العدد والحجم التقريبى لأحياء المسلمين (٦). و طبقًا لهذه الضرائب فإن دائرة سيغوينثا هى التى تحظى بأكبر قدر من السكان المسلمين القابل عددهم للزيادة ، وأهم أحياء المسلمين هى أحياء ديثا ومولينا . و فى منطقة لامنشا تحظى أوكليس، عاصمة البلاد التابعة لرهبانية سانتياغو، بأكبر قدر من الموريسكيين بالمنطقة (٧).

على أية حال، فالواضح أن العدد الإجمالى للمدجنين فى المناطق الكوينكية، فى نهاية القرن الخامس عشر، قليل و مشتت. و تصورهم الوثائق القليلة المحفوظة عنهم وهم يمارسون أعمالاً حِرَفية (صانع قدور - صانع أقفال - صانع أحذية - إلخ.) متداخلين ومندمجين فى مجتمع المسيحيين القدامى، ولا يبدو أنهم تسببوا فى أى نوع من الصراعات.

فى عام ١٥٠٢، صدر مرسوم بتنصير كل المدجنين فى قشتالة، ونفذت عملية التنصير فى نفس العام (٨). لكنه لم يطرأ أى تغيير أو تحول لا على الوضع ولا على العدد الضئيل لجماعة الموريسكيين الكوينكيين إلا بعد إدخال عنصر جديد: محاكم التفتيش. وبداية من لحظة التنصير أصبح الموريسكيون (٩) تحت رقابة ونفوذ محاكم التفتيش، وإذا كان وضعهم السابق كمسلمين شرعيين يعفيهم من المحاكمة على جرائم دينية (*)، بغض النظر عن الحالات الاستثنائية كالدعوة للدين (١٠)، فمنذ بداية تنصيرهم أصبحوا خاضعين بشكل مستمر للشكوك حول رِدَّتهم وإلحادهم.

منذ السنوات الأولى لذلك القرن عانى الموريسكيون اضطهاد محاكم التفتيش والإفراط فى العقوبات المالية و المصادرات المستمرة للثروات (١١). لقد كان الوضع سيئًا للغاية، مما جعل استصدار مراسيم عفو للتخفيف من وضع المنصَّرين الجدد أمرًا ضروريًا.

فى عام ١٥١٨، ثمة معلومات تقول بأن "بعض المنصرين الجدد من مسلمى مدينة ودائرة كوينكا اقترفوا بعض الأمور والأشياء التى تتعلق بالردة والإلحاد"، ولهذا السبب قام المفتشون بمقاضاتهم و سجنهم، فلقد قرر كاردينال طرطوش (Tortosa) بتاريخ ٢٨ يوليو، إعطاء المنصرين الجدد عفواً لمدة سنتين كى يأتوا ويعترفوا بجرائمهم

(*) لم يكن المسلمون أو اليهود خاضعين لسلطة محكمة التفتيش كما أشرنا فى المقدمة (المراجع) .

الإلحادية، أو للذين يبلغون عن آخرين قاموا بذلك. و حتى يكون عندهم الإرادة والباعث على القيام بذلك، تُرد إليهم، إذا ما اعترفوا، جميع ممتلكاتهم - سواء كانت أثاثًا أو عقارات أو دواب - المحتجزة لدى مجلس وخزانة مال محكمة التفتيش اعتبارًا من اليوم الذى اعترفوا فيه بارتكاب جرائمهم. ولا يجوز للمشرف على الممتلكات المصادرة الحجز على أى ممتلكات لمن يأتون بغرض الاعتراف خلال الفترة الزمنية المحددة، لكن ليس بوسع ملاّكها بيعها أو التصرف فيها دون تصريح (١٢).

قبل عام ١٥٧٠، قُدِّم للمحاكمة موريسكيون من مولينا وأركوس وديثا وأوكليس وبيلنشون (Belnichon) وبيا نويبا دى ألكارديتى (Villanueva de Alcardete) وأويتى وبيدرنوسو (Pedernoso) وإنيستا (Iniesta) وبيلمونتى وكورال دى ألماغير وكاستيو دى غارثى مونيوث (Castillo de Garci Muñoz) وهى بلاد كان يقطنها مدجنون قدامى.

وعلى الرغم من نشاط محاكم التفتيش خلال هذه الفترة ، من ١٥٠٢إلى١٥٧٠، إلا أنه لا يمكن القول بوجود "مشكلة موريسكية". فبعد قرون من العزلة والتعايش مع المجتمع المسيحى، دون إمكانية توسع أو تطور، يبدو أن الموريسكيين الأصليين وصلوا إلى درجة معينة من الاندماج والقبول فى المجتمع المسيحى؛ فلقد اعتاد كلا المجتمعين التعايش المتبادل. وتتهمهم محاضر تفتيش تلك السنوات أساسًا بالكفر وبارتكاب أعمال إلحادية أو الابتهاج بالانتصارات التركية، لكن يبدو أن معرفتهم بالإسلام - بغض النظر عن بعض الأشياء المستثناة - تدهورت وأصبح دينهم خاوى المضمون. فى الواقع، وكما هو الوضع فى باقى قشتالة، لم تكن هناك مشكلة موريسكية حقيقية حتى وصول الموريسكيين الغرناطيين.

الموريسكيون الغرناطيون

فى أكتوبر من عام ١٥٧٠، صدر مرسوم بطرد الموريسكيين الغرناطيين كنتيجة ونهاية لحرب البشرات (Alpujarras) (١٥٦٨ - ١٥٧٠) وبدأ تنفيذه فى ١ نوفمبر من نفس العام (١٣).

وصل الموريسكيون إلى المناطق التى ترعى اهتمامنا فى مرحلتين يفصل بينهما فارق شهر تقريباً، بين ديسمبر ١٥٧٠ ويناير ١٥٧١ . وهم موريسكييون قادمون من المنطقة الشرقية لملكة غرناطة، بغرض نفيهم إلى قشتالة ثم تجميعهم فى ألمرية (Almería) وبيرا (Vera) وغواديكس (Guadix) (١٤) . ومن هناك رحلوا باتجاه ألباثيتى، حيث وصل إليها حوالى ٢١ ألف موريسكى مع بداية ديسمبر. وفى ألباثيتى تفرقوا فى طريقين: سارت فرقة من حوالى ٤٥٠٠ موريسكى باتجاه طليطلة عابرة لامنشا، ومن المحتمل أنهم مروا بكينتانار وكامبو دى كريبتانا وبلاد الرهبانيات. وفرقة أخرى بها أكثر من ثلاثة آلاف رحلت باتجاه غوادالاخارا عبر تارانكون (Tarancón) مُخلّفة وراءها جماعات موريسكية فى لارودا وسان كليمنتى وأوكليس، ومن هناك تم نقلهم إلى منطقتى كوينكا وأويتى (Huete) .

فى ديسمبر من عام ١٥٧٠ صدر أمر بتنفيذ مشروع عظيم فى محاولة حقيقية لتنظيم و توزيع وتوطين الغرناطيين قشتالة. من أجل ذلك أُعدت سلسلة من الإحصائيات لمعرفة أى الأماكن مستعدة لاستضافة السكان الموريسكيين، وشُكلت إدارة عامة للتوزيع هدفها اضطرار الموريسكيين كلما أمكن إلى النزوح إلى أقصى الشمال وتشتيتهم إلى أقصى درجة. ولقد حاولوا تجنب استيطانهم فى مجتمعات كثيفة السكان أو فى مناطق قريبة من أراغون وفالنسيا.

و مع ذلك، فإن التوزيع الحقيقى ظل بعيداً جداً عن هذه الخطة، لأن الموريسكيين استوطنوا المناطق المجاورة للطريق الذى قدموا منه على قشتالة، خاصة منطقة لامنشا. وربما وصل عدد المستوطنين فى المناطق التابعة لمحكمة كوينكا إلى أربعة آلاف، وتذكر محاضر التحقيقات التى أجريت مع موريسكيين غرناطيين فى محكمة كوينكا أن أماكنهم الأصلية هى المناطق التالية: سيرا دى فيلابرس (Sierra de Filabres) وماركيزية آل بيليث (Marquesado de los Vélez) وبيليث روبيو (Vélez Rubio) وبيليث بلانكو (Vélez Blanco) ومنطقة نهر المنصورة (Región del Río Almanzora) وألميرية وسورباس (Sorbas) وبورتا لوبا (Portaloba) وبورتيا (Portilla) وأوريا (Oria) وألبا رايدا (Alvarayda) وألمونيا (Almunia) وباثا (Baza) وبالوديس (Paludes) وبورتشينا (Porchena) وغواديكس ، وكل هذه المناطق تتبع أحد أكثر الأماكن التى استعرت فيها نيران الحرب بشدة (١٥).

من الصعب أن نقرر ما النسبة العددية للغرناطيين الذين أقاموا بقشتالة مقارنةً بنسبة سكانها، حيث إن البيانات السكانية غير متوفرة.

و يؤكد كورشادوا [١٦] أن الغرناطيين كانوا يمثلون عشرة بالمائة بالنسبة للمسيحيين القدامى فى منطقة لامنشا، لكن يبدو لى أن هذا الرقم مبالغ فيه، حتى مع أخذنا فى الاعتبار المناطق الطليطلية ذات الكثافة الموريسكية العالية، وحتى مع قلة السكان المسيحيين القدامى التى توافقت مع وصول الغرناطيين بسبب نزوح المسيحيين لتعمير أرض غرناطة.

وطبقًا لوثائق خزانة محفوظات سيمانكاس (Simancas) [١٧] لعام ١٥٧١، فالنسبة المئوية فى منطقة كنتانا لا تصل إلى ثمانية بالمائة، وخمسة بالمائة فى منطقة أوكليس. ومن البديهى أن يبدو هذا الحجم قليلاً، حيث إن هذه الوثائق تذكر فقط القرى التى استقر بها الموريسكيون، وبالتالى هو أقل بكثير فى المناطق الشمالية لإقليم كوينكا.

لكن على الرغم من القلة العددية الظاهرية للموريسكيين، إلا أنهم، على ما يبدو، كانوا يمثلون مشكلة للإدارة. فالشغل الشاغل منذ وصول الغرناطيين كان مسألة الكشوف ، بمعنى أن يعرف فى أى مكان يعيشون وبأى عدد ، وألا يغيبوا عن الأماكن المخصصة لهم والمسجلين بها.

ويتجلى هذا الاهتمام والحرص على السيطرة عليهم من خلال سلسلة القوائم والسجلات التى أُعدت عنهم فى أوقات متفرقة. وأهم هذه الإحصائيات و أكملها هى التى أعدتها محاكم التفتيش فى عامى ١٥٨٩ و١٥٩٤ [١٨] ويُستخلص منها النتائج التالية: يتراوح عدد الموريسكيين بالمناطق الكوينكية مع بداية عام ١٥٧٠ إلى حوالى خمسة آلاف موزعين بشكل غير منتظم. كانت توجد فى منطقة سيغوينثا مناطق قليلة آهلة بموريسكيين، لكن المناطق التى كان بها موريسكيون كانت ذات كثافة عالية وسكانها أكثر تمركزاً لأنهم غالبًا من أصل قديم (قلة من الغرناطيين) وبالتالى أكثر تجانسًا. وكان يوجد فى كل منطقة لامنشا تقريبًا سكان موريسكيون، لكن بعدد أقل ؛ ففى الشمال يبدو الموريسكيون أكثر تشتتًا، وهم فى الغالب من أصول غرناطية، أما عن وسط كوينكا، فليس هناك وجود تقريباً لسكان موريسكيين.

ولم يكن السكان الموريسكيون فقط لا يزيدون، بل كان عددهم يتناقص بشكل محسوس خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر، ويرجع ذلك إلى الهجرة بشكل رئيسى. فعلى الرغم من وجود مستوطنات ثابتة وعدم حيازة أذون سفر، إلخ.، كانت هذه الهجرة، التى تتم ببطء، تتجه بشكل رئيسى ناحية الجنوب: إلى مناطق ذات كثافة سكانية موريسكية مثل طليطلة ، أو ناحية أماكن يجد الموريسكيون لأنفسهم فيها دورًا فى المجتمع بشكل رئيسى مثل مرسيه (Murcia) حيث عملوا بتجارة الحرير.

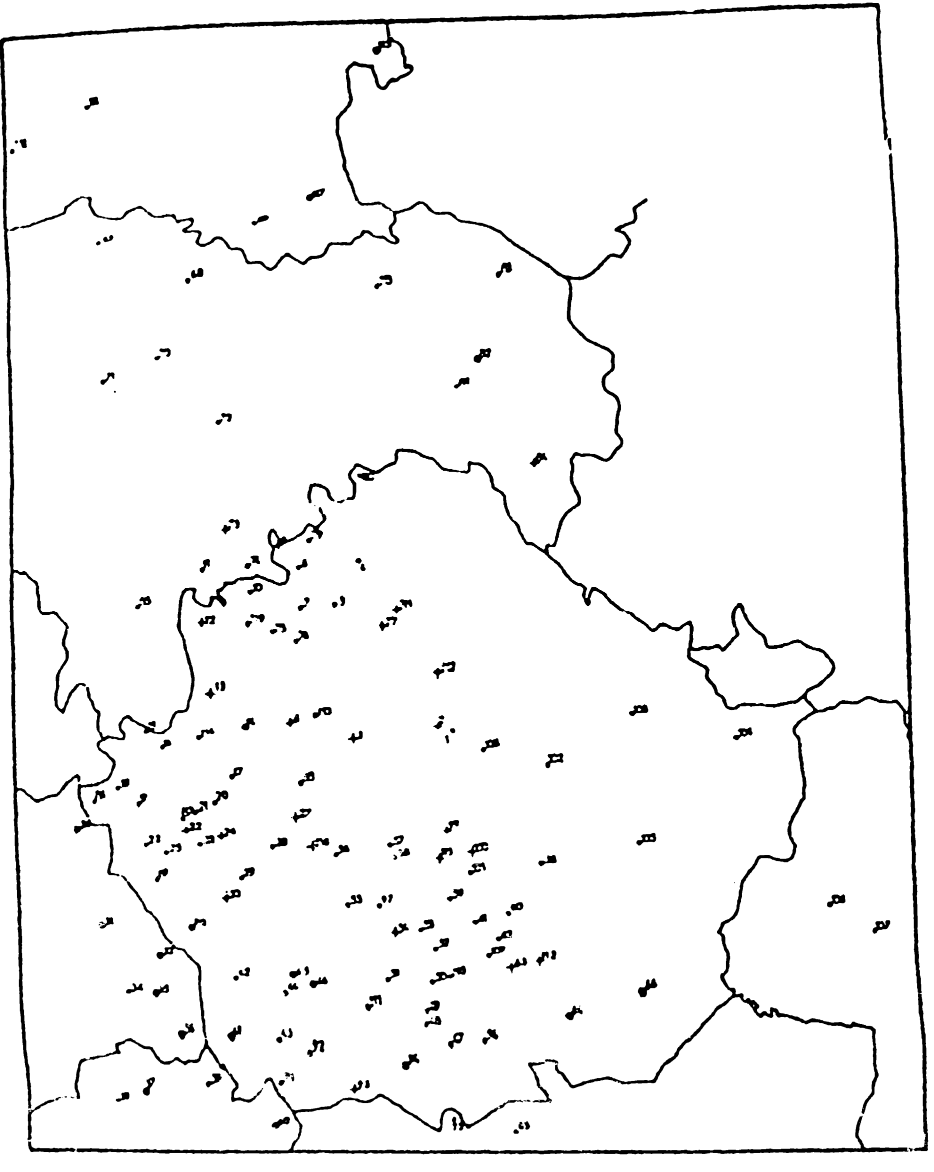
بالنسبة لوضعهم الاجتماعى وأنشطتهم المهنية، تُعد جماعة الموريسكيين بإقليم كوينكا – أعتقد أنه يمكن تعميم هذه الاستنتاجات على باقى قشتالة – جماعة مفيدة داخل المجتمع الذى يضمهم والذى يشكلون فيه يداً عاملة رخيصة. كانوا يقومون بشكل رئيسى بأعمال الزراعة ويشتغلون بالأعمال الوضيعة والقليلة الشأن: فلاحين بالأجر وبستانيين. لكن جزءًا من الغرناطيين، الذين عملوا جميعًا فى البداية كأجراء، تحسن وضعهم، إلى حد امتلاكهم الشخصى، على الأقل، لحيوانات وأدوات زراعية. بيد أنهم هجروا الزراعة أو جمعوا بينها وبين أنشطة تتعلق بالتجارة، بشكل رئيسى فى نقل البضائع – الأمر الذى أتاح لهم بعض الحرية فى الحركة والهروب إلى حدٍ ما من الرقابة المستمرة – وبيع التجزئة وامتلاك حوانيت "للمواد الغذائية" أو الخردوات أو مهن متعلقة بالتغذية كالسقّا وبائع الكعك، إلخ. وكانوا يمارسون أيضًا كل أنواع المهن الصغيرة "الحرف اليدوية"، وتشير وثائق ذلك العصر وحتى وثائق أقاليم أخرى إلى نفس المهن التى – طبقًا للمحاضر و الإحصائيات – كان يمارسها الموريسكيون (١٩).

على ما يبدو كانت الأقلية الموريسكية تتغلب على الصعوبات الاقتصادية المتفاقمة بشكل أكبر من الأغلبية المسيحية. فنشاط الموريسكيين وقناعتهم بعثت على الضغينة فى شعب كان يقلل بشكل كبير من قيمة العمل و يربطون ذلك بانتشار الفقر(٢٠): فاتهموا الموريسكيين – الغرناطيين منهم على وجه الخصوص – بأنهم أسهموا فى التقليل من قيمة العمل ، وأنهم قادرون على المعيشة فى ظروف غير مقبولة بالنسبة لهم. والأدلة المعاصرة المتعلقة بهذا الصدد لا تحصى: "أغلبية الموريسكيين حفارة وحصادين وبستانيين وناقلين لبضائع ، سواء على الأقدام أو على البغال ، وحدادين وذوى مهن وحِرَف أخرى، وهم مستعدون لأكل أى نوع من الطعام مهما كان سيئًا، وينفقون قليلاً، وعندما لا يكون هناك خمر نقدمه إليهم فإننا بذلك نسدى إليهم معروفًا" (٢١)

وجميع الغرناطيين من "حرفيين و عمال" " يعملون ويتكاثرون ويعرفون العيش على الكفاف" ولهم القدرة على "المشى والسهر ومكابدة الجوع والمعاناة من قلة الراحة بسبب الحر والبرد، والرضا بالقليل والسيئ من الطعام، ولا يستغربون النوم على الأرض. يعلمون أبناءهم منذ نعومة أظافرهم الحرف ويدربونهم على العمل وعلى ألا يكونوا عاطلين بدون حرفة. ولذا لم يُر بينهم متسول واحد [٢٢].

وطبقًا لبيانات الإحصائيات والمحاضر، لا يوجد موريسكى كوينكى واحد استطاع تلقى أى نوع من التعليم أو ممارسة مهنة كريمة [٢٣].

ويؤكد ريغلا على أن الموريسكيين لم يشكِّلوا بالطبع طبقة اجتماعية محددة، فبينهم كانت توجد أقلية أرستقراطية، وبرجوازية ثرية ، وطبقة حرفية نشطة، وغالبية من الفلاحين والأجراء [٢٤]. لكنى لا أعتقد بصحة هذا الإطلاق فيما يتعلق بالموريسكيين القشتاليين أو على الأقل بالذين عاشوا فى المناطق الكوينكية. أجل، هؤلاء الموريسكيون شكلوا طبقة اجتماعية أحط درجة من الفلاحين ومن الطبقة الريفية الكادحة. ولا يوجد بين الوثائق ما يعزز وجود أو إمكانية وجود (طبقة متوسطة) ولا حتى أرستقراطية أو جماعة قيادية داخل نفس الأقلية الموريسكية. فى الواقع، هم عبارة عن جماعة بدون قيادة ، ومجردون من كل إمكانيات التنمية أو الارتقاء الاجتماعى.



خريطة رقم (٢) القرى التى تمت فيها عملية إحصاء للموريسكيين فى الأعوام ١٥٨١ و ١٥٨٩ و ١٥٩٤ . انظر مقالى : "Los censos...", cit, hispania, 1978.

الهوامش

(١) J. P. Mártir Rizo, *Historia de la muy noble y leal ciudad de Cuenca,* Madrid, 1629, p. 48. T. Muñoz Silva, *Historia de la muy N. L. E I. Ciudad de Cuenca y del territorio de su provincia y obispado desde los tiempos primitivos hasta la edad presente,* Cuenca, 1866, t. II, p. 61.

(٢) طبقًا لما يُقرّه قانون كوينكا. انظر طبعة R. Ureña, Madrid. 1935 ، المادة ١٠ و ١٧ و٢٣ و ٢٥ التى تكفل الأمن الشخصى للمسلمين واليهود الذين يأتون إلى كوينكا أو يختلفون إلى أسواقها الموسمية، والمادة ١٩ و٢١ و٢٢ التى تعاقب من يجرح أو يقتل مسلمًا غريبًا أو مسلمًا أُعتق أو مسلمًا معاهدًا أو يعتدى على مسلمة غريبة. انظر أيضًا:

F. Fernández y González, *Estado social y político de los mudéjares de Castilla,* Madrid, 1866, p. 122.

(٣) J. Torres Fontes, "El alcalde mayor de las aljamas de moros en Castilla", *Anuario de historia del derecho español,* 1962, pp. 135-136 y 150. M. A. Ladero Quesada, Los mudéjares de Castilla en tiempos de Isabel I, Valladolid, 1969, p. 16.

(٤) M. García-Arenal, "La aljama de moros de Cuenca en el siglo XV", *Historia,* Instituciones, Documentos, *op. cit.,* p. 134.

(٥) Fernández y González, *op. cit.,* p. 134.

(٦) Ladero Quesada, *op. cit.,* pp. 17-20

(٧) M. García-Arenal, "Dos documentos sobre los moroa de Uclés en 1501". *Al-Andalus,* XLII, 1977, pp. 167-181.

(٨) مرسوم الثانى عشر من فبراير ١٥٠٢ . AGS, RGS, 1502, f. 1. Calíndez carvajal, CODOIN, t. XVIII, p. 303.

(٩) المدجنون" هم المسلمون الذين بقوا فى الأراضى المسيحية بعد استردادها و ظلوا يحافظون على عقيدتهم. و يسمون "موريسكيون" بداية من لحظة تحولهم إلى المسيحية. (*)

(١٠) يحفظ عن محكمة كوينكا محضر فقط من هذا النوع، محضر يوثى دى لا باثيا، فقيه بلدة مولينا، الذى حُوكم فى ١٤٩٥ ، وعوقب و نفى بسبب قيامه بالدعوة إلى دينه. (انظر ملحق الوثائق)

(١١) H. Ch. Lea, *The moriscos of Spain. Thei conversion and explusion,* reed. Nueva York, p. 52.

(١٢) بعد أن حرر بهذه الألفاظ، أذيع المرسوم فى التاريخ المذكور فى كوينكا و أويتى. AHN, lib. 250, ff. 2 v. y 3.

(١٣) L. Mármol Carvajal, *Historia de la rebelión y castigo de los moriscos del re-ino de Granada,* Biblioteca de Autores Españoles, XXI, Madrid, 1946, página 360. F. Janer, Condición social de los moriscos en España, Madrid, 1857, pp. 43-44. H. Lea. Op. Cit., p. 259.

يحكى جميعهم بالتفصيل الطرد إلى قشتالة. خاصة :

B. Vicente, "L explusion des morisques du royaume de Grenade et leur repartition en Castille (1570-1571)", *Mélanges de la Casa de Velázquez,* VI, 1971, pp. 187-222.

(١٤) Vicente, op. Cit., pp. 215 y 222.

(١٥) خلال رحلة من مدريد إلى لورقا فى ١٥٨٥، تقابل بيريث دى إيتا Pérez de Hita بالتوثانى El-Tuzani (أحد شخصيات كتابه " الحروب الأهلية فى غرناطة")، و يدعى الآن فرناندو دى فيغوروا (Fernando de Figuroa) ، فى بيانويبا دى أكارديتى، "حيث يوجد موريسكيو بيليث روبيو". Guerras civiles de Granada, BAE, III, Capítulo XXIV, p. 682.

(١٦) "La Mancha en el siglo XVI", *Hispnia*, 123, 1973, p. 151.

(١٧) AGS, Cámara de Castilla, legs. 2159 ss.

(١٨) M. García-Arenal, "Los moriscos de la región de Cuenca según los censos establecidos por la Inquisición en 1589 y 1594", *Hispania*, M. García-Arenal, (1978), pp. 151-199.

(*) لم يتحول المسلمون إلى المسيحية إلا فى الظاهر فقط ، وعليه فإن كلمة «موريسكى» معناها المسلم الذى بقى فى إسبانيا بعد سقوط غرناطة وأُجبر على اعتناق المسيحية وكان يمارس شعائر الإسلام فى الخفاء (المراجع) .

(١٩) انظر على سبيل المثال:

P. Aznar Cardona, Expulsión de los moriscos españoles, Huesca, 1612, página 33.

حيث يشير إلى أن الموريسكيين "كانوا يعملون في مهن لا تتطلب إلا الجهد القليل: نساجون وحاكة وحبَّالون وبائعو حلفاء وصانعو فخار وإسكافيون وبيطريون وناقلو بضائع على عربات وبائعو زيت وسمك وعسل وزبيب وسكر... (الخ) يعملون في مهنهم أو في بساتينهم طمعًا في الحصول على فواكه وخضروات وبقول."، أو شهادة الراهب ألونسو فرنانديث (Alonso Fernández) التي تشير إلى الموريسكيين بمقاطعة إكستريمادورا.

(Extremadura) : (Apud. F. Janer, Condición social..., p. 162) "كانوا يعملون في زراعة البساتين ويعيشون بعيدًا عن تجارة المسيحيين القدامى ولا يريدون أن يكون هناك شهود على طبيعة حياتهم. اشتغل آخرون بأشياء خاصة بالسلع وكان لديهم حوانيت لبيع المواد الغذائية... عمل آخرون في حرف يدوية: صانعوا قدور وحدادون وصانعوا نعال من الخيش وصبَّانون وناقلو بضائع... كانوا زهادًا في ملابسهم ومأكلهم ... ولم يسمحوا لذويهم بالتسول وكان كل منهم له حرفة وكانوا يشتغلون بشيء ما..." والحرف المهنية المذكورة في محاضر التفتيش هي: صانع صناديق وصانع سكاكين ونجار ونساج سجاد و (cañamero بائع سكر) وصانع فخار وصانع قدور وصانع أقفال وبناء وإسكافي وصانع نعال من الخيش والحلفاء وصانع حصر وطراز وصانع قلانس ونقاش وصانع سلال وصائغ" (sólo uno, ADC. Leg. Núm. 5066) .

(٢٠) انظر : J. Nadal, *La población española de los siglos XVI al XX,* Barcelona, 1973, p. 50.

(٢١) Pedro de Valencia, Tratado acerca de los moriscos de España, BNM, mss. 8888, ff. 35-36.

(٢٢) íd, ff. 27-29.

(٢٣) يذكر في المحاضر كاتب عمومي (ADC. Leg. 304, número 4394) ومجبراتي سواعد وأرجل مكسورة (ADC. Leg. 249, número (3352) "وصانع أربطة للمكسورين": هذا هو كل ما تبقى من ملامح التراث الطبي و الصيدلي الإسلامي الذي ورثه الموريسكيون.

(٢٤) J. Reglá, *Estudios sobre los moriscos,* Valencia, 1964, p. 222.

الفصل الثانى

الموريسكيون ومحاكم التفتيش
(محكمة تفتيش كوينكا)

تحدثنا بالفعل عن الحدود الجغرافية لمحكمة كوينكا. ويرجع تاريخ أقدم وثائق محفوظة بها إلى سنة ١٤٩٨، ولا يُعرف بالضبط الوقت الذى أُسست فيه ولا كيف وجدت. ويشترك كلٌ من ليا [١] Lea ويورينتى [٢] Llorente ومونيوث سوليبا [٣] Muñoz Soliva فى النظرية القائلة بأن المحكمة كانت فى البداية مقترنة بمحكمة مرسية والتى انفصلت عنها فى عام ١٥١٣، على الرغم من وجود وثائق تدلل على ارتباطهما حتى عام ١٥١٩ .

ويرى ماتيو لوبيث [٤] (Mateo López) أن المحكمة التى نحن بصددها أنشئت فى سيغوينثا ومن هناك انتقلت إلى كوينكا فى عام ١٤٩٨ . ويرفض مونيوث سوليبا [٥] هذه النظرية بحجة أنه لم تكن هناك أبداً أية محكمة فى سيغوينثا؛ ومع ذلك، يوضح ليا [٦] أن هذه المدينة كانت توجد بها محكمة تعمل بشكل مستقل فى الوقت الذى كانت فيها محكمة كوينكا مقترنة بمحكمة مرسية؛ وأن محكمة سيغوينثا تبعت لبعض الوقت محكمة طليطلة حتى انتقلت إلى كوينكا فى ١٥١٦ . ويرى سيراك [٧] أن فى عاصمتى الأسقفيتين أنشئت محكمتان ، وأنهما اتحدتا فى السنوات الأولى من عملهما.

لكن ما يتفق عليه المؤلفون عامة هو أنه فى ١٤٩٨ كان يوجد فى كوينكا محكمة تفتيشية تعمل بشكل مستقل [٨].

فى عام ١٥١٨، بعد أن أصبح المحاميان بيدرو دى لوس ريوس (Pedro de los Ríos) وخوان يانيث (Juan Yánez) قاضيين بمحكمة التفتيش، أمر قاضى محكمة التفتيش العام، حينئذ الكاردينال أدريانو دى أترشت (Adriano de Utrecht) ، أنه فى حالة صدور حكم على أى ملحد بدائرة أوكليس فلا بد من إبلاغ رئيس ديرها أو نائبه،

وهذا يعنى أن دائرة أوكليس – على الرغم من وقوعها فى نطاق سلطة محكمة كوينكا – كانت تتمتع بوضع مميز واستقلال إدارى إلى حد ما.

وبالنسبة لموقع المحكمة، ففى البداية كانت تقع " فى جزء يُعرف الآن بالديار الأسقفية وفى البيت المقابل "لدار الأبرشية" حتى عام ١٥٧٤، وهو العام الذى أصبح فيه أسقف كوينكا السيد غسبار كيروغا (Gaspar Quiroga) قاضياً عاماً على محاكم التفتيش حيث أمر بنقلها إلى شارع سان بيدرو، ببعض الدور المقابلة لكنيسة اليسوعيين (Jesuitas) ومن هناك انتقلت فى يوم السابع من ديسمبر عام ١٥٨٣ إلى المكان الذى توجد فيه الآن فى مقابل السور بالجزء الأسفل من المدينة حيث كانت توجد قلعة حصينة تحتفظ إلى الآن باسمها وبجزء من أطلال أسوارها.[٩]"

و طبقاً لما أورده سيراك [١٠] بقيت المحكمة فيما يُعرف بقلعة كوينكا حتى ١٨٠٨ وهو العام الذى احتل فيه الفرنسيون المدينة واستخدموا القلعة كثكنة، وعليه بددوا خزانة محفوظات المحكمة وخرّبوها.[*]

فى الوقت الراهن تحفظ وثائق هذه المحكمة بالقصر الأسقفى، بينما تحولت "القلعة" إلى ثكنة للحرس المدنى.

قامت محكمة التفتيش بنشاط بالغ فى كوينكا. وقد هيأت عزلة المدينة، عن مدريد، للمحكمة القيام بنشاط فعّال مثلها مثل محكمة طليطلة، لكنه كان سرياً للغاية. وعلى ما يبدو فإن هذه السرية تعد واحدة من الخصائص المميزة لها، وعليه فقد أُسند إليها موضوعات شديدة الحساسية [١١].

الوثائق

يوجد بدار المحفوظات الأسقفية بكوينكا ما يربو على ٤٨٠ محضراً حُقق فيها مع موريسكيين فيما بين عامى ١٥١٥ و١٦٣٠، ولم تتم مقاضاة أكثر من ثلاثة مسلمين قبل عملية التنصير فى عام ١٥٠٢ (فى ١٥٢٥ وفى ١٤٩٦ وفى ١٤٩٩) ولم يُقاضَ أحد بين هذا العام الأخير وعام ١٥١٥ .

(*) الجدير بالذكر أن خوسيه بونابرت قد ألغى محكمة التفتيش الإسبانية عام ١٨٠٨ بعد احتلال فرنسا لإسبانيا، وقد أعادها الملك الإسبانى فيرناندو الثامن إلى العمل عام ١٨١٣ . وقد ألغيت محكمة التفتيش بشكل نهائى عام ١٨٣٤ (المراجع).

و بما أننا نعلم أن خزانة محفوظات محاكم التفتيش قد خُرِّبت فى سنة ١٨٠٨ – ونظن أنه قد لحقتها تغييرات عديدة منذ ذلك الحين – [١٢] فثمة مشكلة تعرض لنا ، ألا وهى معرفة النسبة التى تمثلها هذه المحاضر مقارنة بالعدد الإجمالى للذين أقيمت ضدهم دعاوى.

و توجد بدار المحفوظات التاريخية القومية (A.H.N) عريضة محفوظة للنظر فى دعوى بين خزانة محكمة التفتيش المالية ودوق مدينة سالم حول بعض الموريسكيين الذين تمت مقاضاتهم بين عامى ١٥٧٥ و١٥٨٣[١٣]. ويبلغ عدد الذين حُقق معهم ستة عشر – بينهم ست نساء – ورد ذكر اسم بعضهم : حكم على جميعهم بمصادرة ممتلكاتهم ، وعلى ثلاثة منهم بالإعدام، وسمح للباقين بالتصالح مع محكمة التفتيش. وهناك عشر محاضر محفوظة بدار المحفوظات الأسقفية بكوينكا بينما فُقدت المحاضر الست الباقية.

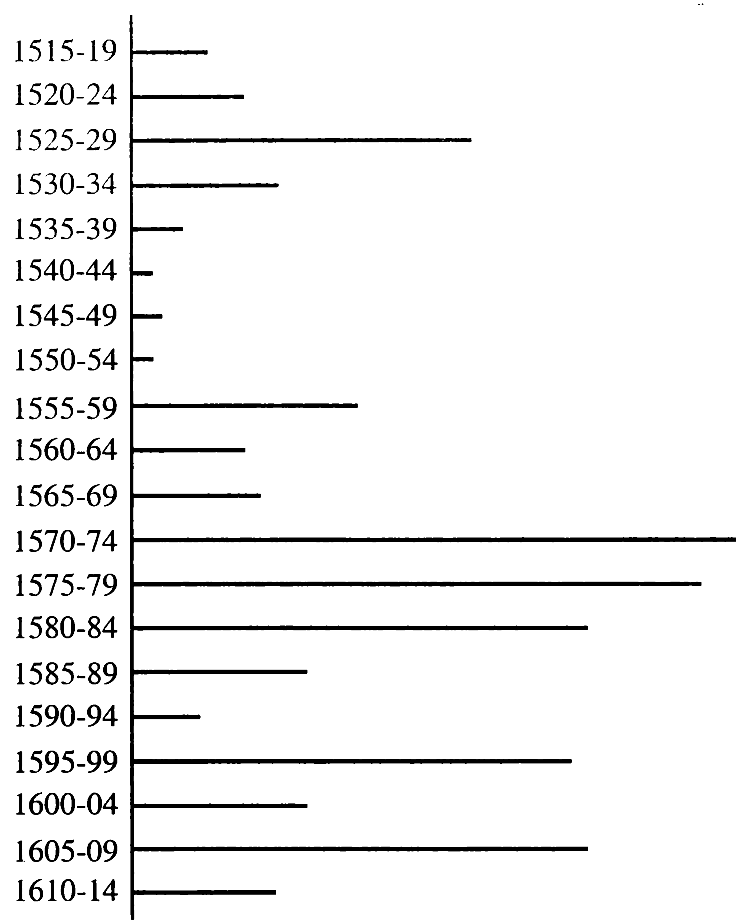
وعلى جانب آخر، لدينا بيان بالقضايا التى أُرسلت إلى أعضاء المجلس منذ عام ١٥٨٣ وحتى١٦٠٠ [١٤]. وفى هذا البيان ثبتت محاكمة مائة موريسكى خلال هذه السنوات السبع [١٥] منها أربعة وستون محضراً محفوظًا وفقدت الستة والثلاثون الباقية. إذن، وبشكل تقريبى جداً، يمكننا استنتاج أنه تم حفظ حوالى ٦٠٪ من المحاضر التى أجريت فى ذلك الوقت.

ومع ذلك، فنحن نجهل إلى أى مدى أثَّر التلف على ملفات بعض السنوات دون غيرها. ومن الصعب أن تكون وثائق خزانة المحفوظات بعصورها المختلفة قد لحقتها أضرار بنفس الحجم.

و مما تدلل عليه الوثائق المحفوظة، بعدما تمت معالجة هذا التلف، أن نشاط محكمة كوينكا فيما يتعلق بالأقلية الموريسكية التابعة لها كان متفاوتًا. ولا يجب أن يُستغرب ذلك ولا أن يُنسب ذلك فقط إلى فقدان الوثائق، لأنه مرتبط بالإجراءات التى قام بها كل من التاج الإسبانى والكنيسة فى النزاع الموريسكى: عدم التسامح ووسائل قمع نُفذت بحذافيرها تخللتها لحظات من الليونة والعطف غالبًا ما فسرها الموريسكيون على أنها ضعف أو عجز.

وعلى أية حال، وحسبما يتضح من نشاط محاكم التفتيش، فحدة التوتر فى المواجهة بين الموريسكيين - المسيحيين القديمة لم تكن تسير على وتيرة واحدة، لكنها تعكس أحداثًا داخلية فى الدولة وغالبًا أحداثًا ذات علاقة بالسياسة الخارجية والتى لا ترتبط دومًا بشكل مباشر بالنزاع.

وبعد إعداد رسم بيانى عن عدد المحاضر التى أجريت فى كل عام تم الحصول على النتيجة التالية:



تبرز ثلاث قمم بوضوح فى الرسم البيانى

تبلغ القمة الأولى ذروتها فيما بين عامى ١٥٢٥ و١٥٢٩، والتى قام فيها العامة من مملكة فالنسيا المجاورة بإثارة موجة من العنف ضد الموريسكيين ، والتى بلا شك كان لها صدى فى الأقاليم المجاورة (١٦).

بلغت الثانية ذروتها فى الأعوام من ١٥٧٠ إلى ١٥٧٤ ، وهى أكثر القمم الثلاث توترًا، و تبدأ من عام ١٥٦٩ إلى ١٥٨٥ .

تبرهن القمة الثالثة على استفحال نشاط محاكم التفتيش فى السنوات السابقة للطرد مباشرة.

بالإضافة إلى تلك القمم الثلاث التى تظهر بوضوح فى الرسم البيانى، نلاحظ زيادة مفاجئة فى عدد المحاضر فيما بين سنتى ١٥٥٥ و١٥٥٩ . ولا يجب أن ننسى إسبانيا مُنيت خلال تلك السنوات ببعض الهزائم المنكرَة أمام الأتراك فى البحر المتوسط، وبخاصة هزيمة مستغانم (*) أمام الساحل الجزائرى، والتى يقارنها بعض المؤلفين بمعركة ليبانتو (Lepanto) . وليس محالاً أن تكون تلك الهزائم قد أثّرت فى موقف محاكم التفتيش من الموريسكيين، فهى لم تقم برد فعل فقط فى إطار هذا المضمون عندما يحدث شىء يبرز الأقلية الموريسكية على أنها خطر، لكن الموريسكيين اعتادوا الاحتفال بانتصارات السلطان العثمانى كما لو كانت انتصاراتهم هم، وهو أمر يستوجب العقاب كما يتضح من محاكمات مختلفة (١٧).

وطبقًا لما يراه ليا (١٨) فقد قل نشاط محكمة تفتيش أراغون و فالنسيا إلى حدٍ ما، وذلك فيما يتعلق بالموريسكيين حوالى عام ١٥٤٠ . (و هو ما يمكن ملاحظته أيضًا فى رسمنا البيانى) بينما وصلت محكمة طليطلة إلى أقصى نشاط لها حوالى عام ١٥٧٠ وهو ما يبرهن على التوافق بين موقف المحاكم المجاورة ومحكمة كوينكا.

و تسهم الأماكن التى تحوى أكبر عدد من المتهمين فى رسم خريطة للأماكن التى تمت فيها ممارسة الإسلام بشكل سرى بالمنطقة.

(*) تقع مدينة مستغانم فى شمال الجزائر على ساحل البحر المتوسط ، بالقرب من وهران . (المترجم) .

وتبرهن مراكز الشمال الغربى على التمسك الشديد بالإسلام ؛ ففى أركوس ٩٥ محضراً وفى ديثا ٩٣ ، وكلاهما يجمع أكثر من ثلث المحاضر المحفوظة، ويتبعها من بعيد بعض الأماكن الواقعة فى لامنشا مثل سان كليمنتى (وبها ٣٢ محضراً) وسوكوياموس (و بها ٣٠ محضراً).

وبعد إعداد خريطة [١٩] سنتحقق من أن أكثر الأماكن تماسكًا من حيث ممارسة الإسلام بشكل سرى تتمركز فى الحدود الأراغونية وفى الأراضى المجاورة لفالنسيا وفى لامنشا وفى المناطق التى بها أغلبية موريسكية. على العكس لم يُسجل أى بلد فى منطقة وسط كوينكا وغوادالاخارا. فكما رأينا، كان السكان الموريسكيون متفرقين فى أراضى هاتين المنطقتين إلى جماعات أقل كثافة.

وعدم وجود موريسكيين متهمين فى هاتين المنطقتين يعزز من افتراض اندماجهم بدرجة كبيرة فى المجتمع المسيحى، إذن فإن السياسة التى قام بها فيلبى الثانى من التشتيت والتوزيع قد أتت ثمارها نوعًا ما.

ويمكن أن نستنتج - كمعطى أولى يعضده محتوى المحاضر- أن أقصى درجة لانتشار الإسلام يبلغ مداها فى تلك المناطق التى بها - على وجه الخصوص - كثافة وتجانس بين السكان الموريسكيين (سواء من أصل قديم مثل سكان مناطق الشمال، أو من أصل غرناطى مثل سكان منطقة لامنشا) ممن لهم علاقة وطيدة بمناطق موريسكية أخرى أكثر تمركزًا (مثل الضفة اليمنى لنهر الإبرو أو فالنسيا) وفى أراضى لامنشا والتى بها نسبة مئوية عالية من الغرناطيين.

وكما سنرى لاحقًا، فقد تمت المحافظة على بنية الحياة الدينية فى جنبات البيوت الإسلامية السرية، والتى لعبت المرأة فيها دوراً مهمًا بوصفها محافظة على العادات والتقاليد والشعائر وكناقلة للتعاليم. (*)

(*) قامت المرأة المسلمة بدور بارز فى الحفاظ على التراث الإسلامى فى إسبانيا بعد سقوط غرناطة ، هذا ما تؤكده أبحاث المؤتمر العالمى السابع للدراسات الموريسكية المنعقد فى زغوان (تونس) والتى نشرت أعماله عام ١٩٩٧ (المراجع) .

من خلال قراءة المحاضر، غالباً ما يكون المتهم قد تعلم الشعائر الإسلامية من إحدى نساء عائلته، وهناك العديد من النساء المتهمات بنشر الدعوة مثل آنا لينان (Ana Linán) فى ديثا (١٥٢٠) وهى زوجة لناقل بضائع كانت تريد إدخال "نساء أخريات فى الإسلام ، وتقدم نفسها على أنها داعية ومعلمة لملة محمد"

وتشير الشهادات العديدة إلى هذه النزعة المحافظة من جانب النساء فيما يتعلق بموضوعات دينية وتمسكهن بالتقاليد القديمة.

بالفعل، عندما سُئل القضاة، فى (١٥٧١)، عما إذا كانت تجب معاقبة الموريسكيين لعدم حضورهم الطقوس الدينية، أجابوا بمعاقبتهم "لأن غالبيتهم، وخاصة النساء، لا يستمع إليها" [٢٠].

وثمة إصرار فى "التقرير الخاص بتثقيف الموريسكيين" بفالنسيا [٢١] على حضورهم إلى الدروس الدينية "و خاصة النساء حيث إنهن الأكثر امتناعاً".

وعليه، فمن المهم أن نرى النسبة المئوية للمتهمات من النساء فى الأقاليم المتفرقة، حيث إنها تشير أو تتطابق مع الفترات الحرجة التى تمت فيها ممارسة بشكل سرى: فمن بين ٩٥ متهماً فى أركوس يوجد أربعون امرأة ، ومن ٩٣ فى ديثا توجد ٥٣ ، ومن ١٥ إلى ١٨ امرأة من مجموع ٣٠ إلى ٣٢ فى سوكوياموس وسان كليمنتى ، و٨ من ١٢ فى كامبو دى كريبتانا. وهذا يتعارض مع العدد الضئيل أو عدم الوجود المطلق لنساء متهمات فى أقاليم أخرى [٢٢].

بالفعل، لا توجد أكثر من امرأة أو امرأتين أقيمت ضدهما دعاوى فى المنطقة المركزية للإقليم محل الدراسة، وحتى فى مناطق تقع فى لامنشا يقطنها تجمع موريسكى كثيف مثل كينتانار ولارودا وكورال دى ألماغير أو بيانويبا دى ألكارديتى.

و لنذكر بعض النماذج : تزوج لويس لوبيث (Luis López) من بلدة سوكوياموس [٢٣] بموريسكية كانت قد نشأت كخادمة فى أحضان عائلة من المسيحيين القدامى، وكانت تبدى تمسكًا شديداً بعقيدة سادتها. كانت فى شجار مستمر مع زوجها: فهو يهينها لأنها لا تعرف "العربية والبسملة" ويقول لها "يا غبية، لقد خدعك هؤلاء الناس

الذين ربّوك" ويحاول أن يقنعها بأن الصليب" ليس أكثر من عمود خشبى يعترضه عمود آخر" " وكيف يُعقل أن العذراء ولدت وظلت عذراء كما هى" و "أن يسوع كان رجلاً صالحًا لكنه لم يكن ربًا ولا ابنًا للرب" أو "يا مسكينة، جعلوك تعتقدين بوجود قديسين فى السماء، ولا يوجد إلا الله ومحمد".

كذلك أيضًا، فى سوكويامومس (٢٤)، تشهد امرأة ضد زوجها الذى " كان يعلمها العربية ليلاً، وكانت تقول له هذه الشاهدة إنها لا تريد تعلمها ولا فهمها وإن المدعو زوجها كان يقول لها: لو كان يعلم أنها لا تعرفها لم يكن ليتزوج بها." كان يضايقه ذهابها إلى القداس واختلاطها بمسيحيات قديمات، وذات يوم طلبت منه إذنًا كى تذهب إلى موكب دينى، قال: " لو أنها فعلت سيحطم عظامها".

و فى سان كليمنتى، فى سنة ١٥٩٣، تتهم زوجة ألونسو دى مولينا (Alonso de Molina) زوجها وموريسكيين آخرين بالقيام بممارسات إسلامية ورغبته فى إجبارها على ذلك. وفى كامبو دى كريبتانا، فى ١٥٩٨، هناك فتاة يعاملها والدها وزوجته بشكل سيئ لأنها مسيحية صالحة ولا تريد تطبيق الإسلام... النماذج عديدة.

يبدو - إذن - أن المرأة كانت هى المحافظة على التقاليد والعادات بشكل أكثر أصولية من الرجل، وعليه فسرعان ما ستندمج وتتكيف بدرجة كبيرة مع الدين الجديد مع بداية مرحلة معينة أو وضع معين. ولنتذكر، على وجه الخصوص، نموذج عائلة ريكوتى (Ricote) الموريسكى الثيربانتى(*) الشهير: وهى عبارة عن عائلة من موريسكيى لامنشا: آنا فيليكس (Ana Felix) وأمها فرنثيسكا ريكوتا (Francisca Ricota) "مسيحيتان كاثوليكيتان"، ويعترف ريكوتى بأنه " ليس كذلك" بينما يعترف خوان تيوبييو (Juan Tiopieyo) صهره ، بأنه " مسلم جيد". ويعلق لوبياس (Loupias) (٢٥) مؤكدًا أن " المرأة كانت تمثل دورًا رئيسيًا ، وأسرعت، إن لم تكن قامت، بعملية الاندماج".

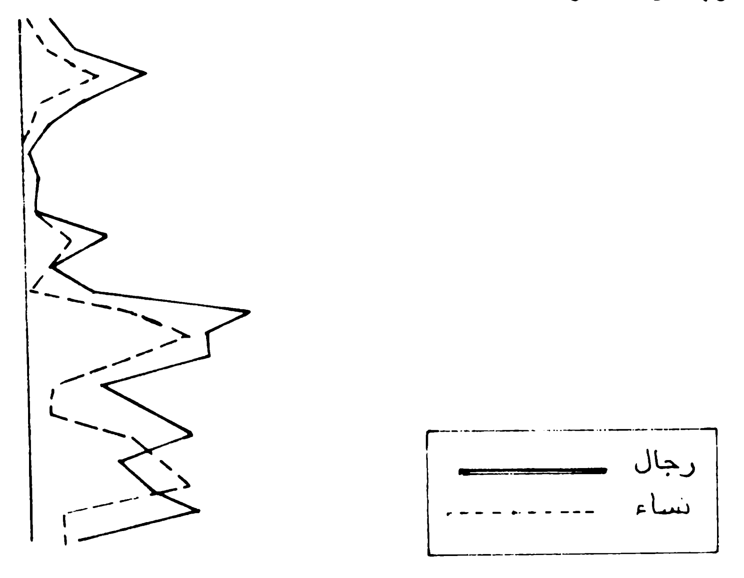
ومن جانبنا، يمكن أن نؤكد على أن ثبات الإسلام فى منطقة بعينها له علاقة مباشرة تناسبية مع عدد النساء المتهمات. فى تلك المناطق - على الرغم من كثافة

(*) نسبة إلى ميغيل دى ثيربانتس مؤلف القصة الشهيرة دون كيخوتى دى لا مانشا . (المترجم) .

السكان الموريسكيين وغزارة المحاضر التى حقق فيها - فتندر محاضر النساء اللاتى قطعن شوطًا كبيرًا فى عملية الانصهار فى المجتمع القشتالى.

ويطرح لوبياس (٢٦) نظرية مفادها أن محاكم التفتيش حافظت على اتفاق خاص مع النساء على اعتبارهن أكثر تأثيرًا ونفاذًا فى البيئة المحيطة.

وانطلاقًا من هذه الفكرة، قمنا بإعداد رسم بيانى أوردنا فيه بشكل مفصل محاضر الرجال ومحاضر النساء.



على الرغم من أن محاضر النساء لم توزع جغرافيًا بشكل متجانس مع محاضر الرجال، كما عرضنا، إلا أنه من السهل رؤية تجانسها الزمنى: فكلا الخطين يسيران بشكل متوازٍ للغاية، والنقاط التى يفترقان فيها بشكل كبير هى بالضبط فى الأعوام التى كان فيها القمع على أشده. وتعد نسبة محاضر الذكور هى الأكبر فى تلك الأوقات. وكاستثناء وحيد، يفترق الخطان فى الأعوام السابقة للطرد مباشرة. خلال هذه الأعوام كانت النساء فى الغالب يذهبن (محاضرهن محفوظة وغير كاملة بتاريخ ١٦٠٩ و١٦١٠) تلقائيًا إلى محاكم التفتيش للاعتراف أو حتى لاتهام الجيران أو المعروفين.

إزاء شائعات الطرد - ظنن أنهن، بهذه الطريقة، ستُعتبرن مسيحيات مخلصات، وهكذا يكون بوسعهن تفادى الطرد: وبمجرد انتفاء السبب، يوجد عدد كبير من النساء اللاتى يتخلين عن موقفهن، من المحتمل رجوعهن إلى الإسلام لنفس الدافع الذى جعلهن يتشبثن بالتقاليد من قبل.

و لقد حولت الظروف التى كان يعيشها الموريسكيون الإسلام إلى نظام محمى ومحفوظ فى قلب العائلات. فتلك العائلات الأكثر ثباتًا فى عقيدتها شكلت أسرات حقيقية عاقبتها محاكم التفتيش التى لم يفلح نشاطها فى إضعافهم على ما يبدو. على سبيل المثال: هناك أحد عشر فردًا من عائلة أورتوبيا (Hortuvia) ببلدة ديثا، اتُهموا على مدى الأعوام ١٥٥٧ و١٥٧٠ و١٦٠٧ و١٦٠٨و ١٦١٠، ومن نفس البلدة، هناك سبعة آخرون من عائلة ثيلى (Cieli) متهمين فيما بين ١٥٢٤ و١٦٠٩، وأربعة من عائلة ثيبيا (Cebea) فى أعوام ١٥٧٠ و١٦٠٨ و١٦٠٩ و. ١٦١٠ ، وحدث فى أركوس الشىء نفسه : ستة من عائلة كاريو (Carrillo) اتهموا فيما بين عامى ١٥٢٤ و١٥٧٧، وثمة سبعة آخرين من عائلة موراغا (Moraga) فيما بين عامى ١٥٥٩ و١٥٩٦، إلخ.

من خلال إحصاء عام ١٥٩٤ ، ومن خلال تلك المحاضر التى يثبت فيها نسب الضحايا، نتحقق من أن هذه العائلات (التى تسميها محاكم التفتيش " من ذرية وسلالة المتصالحين مع محكمة التفتيش") كانت تتزاوج فيما بينها، الأمر الذى أسهم فى الحفاظ على الجماعة وعدم اختراقها. بالإضافة إلى ذلك، هناك زيجات عديدة بين أناس من أركوبس وديثا، ومن هاتين البلدتين حدثت مصاهرة مع أناس فى أماكن بأراغون مثل سيستريكا (Séstrica) وكالندا (Calanda) وأريثا (Hariza) وبيا فيلتشى (Villafe-liche) وكالاتايود (Calalatayud)، إلخ.

ويحدد محتوى المحاضر البيانات الأكثر دلالة على المستوى الدينى للمجتمع الموريسكى. وهذا المستوى ليس ثابتًا ولا متساويًا عبر الزمان، كما رأينا فى مناطق مختلفة.

بالنسبة للترتيب الزمنى، يظهر بوضوح الحد الذى يعنى وصول الموريسكيين من غرناطة. وتعاقب محاضر ما قبل عام ١٥٧٠، والتى تعد أقل بكثير من حيث

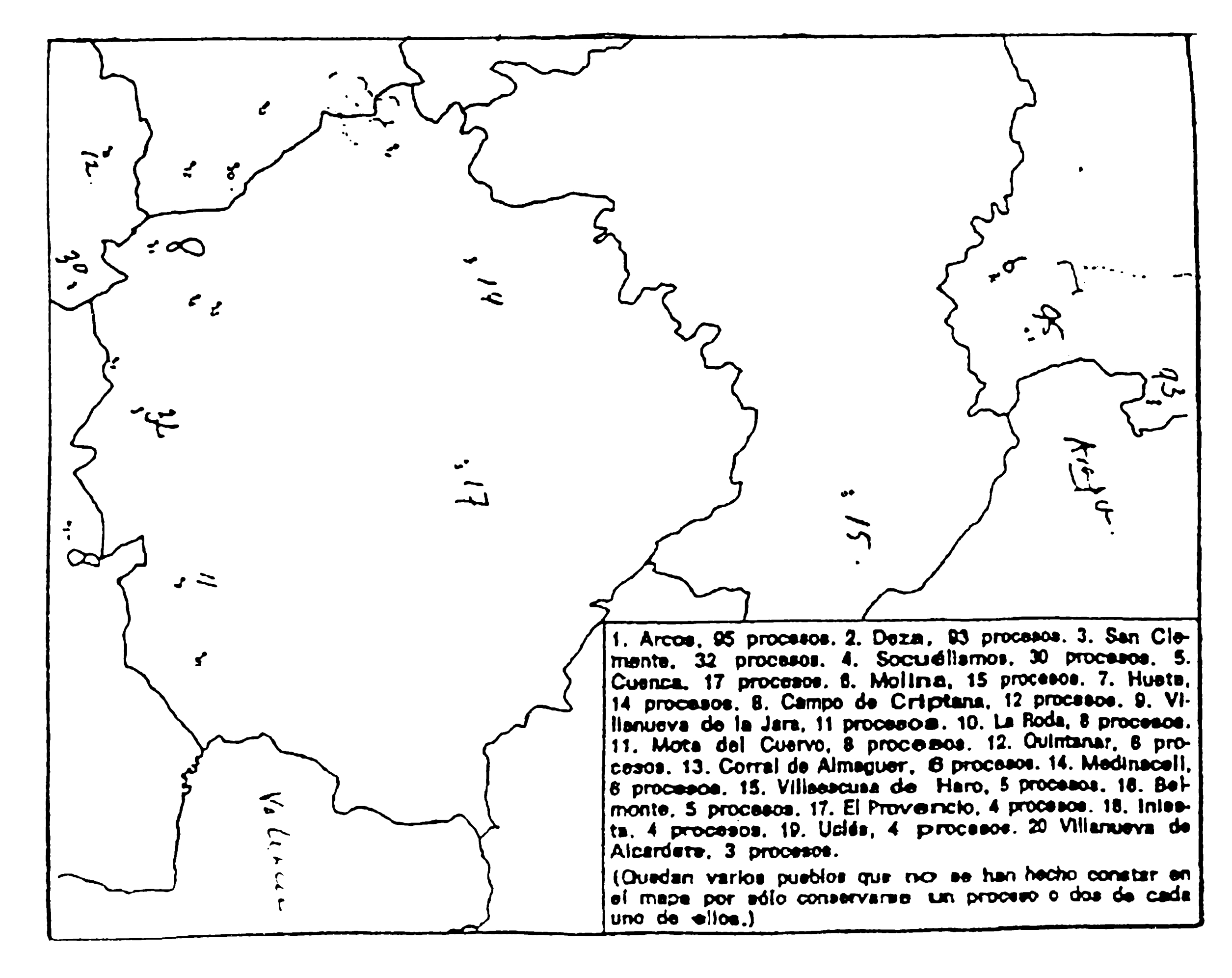
العدد من المحاضر التى بدأت فى هذا التاريخ، متهمين بالكفر ممن لهم مواقف ضد المسيحية وآراء متضامنة مع السلطان العثمانى أو مع الغرناطيين، أو يظهرون فرحة بالنسبة للانتصارات الإسلامية، إلخ.، بنسبة أكبر من هؤلاء الذين يظهرون معرفة وتطبيقًا للدين الإسلامى.

ويظهر بوضوح كيف أن الغرناطيين يمثلون بعثًا لروح الإسلام المدجن الذى ضعف بسبب التعايش مع المسيحيين لبضعة قرون(٢٧).

فى غالبية المحاضر هناك العديد من الشهود الذين يؤكدون على تميز شعب بأكمله، ليس فقط حول المتهم الذى يشهدون ضده. ففى أكثر من مرة (٢٨) يطلب نائب كنيسة أركوس من محكمة التفتيش تطبيق أى وسيلة فى قريته، لأن جميعهم مسلمون فى الظاهر، وبالتالى يرفض إعطاءهم أسرار القربان المقدس خوفًا من تدنيسها (٢٩). ويشهد راهب هذه القرية نفسه، فى مرة أخرى (٣٠)، أن "جميع الموريسكيين من مواطنى هذه القرية نصارى غير مخلصين ولا يذهبون أبدًا أيام الأحد لسماع القداس أو إلى الاحتفالات بشكل منتظم".

وثُبِت أيضًا (٣١) "أن كل الموجودين فى سوكوياموس هم موريسكيون، و يجب اقتيادهم إلى محكمة التفتيش هذه باستثناء الشيوخ والصغار" ، وهذا يرجع إلى "مشاركتهم فى حرب (البشرات)، فهم مسلمون ويفعلون ما يفعله المسلمون". وفى بيا إسبيا دى آرو (٣٢) "ثُبت أن جميع الموريسكيين ممن قدموا إلى هذه الأرض يفعلون أشياءً ويمارسون شعائر خاصة بالمسلمين ويعيشون على دين المسلمين". الشىء نفسه فى سان كليمنتى، "يجب أن يُأتى بكل المسيحيين الجدد بسان كليمنتى إلى محكمة التفتيش، ولم يكن صوابًا كل ما فُعل من أجل هؤلاء المسلمين الكلاب" (٣٣) و"فى بلدة ديثا، كان السواد الأعظم من المسيحيين الجدد مسلمين، وفى هذه المحكمة يوجد منهم مسجونون ومتهمون ظلوا على إسلامهم مثلما كانوا من قبل" (٣٤).

و دائمًا ما تتشابه الشهادات مع نفس الأماكن التى تظهر بدورها فى الخريطة التى تم إعدادها اعتمادًا على المحاضر. فى هذه الأماكن يظل الإسلام الموريسكى أكثر حياة وأكثر رسوخًا.



خريطة رقم (٣) المحاضر

بداية، تُسمى محاضر المسلمين المُعمَّدين " مسيحيون جدد من أصل مسلم" وبدءًا من سنة ١٥٢٦ نجد مسمى " مسيحى جديد موريسكى" وفى السنوات الأولى من العقد ١٥٣٠ بدأ يتردد لفظ "موريسكى" على الأقل مثله مثل اللفظين المذكورين آنفًا. ومع ذلك، لم يفرض مسمى "موريسكى" نفسه حتى عام ١٥٥٧ تقريبًا، دون أن يتسبب فى التلاشى الكامل لمسمى " مسيحى جديد من أصل مسلم". ويمكن القول بأنه مع بداية ١٥٧٠ تم استخدام مسمى "موريسكى" بشكل مطلق. ويجدر أن نتساءل إذا كان الانتقال من مسمى " مسيحى جديد من أصل مسلم"، وهو مسمى تم تطبيقه بشكل عام على المدجنين الحديثى التنصر ممن لهم ارتباط بالحياة القشتالية منذ زمن بعيد، إلى مسمى "موريسكى" يحدد الوقت الذى تم التنبه فيه إلى مشكلة بدأت تأخذ طابعًا قوميًا حيث أُدرج فيها المدجنون المسالمون وغير المضرين.

وتبدأ المحاضر [٣٥] ببلاغ أو بخبر مشابه كالاعتراف بعد تأدية اليمين فى محكمة تفتيش ويقوم به شخص ما لأسباب مختلفة. وغالبًا ما يكون البلاغ جزءًا من اعتراف متهم آخر، حيث توجد احتفالات وشعائر جماعية و بالتالى ،فإن اتهام أحد أفراد العائلة أو مجموعة منها يورّط الباقين. وبهذه الطريقة توجد "سلاسل من المحاضر": اعتبارًا من اعتراف أحد الأفراد حول التكفين على الطريقة الموريسكية على سبيل المثال، فإن العديد من أفراد العائلة والأصدقاء والجيران إلخ ، يصبحون موضع اتهام وتتم محاكمتهم على الفور. وغالبًا ما تكثر البلاغات فى موسم العيد، وكما سنرى فإن القيل والقال وعلاقات الجيران ، كل ذلك يتيح الفرصة للوشايات.

والمطلوب هو ثلاثة بلاغات، واعتبارًا منها يتم تصنيف القضية وإصدار أمر بالقبض على المتهم: وهذا يتطلب الحجز التلقائى على جميع الممتلكات المنقولة والأصول التى يؤخذ منها مال لسداد تكلفة الإقامة الطويلة للمتهم فى السجن.

ويشتمل أمر القبض على الألفاظ التالية: "... احجزوا على جميع الممتلكات والأصول حيث توجد... وفى حالة العثور على نقود بين الأشياء المحجوز عليها

فأحضروها معكم وفاءً للنفقات والغذاء الذى يفوق ثمانية دوقيات(*) (Ducados) فإن لم تجدوا مالاً فبيعوا الممتلكات الأقل ضرراً حتى يُتوصل إلى القيمة المذكورة من المال ويذاع ذلك أمام كاتب عدل تُسلم أمامه وبحضورنا إلى أمين بيت المؤن المختص بمساجين محكمة التفتيش هذه، حتى يُطعم منها. وكذلك أيضًا، أحضروا من الممتلكات المحجوز عليها فُرشًا حتى... ينام عليها. وأيضًا مائتى دوقية للمصروفات الاستثنائية الخاصة بمحكمة التفتيش هذه." [٣٦] وعليه، فكل من توفر لديه الخبر بقدوم محكمة التفتيش للقبض عليه كان يسرع لإخفاء ممتلكاته بالشكل المتاح، وهو عمل تعاقب عليه محكمة التفتيش بشدة إذا ما علمت به. فعلى سبيل المثال، فإن أحد الاتهامات الرئيسية الموجهة إلى آنا دى أورتوبيا (Ana de Hurtovia) المتهمة فى ديثا، سنة ١٦١٠، هو أنها أسرعت إلى أحد الموريسكيين لتنبهه وتنصحه بإخفاء جميع حاجياته، بعد أن علمت بقدوم محكمة التفتيش للقبض عليه [٣٧]. وبمجرد القبض عليه يحبس المتهم فى سجن سرى تم تخصيصه للملحدين أو للمشكوك فى إيمانهم، ولا يسمح له بالاتصال بأى شخص من خارج المحكمة [٣٨]. وبعد ثلاثة أيام من وجوده بالسجن تعقد له ثلاث جلسات أو حلقات تحذير يتم تحذير المتهم فيها حتى يعترف بالحقيقة ، ويعدونه باستخدام الرأفة معه إذا قام بذلك.

يجوز أن نتساءل إذا ما كان الانتقال من مسمى «مسيحى جديد من أصل مسلم» ، وهو مسمى سبق لهم تطبيقه بشكل عام على المدجنين حديثى التنصر ممن لهم ارتباط بالحياة القشالية منذ زمن بعيد ، إلى «موريسكى» يحدد الوقت الذى يُتنبه فيه إلى مشكلة أخذت طابعًا قوميًا وتم فيه إدراج المدجنين المسالمين وغير المسالمين .

وخلال حلقات التحذير الأولى هذه يُستَقصى أيضًا عن نسب وقرابة المتهم (الذى يثبت فى المحضر) وعما إذا كانت محكمة التفتيش قامت بالتحقيق مع أحد من أفراد عائلته. ويجعلونهم يرتلون أيضًا الصلاة الربانية والسلام على مريم أو صلاة الإيمان المسيحى، وهى صلوات يجهلونها عامة أو يعرفون جزءًا منها ويتعثرون فيه. بل هناك بعض الموريسكيين لا يعرف حتى الإشارة إلى نفسه بإشارة الصليب على الوجه المطلوب.

(*) اسم لعملة قديمة (المترجم) .

وبعد حلقات التحذير الثلاث يقوم ممثل الادعاء بصياغة الدعوى ضد المتهم ويشير فيها إلى أقوال الشهود واعتمادها. وغالبًا ما تعتبر شهادة المتهم غير كافية حتى ولو اعترف فى حلقات التحذير، و ذلك راجع للاعتقاد فى أنه لم يصرح بكل ذنوبه أو لأن اعترافه لا يشمل أشخاصًا آخرين على علاقة به ومعروف عنهم القيام بأعمال مشابهة لما يقوم به. فى هذه الحالة يوصف بأنه "مُنكر وأن اعترافه بذنبه ناقص" ويمكن أن يُتهم بإخفاء ملحدين. حينئذ يطلب ممثل الادعاء أن يوضع المتهم تحت طائلة التعذيب.

بعد الاتهام يأتى الدفاع عن المتهم، وغالبًا ما يبدو المتهم فى الدفاع نادمًا وراغبًا فى الإقلاع عن ذنوبه، بالإضافة إلى محاولة الاعتذار عنها لعدم توافر نية الإلحاد أو للجهل. ويتبع ذلك الدليل من جانب ممثل الادعاء وعرض الشهود والأدلة. وحينئذ تنتقل القضية إلى تفصيل الحكم والقضاء به.

وعادة ما تطول المحاضر جدًا، ففى الغالب تستغرق المحاضر سنتين أو ثلاث سنوات، بل أكثر فى بعض الأحيان.(*) بل حتى فى الحالة النادرة التى يطلق فيها سراح المتهم (١٤ بريئًا من مجموع ٤٨٠ محضرًا فى كوينكا)، فإنه يكون قد قضى وقتًا طويلاً فى السجن على نفقته وبمعزل عن العالم الخارجى.

وتتعدد أنواع العقوبات التى تتطلب أحكامًا: «معاقب» هى أخف نوع من العقوبات. والعقوبات المؤقتة تستوجب عقوبات جسدية ومالية [٣٩] بالإضافة إلى السجن المؤقت أو عقوبة التجديف فى السفن الملكية أو النفى بدرجات مختلفة. وتقع عقوبة "معاقب" على من يُتهم بالكفر أو على من لا يوقر السلطات أو من يُشك بأنه ملحد.

ويُبنى هذا الشك على درجتين: خفيف وقوى، وعلى حسب أى درجة منهما يجب على المتهم أن ينكر ما اقترفه من ذنوب سواء كانت بسيطة أو عظيمة على الملأ فى الاحتفال الرسمى لإعدام الملحدين حرقًا، وبعد ذلك يصفح عن انتهاكه لحرمة الكنيسة التى وقع فيها بدون احتراس ويعاقب بعقوبات شخصية ومؤقتة حسب حجم الذنوب التى ارتكبها.

(*) انظر على سبيل المثال قضية كوسمى بن عامر المنشورة فى كتاب «الموريسكيون الأندلسيون» لنفس المؤلفة، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣. (المراجع).

ولو انتهت الشكوك إلى الإلحاد الرسمى، فيُقبَل من المتهم، إذا ما كان ملحداً تائباً ومؤتمناً، المصالحة مع محكمة التفتيش: البراءة والقبول من جديد فى الوسط الكنسى بعد إنكار الذنوب وتطبيق العقوبات الصادرة ضد المتصالحين فهنا ، على سبيل المعرفة ، مصادرة تامة للممتلكات المنقولة والأصول وعدم ممارسة العادات الخاصة والسجن المؤبد (قابل للاستبدال بسجن مؤقت فى بعض الأحوال) وعدم الأهلية لتولى الوظائف أو للحصول على ألقاب رفيعة أو نيل التشريفات أو لبس حلى أو ملابس فاخرة هم وأبناؤهم حتى الجيل الثالث.

وبناء على ما ورد فى رسالة بابوية صدرت فى روما فى ١٥٦٧، صدر إذن بإلقاء جميع الموريسكيين فى سفن لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، ويتعين عليهم أن يعملوا بدون أى مقابل [٤٠]، وفى الغالب، و بداية من هذا التاريخ، كان المتصالحون يقضون السنوات الأولى من سجنهم المؤبد وهم يخدمون فى سفن الملك.

وإذا عاد المتهم – الذى أعلن رسمياً أنه ملحد رسمى أو مشكوك فى إيمانه – إلى ارتكاب نفس الأعمال السابقة يعتبر "ساقط فى الإلحاد للمرة الثانية" ، : ومن يسقط فى الإلحاد للمرة الثانية، باستثناء حالات قليلة، يُسلم إلى المحكمة التنفيذية حتى تنفذ فيه الحكم الذى لا تستطيع محكمة التفتيش تنفيذه بوصفها محكمة كنسية: الموت حرقاً أو الخنق قبل الحرق.

ومع وصول الموريسكيين الغرناطيين، أذيعت سلسلة من "مراسيم العفو" (شبيهة بمرسوم عفو ١٥١٨ السالف الذكر) والتى بموجبها يُمنح عفو عام لجميع الموريسكيين الذين يأتون طواعية للاعتراف وإنكار ذنوبهم تائبين ومعتنقين للكاثوليكية. مبدئياً، ظلوا بمأمن من محاكم التفتيش نتيجة لذلك، لأن هذا الاعتراف الإرادى لا يحتوى على أى عقاب أو تأديب. هذا ما تسميه محاكم التفتيش "زمن العفو".

لكن ظل الموريسكيون الذين استفادوا من مراسيم العفو فى وضع متصالحين، وبالتالى فحينما يقعون فى نفس الأخطاء من جديد تتم محاكمتهم من قبِل محاكم التفتيش على أنهم ساقطون فى الإلحاد للمرة الثانية ويحكم عليهم بالموت حرقاً. وأغلب من حُكم عليهم بالموت حرقاً فى كوينكا كانوا متصالحين فى زمن العفو.

أذيعت مراسيم فى الأعوام ١٥٧١ و١٥٧٦ و١٥٨١ و١٥٨٦، ولاقت نجاحاً أقل فى كل مرة للأسباب المعروفة سابقًا. وحول هذه المراسيم طلبت مذكرة فى ذلك العصر [٤١] أن "... تُغفر لهم جميعهم الأخطاء التى ارتكبوها بشكل عام حتى يومنا هذا دون أن يسبق ذلك اعتراف أو مصالحة، فبما أنهم أناس جهلاء يعتقدون أن وجود ذلك الأمر هو خدعة ، ويبدو لهم أنهم أفضل وضعًا بالمخاطرة بأنفسهم من كونهم متصالحين مع الكنيسة لأنهم إذا ما عادوا وارتكبوا أخطاء فسيعاقبون بعقوبة ساقط مرة أخرى فى الإلحاد."

و صدر آخر هذه المراسيم فى ٢٢ من يونيو ١٥٩٧، والذى نشر فيه الأب بورتو كاريرو (Porto Carrero) ، القاضى العام لمحكمة التفتيش وأسقف كوينكا، مرسومًا يقضى "بمنح عفو عام لجميع الموريسكيين إذا ما اعتنقوا الكاثوليكية طواعية وجحدوا بدين محمد وطلبوا منهم باستكانة الصفح" [٤٢].

من المؤسف أن هؤلاء الكتّاب الذين هاجموا بعنف شديد أفعال محاكم التفتيش لم يضيفوا بيانات أكثر دقة.

ظلت محاكم التفتيش الإسبانية موضع انتقادات ودفاعات تجاوزت الحد منذ أن نشر سكرتيرها القديم خوان أنطونيو يورينتى (Juan Antonio Llorente) فى ١٨١٧ - ١٨١٨ كتابه الشهير المكون من أربعة مجلدات، بالأرقام عن عدد ضحاياها والتى يعتبرها الدارسون الحاليون مبالغًا فيها. وكان "ليا" هو أول من أضاف بيانات من النوع الإحصائى. وتشير دراسة حديثة لهنرى كيمن (Henary Kamen) إلى الأعمال المهمة حول الموضوع [٤٣] ويقدم بعض البيانات المهمة حول عدد المتهمين؛ وآخر دراسة فى هذا الصدد هى لغارثيا كارثيل (García Cárcel) حول العصور الأولى لمحكمة تفتيش فالنسيا، وفيها يضيف كمًا هائلاً من البيانات حول نشاط هذه المحكمة.

كذلك أيضاً لم تضف الدراسات التى دافعت عن هذه الهيئة بيانات محددة: فَتَبرُز دراسة ميننديث بيلايو (Menéndez Pelayo) على وجه الخصوص، ففضلاً عن دفاعه عنها، أكد أن محاكم التفتيش عاملت الموريسكيين"برفق مفرط دون أن توقع عليهم عقوبة الإعدام حرقًا ولا مصادرة للأموال." [٤٤] ويقول دومنغيث أورتيث (Domínguez Ortiz)

إن محكمة التفتيش لم تكن قاسية مع الموريسكيين لأنه ربما كانت لا تلقى لهم بالاً. ولم يضف أحدهم أية بيانات تعضد أو تعزز تأكيداته. ولا يمكن أن يكون لهذه الدراسات مصداقية فى ظل الدراسات الحديثة.

وقام غاراد (Garrad) بدراسة للعقوبات التى نفذتها محكمة التفتيش فى غرناطة فيما بين عامى ١٥٢٦ و١٥٨٠ ، وأحصى عقوبات الموريسكيين المتهمين وقارنها بعقوبات على متهمين غير موريسكيين (٤٥). وصل إلى استنتاج (٤٦) يفيد بأن مصادرة الممتلكات هو العقاب السائد على ممارسة الإسلام. وتصل دراسة العقوبات المفروضة على الموريسكيين المتهمين بمحكمة كوينكا إلى نتيجة مماثلة (٤٧).

وهناك حوالى ١٤٠ محضراً – من بين ٤٨٠ محضراً محفوظًا فى خزانة المحفوظات الأسقفية – تم تأجيل النظر فيها أو لم يتم استكمالها.

أما عن الباقى، فهناك حوالى ٦٠٪ تصالحوا مع الكنيسة مع مصادرة كاملة للممتلكات، وعوقب الباقى (جميعهم بغرامات مختلفة القيمة)، باستثناء ١٤ تمَّ تبرئتهم، و حكم على ١٥ بالإعدام حرقًا. من بين الخمسة عشر محضراً هذه تم صدور حكم غيابى بالإعدام حرقًا على ثلاثة منهم ، يوجد عشرة من أركوس وديثا ، وكان جميعهم قد تصالح مسبقًا مع محكمة التفتيش.

وإذا ما تناولنا "بيان القضايا" (٤٨) الذى تثبت فيه كل عقوبات الإعدام والمتهمين فيما بين عامى ١٥٨٣ و١٦٠٠، وبعد إلغاء المحاضر المفقودة وغير المكتملة، فسنستطيع مقارنة عدد وعقوبات المتهمين بممارسة الإسلام بمتهمين بعقوبات أخرى.

وفيما يلى عقوبات الموريسكيين المتهمين

مُبرَّأون: ٤، وتم زجر امرأة لأنها قالت " أن أكون عاشقة سعيدة خير من زوجة تعيسة".

معاقبون: ٢٩، منهم ١٢ أنكروا ذنوبهم البسيطة، و نفى واحد، و٢ دفعا غرامة لقرابتهما من متصالحين مع محكمة التفتيش وتَحلِّيهم بالمرجان ولبسهم القطيفة. ودفع

٣ غرامة مع الضرب بالسياط والتجديف فى السفن، وأنكر ٧ ذنوبهم الكبيرة مع دفع غرامات والضرب بالسياط، و٣ بعقوبة السجن و٤ بعقوبة التجديف فى السفن

المتصالحون: ٦٠ متصالحًا، منهم ٦ صودرت أموالهم ومنعوا من ممارسة عاداتهم مع السجن المؤقت. ومنع ٣٩ من ممارسة عاداتهم مع السجن المؤبد. و صودرت أموال ١٥ ومنعوا من ممارسة عاداتهم مع سجن مؤبد مع قضاء ثلاث سنوات على الأقل فى خدمة التجديف بالسفن.

المحكوم عليهم بالإعدام حرقًا: ٩، منهم ٧ حكم عليهم بالإعدام، و من هؤلاء السبعة أربعة كانوا قد تصالحوا فى زمن العفو. وصدر حكم غيابى بالإعدام حرقًا فى اثنين منهم و مات واحد من هؤلاء المساجين فى السجن وشنق شخص آخر نفسه. فالمجموع إذن هو ١٠٢ متهم خلال سبع عشرة سنة.

مقارنة بين عقوبات كل المتهمين الذين تمت محاكمتهم خلال هذه السنوات:

	موريسكيون	يهود	أتباع لوثر	كفار وزناة، الخ.
محكوم عليهم بالإعدام حرقًا	٧	١٠		–
محكوم عليهم بالإعدام غيابيًا	٢	٢٣	–	–
متصالحون مع محكمة التفتيش	٦٠	٥٤	١	١
معاقبون :				
منكرون لذنوبهم الكبيرة	٧	٤	٣	–
منكرون لذنوبهم البسيطة	٢١	٢	٤	١٨٤
معزرون	١	١	–	١١٣
مبرأون	٤	–	–	٧
إجمالى	١٠٢	٩٤	٨	٣٠٥

ويفوق عدد الموريسكيين المتهمين عدد اليهود، وكلا العدديين يتعارض مع العدد الضئيل لأتباع لوثر.

وفى الغالب يعاقب اليهود بعقوبة الإعدام حرقًا بشكل أكبر من الموريسكيين، على الرغم من صدور هذا الحكم عليهم غيابيًا(٤٩).

والعقوبة السائدة بين الموريسكيين هى التصالح مع محكمة التفتيش ، وهى أيضًا عقوبة تم تطبيقها على اليهود. وبوجه عام، تحل باليهود عقوبات أكثر خطورة، بينما تغلب على الموريسكيين عقوبة المصالحة مع محكمة التفتيش ومصادرة الممتلكات والعقوبات المادية.

كل هذا يتعارض مع محاضر المسيحيين القدامى الذين عوقبوا على الكفر والزنا وعلى قضايا غير أخلاقية أو تحث على الكفر، إلخ. وعددها يفوق كل المحكوم عليهم بالإلحاد ، ولكن العقوبات تعد أكثر تساهلاً إلى أقصى حد ممكن؛ فلم ينفذ حكم الإعدام حرقًا فى أى شخص، يوجد متصالح واحد فقط ، وعوقبت الغالبية بعقوبة إنكار الذنوب البسيطة أو، ببساطة، تم تعزيره.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن الموريسكيين حوكموا فى الغالب على أفعال تتنافى مع التقوى وعلى الكفر والزنا: وهى أفعال مماثلة للأفعال الواردة فى محاضر المسيحيين القدامى. لكن فى محاضر الموريسكيين يُنظر إلى هذه الأفعال على أنها إلحاد بدلاً من كونها تتنافى مع التقوى المجردة، وبالتالى يحل بهم أشد العقاب.

وفيما يتعلق بتعميم العقوبات المالية ومصادرة الممتلكات كعقاب للمتهمين بنشر الإسلام، يقول كارདياك (٥٠) "من السهل علينا أن نتصور أن محاكم التفتيش كانت تعتمد فى جزء كبير من نفقاتها على حساب الموريسكيين، لكن المنتفع الحقيقى بتلك الثروة على وجه التحديد كانت الخزانة الملكية ، ولم تكن محكمة التفتيش أكثر من وسيلة لتزويد التاج الملكى بدخول أساسية، بالإضافة إلى حفاظها على وحدة العقيدة، وهذا يُفسر أيضًا كيف أن البلاط الملكى تردد لوقت طويل فى طرد الموريسكيين".

ويبدو أن محاكم التفتيش مارست استغلالاً اقتصاديًا منظمًا على الموريسكيين: هذا الأمر أدركه، على الأقل، المعنى بهم ممن قاموا بالعديد من الاقتراحات بغرض دفع مبلغ ثابت يحول دون مصادرة ممتلكاتهم – وأيضًا يدرك بعض معاصريهم : "لا تتم مصادرة ممتلكات الموجودين هنا ولا يقع عليهم أية عقوبات مالية لطلبهم الصفح عما قاموا به، ولأنهم يقولون إنه يقبض عليهم بغرض مصادرة أموالهم ... [٥١]. وعلى ما يبدو رُفعت عدة دعاوى ضد خازن بيت مال محكمة التفتيش بسبب هذه المصادرات. فعلى سبيل المثال، هناك دعوى أقامها دوق مدينة سالم ضد خازن بيت مال محكمة كوينكا حول ممتلكات ستة عشر موريسكيًا من أركوس متهمين فيما بين عامى ١٥٧٥ و١٥٨٣ . قامت المحكمة بمصادرة ممتلكاتهم كعقوبة على جرائمهم [٥٢]. فى هذه الدعوى يظل الدوق على موقفه من "أنه لا يجوز لخازن بيت المال مصادرة الممتلكات الخاصة بالموريسكيين المتهمين والمتصالحين مع محكمة التفتيش، ويحاول أن يثبت أن جميع الممتلكات المنسوبة إلى أهالى بلدة أركوس ملك له، وأنها مزارع خاصة بعائلته منذ عهد قديم وموقوفة عليهم، وعليه فهو المالك الفعلى لها ، وللأهالى حق الانتفاع بها فقط."

ويؤكد خازن بيت المال أن "هذه المزارع لم تكن أبدًا ملكًا للدوق، لا بالهبة ولا بالإرث ولا بنقل الملكية، وإن دفع الدوق ضريبة بيعها." (توجد صور من خطاب بيع ووصايا تعضيد) وتتهم محكمة التفتيش الدوق بخداع خازن بيت المال وحماية الموريسكيين. إذ إنه "كما يرى دوق مدينة سالم القديمة كان أهالى هذه البلدة موريسكيين، وبالتالى فإن كل ممتلكاتهم تخضع لنزع ملكيتها من قِبَل محكمة التفتيش"، "و بما أنه لم تنتزع ملكيتها من رعاياه الموريسكيين، جعله يرسل مزارعين من هذا الإقليم لزراعة أراضى هذه البلدة كما لو كانت مملوكة له." وهناك شاهد يقول بأن الموريسكيين دفعوا مبلغًا إلى الدوق كى يجعل أراضيهم تابعة له.

وتُظهر الشهادات العديدة فى نفس المحاضر كيف أن الموريسكيين ربطوا بشكل تلقائى بين محاكم التفتيش وفقدان مزارعهم. فجميعهم يخفى أو ينوى إخفاء ممتلكاته حينما يتوفر لديه الخبر بأن محكمة التفتيش ستقبض على أحدهم [٥٣]، ويعتقدون أن العقوبة التى ستقع بهم كمسلمين هى فقدان ممتلكاتهم. كما لو كان نوعًا ضريبيًا،

وبالتالى حاولوا تحويل ذلك إلى دفع حصة ثابتة بدلاً من أن يظلوا رهن مصادرات تعسفية [٥٤].

وكانت إيسابيل دى لينان (Isabel de Linán) [٥٥] تحث جميع الموريسكيين المقبوض عليهم معها بالتحمل ونفى أنهم مسلمون، وهى الطريقة الوحيدة لتفادى ضياع ممتلكاتهم. يشرح ذلك، على وجه الخصوص، الحوار التالى المسجل فى أحد المحاضر [٥٦]. يفاجئ أحد الأهالى اثنين من الموريسكيين كانا يتحدثان فى فناء دار أحدهما عن ثالث لهم مسجون فى محكمة تفتيش كوينكا. "كان أحدهما يقول: أنا خائف من أن يدلى توريس (Torres) المسجون فى محكمة تفتيش كوينكا، بشىء عنى ولهذا فلدىّ خارج الدار جميع ممتلكاتى حتى أرى إلى ماذا سينتهى الأمر. رد عليه الآخر قائلاً: إذًا لا ترجع أبدًا إلى الدار إلا بعد مرور عامين لأنهم ينتظرون كثيرًا حتى ينشغلوا فى شىء آخر."

وكما يقول بيدرو دى فالنسيا (Pedro de Valencia) [٥٧] : "لا ينظر الموريسكيون إلى عقوبات محاكم التفتيش على أنها تهدف إلى الإصلاح، لكن على أنها انتقام من الأعداء."

وكنهاية لهذا الفصل، ألخص محضراً لموريسكية مرَّت بجميع الأحكام حتى حُكم عليها بالإعدام: محضر بياتريث دى باديا (Beatriz de Padilla) زوجة فرانثيسكو مايسترو (Francisco Maestro) صانع سلال من أهالى بلدة أركوس[٥٨].

ويبدأ المحضر (الذى يتألف من ١٥٠ ورقة) فى شهر أبريل عام ١٥٧٦، وفيه قبض على خمسة موريسكيين من أركوس. وكان محققو محكمة التفتيش يخافون إذا ما ذهبوا للقبض عليهم فى البلدة واقتيادهم إلى كوينكا أن تدب هناك حالة من العويل وعوائق أخرى ، وعليه سيبدو ذلك مشيناً.

ولتفادى أى عائق يمكن حدوثه، انطلق منادٍ لمنع اتصال أى أحد بالموريسكيين. أحد هؤلاء المقبوض عليهم هو أنطونيو دى موراغا (Antoño de Moraga) و بياتريث دى باديا ، عشيقته، التى خالفت الأوامر ودخلت السجن ليلة الجمعة وهى تحمل إليه قميصاً نظيفاً.

يتم القبض على بياتريث ويُحكم عليها "بأن تخرج من السجن ويُشهَّر بهذه المرأة بوضعها على حمار وهى عارية من الوسط إلى أعلى ويجوبون بها الشوارع العامة لهذه البلدة، وبينما يتم جلدها مائة سوط، يعلن المنادى جريمتها."

يقبض على بياتريث مرة أخرى فى شهر أغسطس من العام نفسه بتهمة الإلحاد والزندقة. وتحكى فى اعترافها أنها مكثت سنوات كثيرة فى خدمة ماريا دل ساسترى (María del Sastre) التى كانت تراها تمارس الإسلام ، وطلبت منها أن تتعلم ممارسة هذه العبادات، فتعلمت صيام شهر رمضان مع ماريا "حتى ظهور الرؤية" والاغتسال وارتداء قميص نظيف أيام الجمع، والصلاة "و هى واقفة على لوح مَن الخشب أو على حصيرة ووجهها نحو مشرق الشمس وتخفض وترفع جسدها وتشير بيديها وتلقى بكفيها إلى الخلف من فوق كتفها وكانت تتمتم بكلام بلسانها" ، وعلمتها أيضًا بعض السور وترديد "البسملة" عدة مرات فى اليوم. ومنذ ذلك الحين، أصبح لديها رغبة وإرادة لتعلم الكثير ومعرفة كل هذه الأشياء عن المسلمين، وأنها قامت بممارسة شعائر المسلمين لاعتقادها بأنها ستكون فى معية الله بسبب ذلك. بالإضافة إلى ذلك، كانت بياتريث تأكل لحمًا فى أيام الجمع وعشية الأعياد . كانت تظن أنها "ستصبح صالحة بممارسة شعائر المسلمين".

أبدت المتهمة توبتها وندمها، وبالتالى قُبِل تصالحها مع محكمة التفتيش بمجرد إنكارها لأخطائها على الملأ. أمروها أيضًا أن تعترف فى أعياد الفصح الثلاثة من كل عام ، وأن تسمع القداس فى كل أيام الآحاد وقداس الأعياد فى الكنيسة ، وأن تصلى الصلاة الربانية خمس مرات فى اليوم مع السلام على مريم ، وأن تصلى صلاة الإيمان المسيحى والصلاة على مريم وهى ترجو من الله أن يغفر لها خطاياها.

بعد ذلك مباشرة، فى عام ١٥٨١، ثمة بلاغ يتهم بياتريث بالسقوط مرة ثانية فى المعصية، لأنهم رأوها تأكل لحمًا يوم أربعاء الرماد ، ولأنها وضعت لميِّت "من جنسها وسلالتها" قميصًا وكفنًا نظيفين "كما جرت عادة الموريسكيين فى ذلك المكان". ويشتمل المحضر على جزء من محضر ١٥٨٢ الخاص بماريا لا ثامورانا (María La Zamorana) [٥٩] . والجزء الذى يشتمل عليه هو عبارة عن جلسة وبيان بالاستجوابين الأول والثانى حيث

تتهم نفسها مع العديد من الأهالى بالمشاركة فى تكفين موريسكى متوفٍ. وأوردت اسم بياتريث دى باديا بين من شاركوا فى هذا التكفين.

فى عام ١٥٩٤ شهدت موريسكية أنها رأت بياتريث تتناول حساء لحم فى أيام محرمة، وأخرى تقول إنها فاجأتها وهى تأكل مع مجموعة من الموريسكيين من آنية بها لحم فى يوم أربعاء الرماد.

ويشتمل أيضًا على صورة من بيان بمحضر ليونور موراغا (Leonor Moragan) بتاريخ سبتمبر ١٥٩٦ [٦٠]، وتقول فى جلساته إنها رأت بياتريث دى باديا وابنتها ليونور مايسا (Leonor Maesa) تصومان شهر رمضان وتتوضآن.

وهناك اعترافات لموريسكيين آخرين وموريسكيات متهمين بأنهم مارسوا شعائر موريسكية مع بياتريث دى باديا وابنتها.

فى سبتمبر ١٥٩٦، صدر أمر بالقبض على بياتريث. وبدأ المحضر الجديد بجلساته التحذيرية الثلاث والاستجواب واتهام ممثل الادعاء ودليل الاتهام وعرض للشهود. اتهمت بأنها مصرة على الخطأ وساقطة فى الإلحاد للمرة الثانية، وكانت تتظاهر بإنكارها لذنوبها وبالتنصر حتى تستفيد من الرحمة التى مورست معها. بالإضافة إلى كل الممارسات الدينية التى تم إحصاؤها، اتهمت بأنها مساعدة على الشر ومتسترة على الملحدين. وتدافع بياتريث عن نفسها بأنها لم تأكل لحمًا يوم أربعاء الرماد لكنها طبخته للموريسكى الذى كانت تعيش معه كعاشقة، وأن لديها تصريحًا بذلك. أما عن باقى التهم فأنكرتها باستثناء القميص النظيف الذى ألبسته للمتوفى، فتقول إنها لم تفعل ذلك بقصد سيئ . فقميص الميت كان متسخًا وطلب منها أهله الفقراء جدًا قميصًا آخر.

حكم عليها بأنها ملحدة وزنديقة ومساعدة على الشر ومتسترة على الملحدين وكذابة ومتظاهرة فى اعترافها بذنبها ومُصرَّة على خطئها وساقطة فى الإلحاد للمرة الثانية. وبالتالى حكم عليها بعقوبة الطرد من الكنيسة مع فقدان جميع ممتلكاتها منذ أن بدأت فى اقتراف تلك الجرائم وبأن يتم تنفيذ حكم الإعدام حرقًا فيها من قِبَل المحكمة المدنية. وأُعلن أن أبناء بياتريث فاقدو الأهلية ولا أحقية لهم فى الحصول على

مناصب شريفة ولا منافع ولا وظائف سواء كانت كنسية أو دنيوية، ولا وظائف عامة أخرى ولا مناصب شرفية ، وليس بوسعهم لبس الذّهب والفضة والأحجار الكريمة والمرجان والحرير والصوف والأقمشة الناعمة ، ولا يركبون الخيل ولا يحملون السلاح حتى الجيل الثالث.

تم تنفيذ الحكم فى احتفال عام لإعدام الملحدين حرقًا فى الميدان الكبير بمدينة كوينكا على منصة إعدام عالية من الخشب يوم الأحد الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٥٩٨".

الهوامش

(١) *A histroy of Inquisition of Spain,* Nueva York, 1906-1907, 4 vols., tomo I, pp. 552 y 556.

(٢) *Historia crítica de la Inquisición...,* t. I, cap. IV.

(٣) *Historia de la... ciudad de Cuenca,* p. 482.

(٤) Memorias históricas de Cuenca, p. 434.

(٥) T. Muñoz Soliva, *op. cit.,* p. 482.

(٦) H. Ch. Lea, op. cit., p. 566

(٧) *Registro de los documentos del Santo Oficio...,* p. 26.

(٨) انظر أيضًا : P. Pruneda, Crónica de la provincia de Cuenca, p. 47.

(٩) P. Pruneda, *op. cit.,* p. 47; M. López, *op. cit.,* p. 434. Bulario de la Orden de Santiago, escritura I.ª, año 1518.

(١٠) M. López, *op. cit.,* p. 434.

(١١) S. Cirac, *op. cit.,* p. 27.

(١٢) S. Cirac, *op. cit.,* p. 27.

(١٣) اختفى عدد غير قليل من المحاضر التى قام بتصنيفها أمين المكتبة سيراك منذ ما يقرب من عشرين سنة. عندما بدأت العمل كان من الشائع العثور على فئران فى صناديق ومجموعات الأوراق بخزانة المحفوظات.

(١٤) AHN, Inquisición, lib. 1248, ff. 1 al 73.

(١٥) ADC, lib. 352.

(١٦) انظر على سبيل المثال: R. García Carcel, *Morisques e agermanats.*

(١٧) انظر حول ذلك مقال: L. Cardillac "Morisques et trucs au XVIeme siecle en *Espanye*".

(١٨) *The moriscos of Sapian...*, pp. 97-99 y 105.

(١٩) انظر الخريطة ٣، ص ٣١ .

(٢٠) AGS, Cámara de Castilla, leg. 2160.

(٢١) Boronat, Los moriscos..., t. II, p. 497.

(٢٢) R. García Carcel, *Orígenes de la Inquisición española. El tribunal de Valencia,* 1478-1530, p. 167, يشير إلى التجانس النوعى المطلق بين المحكوم عليهم من قبل محكمة تفتيش فالنسيا.

(٢٣) ADC, leg. 294, núm. 4167.

(٢٤) ADC, leg. 294, núm. 4167.

(٢٥) B. Loupias, "La practique secrete de l Isalm...", p. 124.

(٢٦) Id., p. 122.

(٢٧) بالإضافة إلى ذلك وجهت إلى الموريسكيين فى محاضرهم تهمة المشاركة فى حرب البشرات، كما لو أنه لم تتم معاقبتهم على ذلك بما فيه الكفاية.

(٢٨) ADC, leg. 291, núm. 4110.

(٢٩) ADC, leg. 345, núm. 4903.

أيضًا (Expulsión justificada... folio 5 v.) Aznar يرى أن التلفظ بالقداس أمامهم يعد خطيئة.

(٣٠) ADC, leg. 290, núm. 4082.

(٣١) ADC, leg. 294, núm. 4171.

(٣٢) ADC, leg. 291, núm. 4093 A.

(٣٣) ADC, leg. 356, núm. 5066.

(٣٤) ADC, leg. 113, núm. 7517.

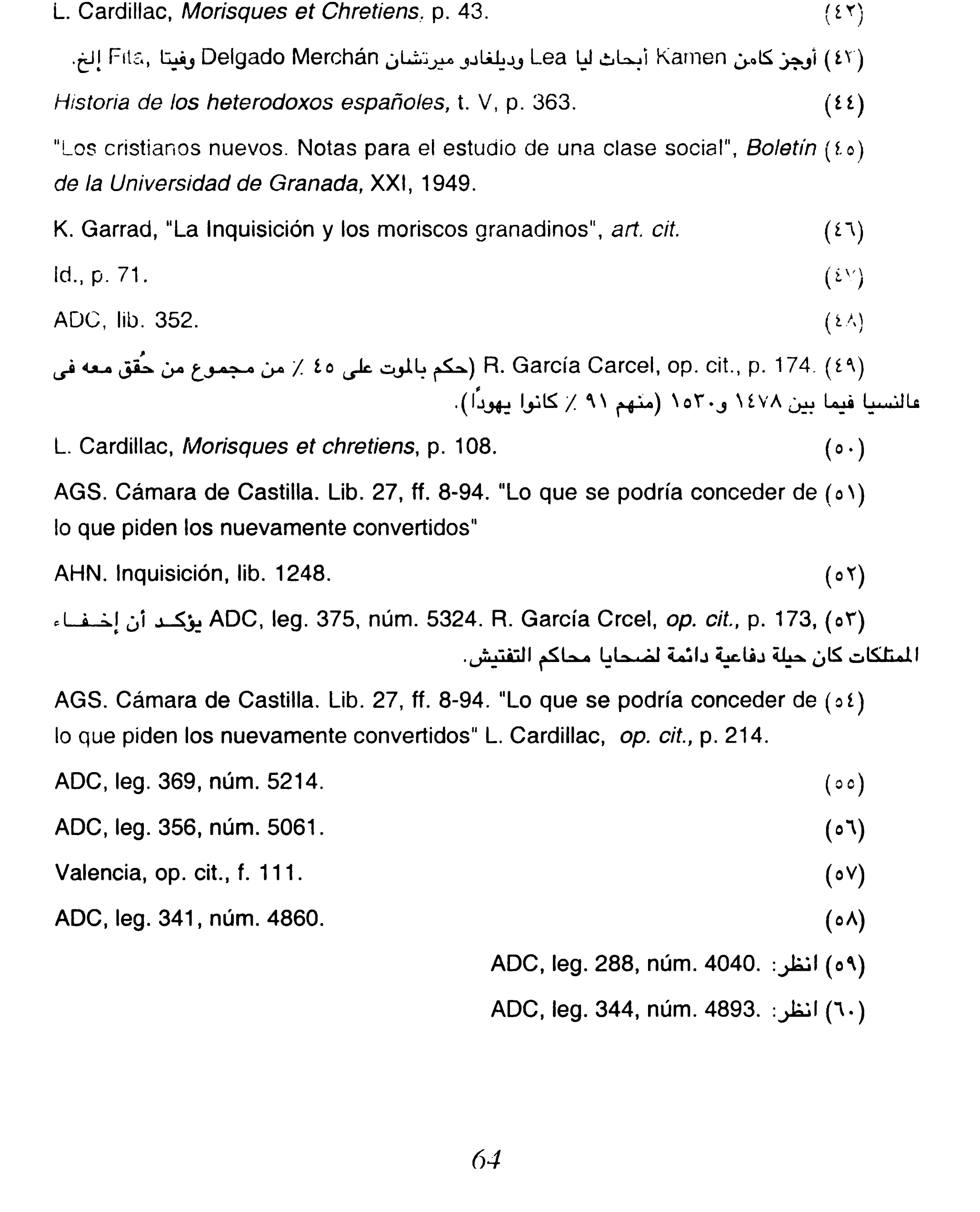
(٣٥) حول إجراءات محاكم التفتيش وتطور المحاضر ، انظر: R. García Carcel, *Inquisición valenciana...*, pp. 197 ss., y H. Kamen, l*a Inquisición española,* Barcelona, pp. 177-210.

(٣٦) ADC, leg. 297, núm. 4244.

(٣٧) ADC, leg. 375, núm. 5324.

(٣٨) أيضًا توجد سجون عامة ومتوسطة لا تهتم بقضايا الموريسكيين.

(٣٩) إذا لم يستطيعوا الدفع يظلون فى السجن. فى ١٥٨٥، حكم على ماريا دى إريديا (Mría de Heredia ، من سوكوياموس، بدفع سبعة آلاف مرابيدى (Maravedí) [اسم عملة إسبانية فى تلك الفترة. المترجم] كغرامة. وبما أنها لم تتمكن من دفع هذا المبلغ بقيت فى السجن حتى عام ١٦٠٠ . (ADC, leg. 303, núm. 4358.)



(٤٠) K. Garrad. "La Inquisición y los moriscos granadinos", *Bulletin Hispanque,* LXVII, 12, 1965, p. 71.

(٤١) AGS, Cámara de Castilla, lib. 27, ff. 8-94.

(٤٢) L. Cardillac, *Morisques et Chretiens,* p. 43.

(٤٣) أوجز كامن Kamen أبحاث ليا Lea وديلغادو ميرتشان Delgado Merchán وفيتا Fita, إلخ.

(٤٤) *Historia de los heterodoxos españoles,* t. V, p. 363.

(٤٥) "Los cristianos nuevos. Notas para el estudio de una clase social", *Boletín de la Universidad de Granada,* XXI, 1949.

(٤٦) K. Garrad, "La Inquisición y los moriscos granadinos", *art. cit.*

(٤٧) Id., p. 71.

(٤٨) ADC, lib. 352.

(٤٩) R. García Carcel, op. cit., p. 174. (حكم بالموت على ٤٥ ٪ من مجموع من حُقق معه في عالنسيا فيما بين ١٤٧٨ و١٥٣٠ (منهم ٩١ ٪ كانوا يهوداً).

(٥٠) L. Cardillac, *Morisques et chretiens*, p. 108.

(٥١) AGS. Cámara de Castilla. Lib. 27, ff. 8-94. "Lo que se podría conceder de lo que piden los nuevamente convertidos"

(٥٢) AHN. Inquisición, lib. 1248.

(٥٣) ADC, leg. 375, núm. 5324. R. García Crcel, *op. cit.*, p. 173, يؤكد أن إخفاء الممتلكات كان حيلة دفاعية دائمة لضحايا محاكم التفتيش.

(٥٤) AGS. Cámara de Castilla. Lib. 27, ff. 8-94. "Lo que se podría conceder de lo que piden los nuevamente convertidos" L. Cardillac, *op. cit.*, p. 214.

(٥٥) ADC, leg. 369, núm. 5214.

(٥٦) ADC, leg. 356, núm. 5061.

(٥٧) Valencia, op. cit., f. 111.

(٥٨) ADC, leg. 341, núm. 4860.

(٥٩) انظر: ADC, leg. 288, núm. 4040.

(٦٠) انظر: ADC, leg. 344, núm. 4893.

الفصل الثالث

الشعائر الإسلامية عند الموريسكيين طبقًا لمحتوى المحاضر

تسمح بلاغات الشهود ، وبخاصة اتهامات محاكم التفتيش واعترافات المتهمين ، بالتعليق على نوعية الشعائر الإسلامية التى كان الموريسكيون يحافظون عليها.(*)

فدين شعائرى قوى مثل الدين الإسلامى كان يجب أن يرافق، خطوة إثر خطوة، حياة المسيحى الجديد؛ فشئون حياته منذ البداية وحتى الموت لها قدسية دينية والدين يشمل حياته اليومية ويسيطر عليها قاطبة [1].

ومع ذلك، كما يتضح من المحاضر، فإن الطقوس والشعائر الدينية الموريسكية على وجه الخصوص توجد فى حالة يُرثى لها، فثمة تكرار لنفس الاتهامات فى محضر تلو المحضر ووصف لها بنفس الطريقة تقريبًا، بحيث إنها تكتسب مظهرًا ذا طابع معين يطبق على كل مسيحى جديد بمجرد الشك بأنه مسلم ، غالبًا من خلال آراء أو أساليب غير متبصرة. وعليه أعتقد أن وصف وتعداد الشعائر الدينية التى حافظ عليها الموريسكيون فحسب ليس أهم ما يمكن استخلاصه من دراسة محاضر التفتيش.

وبشكل رئيسى فإن العبادات الأكثر رسوخًا فى حياة الموريسكيين، والتى يرد ذكرها فى كل المحاضر تقريباً ، هى صيام رمضان والطهارة والصلاة.

(*) محاضر محاكم التفتيش لا يمكن أن تقدم صورة صادقة للشعائر الإسلامية التى كان الموريسكيون يؤدونها ، فالمحاضر تحفل باتهامات لا تمت للإسلام بصلة . على من يريد معرفة الشعائر التى كان الموريسكيون يؤدونها أن يطالع كتاب بورو لونغاس : (الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين ، ترجمة د. جمال عبد الرحمن ، تونس ١٩٩٣ ، فقد استند لونغاس فى الكتاب على المخطوطات التى خلّفها الموريسكيون أنفسهم (المراجع) .

وبدون أدنى شك، صيام رمضان هو العبادة الدينية الأكثر تأصلاً فى حياة المسيحى الجديد، وفى الغالب هى أكثر عبادة يحافظ عليها الجميع. ويمكن القول بأنه آخر مظهر إسلامى من حيث التلاشى ، حيث يقوم به أناس تدل باقى أفعالهم على أنهم متداخلون بالكلية فى المسيحية. وإضافة إلى كونه شعيرة دينية، إلا أنه سيتحول إلى ملمح للتميز الثقافى ويصبغ الشخص الذى يحافظ عليه بصبغة خاصة(٢). فصيام رمضان، كما تصفه المحاضر، يرتكز أساسًا على الامتناع عن الطعام والشراب والمحافظة على ذلك من الفجر "إلى الليل عندما تطلع النجوم" خلال شهر رمضان بأكمله. على وجه التحديد، طابع الرفض والامتناع فى الصيام، مثل ذلك طابعه الجماعى، يجعل منه العبادة الإسلامية الأكثر تأصلاً، وبالتالى الأكثر تميزًا.

يبدأ الصيام بظهور هلال رمضان الذى كان يدور حوله توقع كبير. وكان هناك قلق عند انتظار الهلال ومراقبته، وكانوا ينقلون خبر ظهوره بين القرى المجاورة ويتناقشون حوله. وتسبب هذا الاهتمام بهلال رمضان فى محاكمة عدد ليس بالقليل من الموريسكيين. تجدر بالذكر حالة ديثا، ففى عام ١٥٧٠ تم القبض على نصف القرية لأنهم خرجوا إلى أماكن الفضاء لرؤية ظهور هلال رمضان، ولما دار جدل حول ما إذا كان الهلال ظهر أم لا انقسموا إلى جماعات متفرقة وبدأت كل جماعة تدافع عن موقفها بصوت عالٍ، وبالتالى علمت السلطات وقبضت عليهم (٣).

والحالات التى يظهر فيها الموريسكيون وهم يستطلعون الهلال عديدة: ماريا دى أليخير (Maria de Aliger) من ديثا (٤) : "لشغفها بمعرفة متى سيبدأ شهر رمضان حتى تصوم، قالت لأحد الموريسكيين إنها ذهبت لرؤية الهلال فى فضاء هذه القرية". وخيرونيمو، نقَّاش أركوس، رآه جاره ذات ليلة وهو ينظر إلى الهلال وقال له هذا الشاهد: إلام تنظر وما الذى جاء بك إلى هنا؟ قال هذا النقاش: إنه جاء لرؤية الهلال، قال الشاهد: تريد أن تصوم؟ قال له النقاش: أجل، فهناك فى أراغون يصوم الجميع". (٥)

وينتهى الصوم برؤية هلال شوال، على الرغم من أنه لم يكن شائعًا أن الموريسكيين يتمون صيام رمضان كله. فقد كانت الأكثرية تكتفى بصيام اثنى عشر أو خمسة عشر يومًا أو طول مدة سفرها حتى تتفادى الشكوك.

كما قلنا، لم تكن تجهز خلال هذا الشهر إلا وجبتان، إحداهما بالليل والأخرى قبل الشروق. هذه الأخيرة تسمى فى المحاضر "السحور" ومنها يأخذ الفعل "تسحَّر"؛

"متسحراً قبل الشروق" [٦] "كان يتسحر طوال شهر رمضان" [٧] وكانوا يستيقظون قبل الشروق للسحور ويأكلون العصيدة وخبزاً آخر من الشعير أو الذرة أو ما توفر لكل واحد" [٨].

ثمة وصف لما كان يتناوله الموريسكيون فى السحور، وسأقوم بالتعليق عليه فيما بعد عند الحديث عن المواد الغذائية التى كانوا يستهلكونها.

اعتاد الموريسكيون بعد صيام شهر رمضان كعبادة خاصة صيام ستة أيام كانوا يطلقون عليها اسم "البيض"، "بعد انتهاء صوم رمضان تأتى ستة أيام صيام يسمونها البيض..." [٩] وبعدها "كانوا يلبسون أفضل ثيابهم ويعطون الصدقات مما لديهم" [١٠]، "كانوا يعطون الصدقات لمن هم من جنسهم ومن سلالتهم" [١١].

بالإضافة إلى صيام رمضان - على الرغم من أن هذه الاحتفالات أقل رسوخاً - فقد كانوا يصومون فى مناسبتين أخريين: "الأولى هى عيد الأضحى ويستمر الاحتفال فيها أربعة أيام، والمناسبة الأخرى هى يوم عاشوراء، والاحتفال فيها ليوم واحد [١٢]. كانوا يحتفلون بالعيد الأول فى يوم العاشر من ذى الحجة: يصومون اليوم الذى قبله ويحتفلون بيوم العيد بذبح كبش على "الطريقة الإسلامية"، يعنى يذبحونه على الشريعة، ويرتدون أفضل ثيابهم. ويحتفلون بالعيد الثانى فى العاشر (عاشوراء) وهو عيد مهم أيضاً للاعتقاد بأن من يصوم هذا اليوم يصل إلى منزلة الشهداء المجاهدين [١٣].

نكرر أن بعد كل صيام كانت هناك عادة ارتداء أفضل الثياب وتوزيع الصدقات على الموريسكيين الفقراء.

الوضوء

الطهارة الدينية التى يطلق عليها فى المحاضر "وضوء"، و"الوضوء" عبادة تم الحفاظ عليها بشدة لأهميتها مثل الصيام.

كان "الوضوء" يقع أيام الجمع وفى الأعياد الدينية والاحتفالات السنوية. كان لابد أن يسبق - بشكل إجبارى - أول صلاة عند شروق الشمس من كل يوم ويتم "أولاً بغسل

اليدين ثم الأطراف السفلى ثم الذراع اليمنى من اليد إلى الكوع بعد ذلك اليسرى، ثم كل الجانب الأيمن فالجانب الأيسر، والعورات والقدمين والوجه والفم والعينين والأنف والرأس مع طرح الماء على الكتفين والظهر، بعد ذلك يجفف نفسه بقطعة قماش ويرتدى ثوبه النظيف [١٤]".

خلال الوضوء كانوا يتلون سورًا أو أدعية دينية متعددة الأنماط فى حالة معرفتهم بها: كان يقال عند غسل القدمين: "أعانه الله على عبور جسر الشعرة، يعنى الصراط" [١٥]، أو يدعو الله كى "يدعه يجتاز جسر الصراط" [١٦].

كان يجب أن يكون ماء الطهارة الدينية نظيفًا، بلا طعم أو رائحة أو لون. ولا يجب أن يُغلى أو يسَخن بالشمس [١٧]. ومع ذلك، إذا تعلق الأمر بمسيحى جديد، فكل غسل كان يعتبر طقسًا دينيًا، وبالتالى، عملاً إلحاديًا. فلم يُقبل أبدًا أن الموريسكى كان يغتسل بقصد النظافة فقط : حتى فى حالة عدم كون ذلك شعيرة دينية كان يفسر على أنه قام به لغرض دينى. فانظروا، على سبيل المثال، الحالات التالية: "غسل قدميه بماء ساخن من الركبتين إلى أسفل وهو قادم من جنى العنب" [١٨]؛ "حينما أتى من الحصاد غسل كل جسده من أعلى إلى أسفل بماء ساخن مخلوط بإكليل الجبل" [١٩] رجل آخر وزوجته غسلا كل جسديهما "و هما عريانان فى قِدْر من الماء الساخن وضع فيه إكليل الجبل والزعتر" [٢٠]. يحتوى محضر إحدى الجوارى الغرناطيات لدى مركيزة كانييتى (Cañete) على بلاغ من جارية أخرى أدرج فى اتهام ممثل الادعاء بنفس الألفاظ: "ذات يوم... كان يوم عمل وبعد تناول الغداء عصرًا رأت هذه الشاهدة ماريا دى ميندوثا (María de Mendoza) هذه تصعد بفنطاس ماء من بئر ببستان المركيزة المذكورة إلى أعلى مكان بالمنزل حيث يوجد مستوقد، ويبدو لها أنهم أعدوا فى ذلك اليوم أطعمة محفوظة وبقيت جذوة النار مشتعلة. وبعدما رأتها تصعد بفنطاس الماء هذا ، وبعد ساعة تقريبًا ، صعدت هذه الشاهدة إلى أعلى حيث المستوقد فوجدت باب الحجرة مغلقًا ففتحته وأطلت برأسها ورأت المدعوة ماريا عارية الجسد كما ولدتها أمها ولا تنتعل حذاءً كما لو كانت فى صيف يونيو أو يوليو وهى تجلس القرفصاء وتغسل شعرها" [٢١] ولم يغير المسيحى القديم رأيه حول كون الاغتسال شيئًا إلحاديًا وبعيدًا عن تقاليده. ورغبة الموريسكى فى الاغتسال المتكرر والواضح هى مدعاة للشك وافتضاح أمره.

ويُنسب ذلك دائمًا إلى الاختلافات الدينية. ويتعجب بيرموديث دى بيدراثا (Bermudez de Pedraza) [٢٢] من قولهم "اغتسلوا حتى لو كان فى ديسمبر" ، ويؤكد شاهد كونيكى على أن الموريسكيين "يغسلون الفم بعد الأكل" [٢٣].

كان المسيحيون الجدد يُغسِّلون الطفل قبل التسمية على الطريقة الدينية، ويغسِّلون العروسين قبل العرس والموتى قبل الدفن ، كما سنرى عند الكلام عن هذه الشعائر. تقول إحدى أهالى سان كليمنتى: "لم يكن الاغتسال عادة فقط بين الموريسكيين عند زواجهم ومماتهم ، لكنه كان يحدث لمرات عديدة خلال العام" [٢٤].

الصلاة

كان يُطلق عليها اسم " ثلاة " و" صالا " و"ثلا " . فالصلاة هى الشعيرة الدينية الأكثر شيوعًا من حيث ظهورها فى المحاضر بالإضافة إلى الشعيرتين اللتين ورد ذكرهما من قبل.

وطبقًا لشاهد رأى موريسكيًا من أركوس يعلم زوجته الصلاة [٢٥] فإن الصلاة تنعقد "بالقيام على الأرض متجهة ناحية القبلة حيث تخرج الشمس وكفاها مبسوطتان ، وكان يقول لها إن عليها أن تصلى خمس مرات وتركع مرتين فى الصلاة الأولى وتسجد وفى الثانية تركع أربع مرات وفى الثالثة أربع ركعات أخرى وفى الصلاة الرابعة ثلاث ركعات والمرة الخامسة أربع ركعات، وإن هذه الصلوات ـ كان يقول المذكور زوجها ـ تسمى (الساقى) الصبح، والثانية، الظهر، والثالثة ؛ العصر، والرابعة ؛ المغرب، والخامسة؛ العتمة.

هناك العديد من الأوصاف المشابهة لهذا الوصف مع اختلافات قليلة [٢٦] تسبق الصلاة بالوضوء، وبما أن يوم الجمعة له قدسية خاصة، فقد كانوا يرتدون ثيابًا نظيفة عند صلاة الجمعة [٢٧]. يوضح فى بعض الأحيان ـ عند وصف الحركات ـ وجوب وضع "أصابع اليد اليمنى مستقيمة ما عدا السبابة [٢٨] التى ترفع عند التلفظ بـ " أشهد أن لا إله إلا الله " وهى تعنى توحيد الله ، وفيها إشارة تهديد للشيطان" [٢٩]. وكان الموريسكيون يستخدمون إشارة رفع إصبع السبابة هذه كسمة وعلامة بينهم.

وكانت الصلاة تنعقد إما منفرداً أو فى جماعة مع الأقرباء والأصدقاء ، على حصيرة أو على قطعة قماش.

كان فقيه ديثا يجمع الموريسكيين بالقرية مع آخرين من أراغون فى بستان خارج أسوار المدينة ملكًا لدوق مدينة عبد السلام، حيث كانوا يصلون ويتلون القرآن معًا [٣٠]. وكانوا يصلون جميعًا فى حجرة بدار فابيان دى روبليس (Fabian de Robles) ، نسَّاج أركوس، بعد الوضوء وغلق الباب بإحكام. فى هذه الحجرة كانوا يضعون ملاءة على الأرض ويخلعون نعالهم قبل الوقوف عليها [٣١]. يؤكد أحد الشهود، فى محضر فرانثيسكو ماتيو (Francisco Mateo) ، من سوكوياموس، الذى كان له عم فقيه "أن عمه المذكور أو جدّه كان يغلق على نفسه الباب مع موريسكيين آخرين، وبعد أن يرتدى ثوبًا أبيض من الكتان ويضع غطاءً على الرأس أو عمامة يتجه ناحية الحائط ، وكان الموريسكيون يقلدونه فيما يفعله، وكانوا يذهبون للاغتسال من بعض السواقى" [٣٢].

فى بعض الأحيان تظهر شهادات تفيد بأنه كان لديهم أماكن مخصصة أساسًا للصلاة فى جماعة، غالبًا فى أماكن مستترة أو نائية مثل الأكواخ والبساتين أو فى حقول البطيخ. قال بيدرو دى كاستيلّو (Pedro de Castillo) مغضبًا عندما رآهم بصدد بناء كنيسة [٣٣] أخرى: ليست هناك حاجة فى بناء معابد أخرى ، بل تكفى الصلاة أمام السور أو الجدار الذى أشار إليه، وأمام هذا الجدار كان الموريسكيون من إقليم البروبينثيو (El Provencio) غالبًا ما يجتمعون. وكان خيرونمو، نقّاش أركوس، لديه حجرة معزولة وخاوية إلا من حصيرة على الأرض ولوحين من الخشب أمام الباب لوضع الأحذية عند الدخول. فى خزانة المأكولات بهذه الحجرة عثروا على بعض أجزاء من القرآن مكتوبة بالإسبانية [٣٤].

تظهر الثقافة الدينية الفقيرة لهؤلاء الناس عند أداء " الصلاة ". ومن هذه الصلوات التى ورد ذكرها كثيراً " سورة "الحمد لله" التى كانوا يجهلون معناها. وقلة هم من يظهرون معرفة قليلة باللغة العربية أو بالصلوات.

وتحكى بياتريث دى باديا أن سيدتها علمتها الصلاة "وهى واقفة على لوح من الخشب أو على حصيرة ووجهها باتجاه مشرق الشمس ، وكانت تخفض وترفع جسمها

وتشير بيديها وتلقى بكفيها إلى الخلف من فوق كتفها، وكانت تتمتم بكلام بلسانها". أيضًا أعطتها سيدتها مسبحة وعلمتها أن تقول مع كل خرزة ثلاث مرات " بسم الله الرحمن الرحيم ـ الله أكبر". وهى كلمات لم تكن تفهمها لكنها كانت تقولها لأنها شيء خاص بالمسلمين [٣٥]. واعترفت متهمة أخرى بأداء الصلاة وهى تقوم وتركع على حصيرة فى وسط بيتها وتتلفظ بكلمات " عربية " سُجلت بالمحضر، و "بعد سؤالها عن معنى هذه الصلوات باللغة الإسبانية قالت إنها لا تعرف ولا كلمة من هذه الصلوات التى كانت تقول " أعزنى " يعنى العزة و" الله " الذى يعنى " الإله " وأن أمها أخبرتها بأن كل هذه الكلمات طيبة عند عبادة الله ، وأنها تعلم أن هذه الصلوات تسمى سورة ويُتعبد بها فى دين محمد" [٣٦]. أطلع موريسكى من أراغون موريسكيًا آخر من أركوس على "بعض الصلوات لكنه لم يفهمها لأنها مكتوبة باللغة العربية ولا حتى حينما قرأها عليه من كتاب بالعربية" [٣٧]؛ واطلعت شاهدة على حديث بين موريسكيين لم يتمكنا من حفظ الصلوات لأنها بالعربية وهى لغة لا يفهمانها ، وقررا أن يجتمعا حتى يريا إذا كان من الممكن تعلمها معًا [٣٨] ؛ ولم تكن تعرف ماريا دى - جبريل تعلّمها لصعوبة الكلمات، ونظراً لذلك كانت تردد حال استيقاظها وذهابها للنوم وخلال اليوم لمرات عديدة: "الله ربى ومحمد نبيه والقرآن مرشده وبيت مكة قبلتى [٣٩]" والشهادات التى تسير على هذا النسق متعددة.

الأقلية الموريسكية التى كانت تعرف اللغة العربية هى من أصل غرناطى أو أراغونى. غرناطيون مثل أولئك الموريسكيين من سوكوياموس الذين كانوا يحاولون ، كما رأينا ، تعليمها لنسائهم أو مثل سيبستيان القواغازى (**Sebastian Elquagaci**) قائد البشرات القديم، الذى كان يعرف العربية جيداً ويعرف القراءة والكتابة وكان بحوزته كتب كثيرة مكتوبة بهذه اللغة [٤٠]. وأراغونيون مثل أدريان رينكون (**Adrián Rincón**) وأصله من كالندا (**Calanda**) الذى كان يقرأ الصلوات من كتاب مكتوب بالعربية [٤١].

على الرغم من الضياع التام للغة، فقد حُفظت بعض التعبيرات الدينية: اعتاد الموريسكيون أن يقولوا " بسم الله " عند بدء العمل وعند الخروج من المنزل أو فى بداية تناول الطعام (هى بالضبط " بسم الرب" التى كان يقولها نظراؤهم المسيحيون) [٤٢]، وكان هناك سجين يقول عندما يعطس "الحمد لله" [٤٣].

هناك ندرة أيضًا فى ذكر المصنفات والكتب العربية أو التى لها علاقة بالدين الإسلامى. أوردنا بالفعل بعض الحالات وأهمها هى حالة خيروينمو، نقّاش أركوس (٤٤)، الذى كان يحفظ بعض أجزاء من القرآن. عبارة عن كراسة مدرجة فى المحضر، بل كراستان مخيطتان وأوراقهما ملوثة بالشحم وتالفتان جدًا وتحتويان على سبع عشرة صفحة. وتمت كتابة الكراستين بالإسبانية: ففى أول كراسة منهما كتبت ، بخط بارز وواضح ، الأجزاء الخاصة بفريضة صيام رمضان. وكتبت الكراسة الثانية بيد متثاقلة ومترددة كانت تعرف الكتابة بالكاد وبلغة غير واضحة تقريبًا (ربما كانت لهجة الموريسكيين الأراغونيين) ومع ذلك فإن كلمة " الله " و" محمد " كتبت دائمًا بالعربية وبخط بارز وواضح.

يعد امتلاك كتب عربية أو كتب " صلوات إسلامية " من الجرائم التى تعاقب عليها محكمة التفتيش بشدة. ويلاحظ هالبرين دنغى (Halperin Denghi) (٤٥) أنه كانت هناك حالة من الفزع بين المسيحيين القدامى مما يمكن أن تتسبب فيه الورقة المكتوبة بالعربية، بينما كان لها عند الموريسكيين ـ على الرغم من عدم فهمها ـ طابعًا سحريًا. وكان امتلاك كتابٍ بالعربية أو كتاب عن الدين يمثل ثروة مرغوبًا فيها. كانوا يجلبونها فى الخفاء من أراغون (٤٦) وكانت تحفظ وتنسخ. استعار لويس دى كوردوبا (Luis de Córdoba)، صائغ سان كليمنتى، قرآنًا باللغة العربية ودفع إلى أحد الأشخاص ممن يعرفون الكتابة بهذه اللغة كى ينسخه له. نفس الموريسكى هذا عاقبته محكمة التفتيش لامتلاكه عملاً جدليًا ضد الإسلام بعنوان " خطب ضد الإسلام "، إذ إن هذا العمل كان ممنوعًا على الموريسكيين لأنه يعرض بطريقة جيدة ومفصّلة مبادئ الإسلام بهدف تفنيدها بعد ذلك مباشرة (٤٧). يعنى كان على الموريسكيين اللجوء إلى الأعمال التى كتبها مسيحيون ضد الإسلام حتى يعرفوا أصول دينهم. توجد بعض الحالات الأخرى عن امتلاك كتب عربية أو دينية لكنها ليست كثيرة (٤٨).(*)

(*) بعد أن صادرت السلطات الإسبانية الكتب الدينية والمصاحف لم يكن أمام الموريسكيين سوى الاطلاع على الترجمة الإسبانية للقرآن الكريم لمعرفة أوامر الدين ، والجدير بالذكر أن الكنيسة الكاثوليكية كانت قد أمرت بإعداد ترجمة للقرآن بهدف تفنيد ما جاء فيه (المراجع) .

بالإضافة إلى هذه الشعائر الدينية، هناك شعائر تقترن بالميلاد والزواج والموت. فى الغالب، كانت هذه الشعائر تمارس كاعتراض على الشعائر المسيحية أكثر من كونها شعائر إسلامية حقيقية.

الفضض Fadas

عُرف الاحتفال باختيار اسم المولود بـ " فادا ـ Fada " أو " فاداس – Fadas " : وهو يعنى نذر المخلوق الحديث الولادة إلى الله حتى يشمله برعايته. وكانت تصاحب الإقرار بالدين الإسلامى فى حالة ما كان الأب ـ وهو المنوط به ذلك ـ يعرف صيغتها، ثم يختار له " اسمًا مسلمًا " يُعرف به فى منزله وبين المقربين منه.

لكن عمليًا كان الهدف الأساسى من "الفضض" الموريسكى هو محو آثار التعميد والبحث عن مثيل إسلامى له. ولنرَ كيف وُصف احتفال فضض فى محضر رومان إلرومو [Román El Romo] من أهالى ديثا [(٤٩)]: إثر إعداد طست من الماء وتعرية الطفلة "أخذ فرانثيسكو إلرومو [Francisco El Romo] ، أخوه، الطفلة وغسل كل جسدها فى هذا الطست وقال... كلمات لم يسمعها [الشاهد] ، قال إنها الكلمات نفسها التى تقال عند وضوء كل جزء من الجسد... وبعد أن انتهى من غسلها جففوا جسدها ولفوها فى أقمطة نظيفة، وبعد الانتهاء من لفها بالأقمطة عاد المذكور فرانثيسكو إلرومو وأخذها بين ذراعيه وسأل الآخرين ممن كانوا هناك : ما الاسم الذى يريدون تسميتها به ؟ فأجابوا : مريم. ثم مرَّر يده على وجهها قائلاً هذه الكلمات: "مريم، باسم الله الأكبر، بهذا انتهى الاحتفال". وكما يشار فى محضر آخر " أنهم اعتادوا على تسمية أول بنت تولد فى كل عائلة باسم مريم" [(٥٠)].

ودائمًا ما يوصف الاحتفال بطريقة متشابهة: كان الطفل يُغسل حتى يُزال عنه التعميد والزيوت المقدسة، وكان يُوضَّأ ويلف بالأقمطة أو بالنطق ويوضع له اسم مسلم. وكان من الشائع أيضًا تزيينه إلى أقصى حد ممكن حتى بقلائد من العنبر والمرجان.

جمع لوبى غيريرو (Lope Guerrero) ، بعد تعميد ابنه فى كنيسة ديثا، أصدقاءه على حفل هو فى الواقع احتفال إسلامى: "قاموا باحتفال أطلقوا فيه اسمًا إسلاميًا على الطفل وجعلوه فى أبهى صورة له وزيّنوا عنقه بالعنبر والمرجان وألبسوه خواتم من الفضة، ونطق أحد الأشخاص المذكورين ببعض الأشياء وبكلمات عربية وسماه اسمًا إسلاميًا" (٥١).

وسواء كان هناك احتفال أم لا، كان الموريسكيون يغسلون أبناءهم، تجنبًا لآثار التعميد، أو يدلكون رأس الطفل بلب الخبز (٥٢). كانوا يغسلونهم فى الغالب بماء ساخن. على سبيل المثال، آنا دى أورتوبيا جردت "طفلة عُمِّدت حديثا من ثيابها وغسلت جميع بدنها بماء ساخن بغرض إزالة ومحو الزيت المقدس... وسموها باسم إسلامى أذاعوه هناك بين الجميع" (٥٣) غسلت لويسا دى باتيستا (Luisa de Batista) طفلها بماء ساخن عندما أحضرته من الكنيسة و"جعلته فى أبهى صوره" حينما حَلَّته بقلائد من العنبر والمرجان حول عنقه وسمته باسم إسلامى مستخدمة ألفاظًا عربية (٥٤). وفى أول ماء يُغسل به المولود كانوا يلقون عادة قلائد من الفضة والمرجان وخرزات من العنبر أو من كل ما هو نفيس (٥٥).

وكان من الشائع أيضًا حلق رأس المولود حديث الولادة. ويشير لونغاس (Longás) إلى أن حلق رأس المولود "الذى لم يكن يتجاوز عمره أكثر من سبعة أو ثمانية أيام، كان أمرًا محمودًا، وكانوا يتصدقون بمقدار وزن شعره، المحلوق، فضة أو ذهبًا (٥٦). وطبقًا لما أورده هذا المؤلف، كان رأس المولود يُمسح بالدهن على أنه أمر مباح عوضًا عن دهنه بدم الحيوان المضحى به بغرض الوليمة التى ستقام عقب الاحتفال.

ومع ذلك، ففى المحاضر التى درسناها يتكلمون فقط عن " إزالة الزيت المقدس ": فى ذات مرة، وضعوا للطفل دقيق قمح على رأسه، بالإضافة إلى الماء (٥٧) ؛ وفى مرة أخرى، فى كامبو دى كريبتانا، "ولدت المذكورة لويسا منيغث (Luisa Mínguez) طفلاً وبعد إحضاره من التعميد بالكنيسة، أزالوا له الزيت المقدس بحلق شعره، ومن أجل ذلك غسَّلوا الطفل بماء ساخن وسكبوا عليه دم دجاجة كانوا قد ذبحوها" (٥٨).

بعد شعيرة "الفضض" كانت تقام وليمة للاحتفال. ويصف لونغاس ذلك الاحتفال بأنه كان يصاحب التضحية برأس من الغنم على غرار ما كان يُضحًّى به فى عيد الأضحى والتى كان يجب ذبحها صباحًا، ومن كان يلمس الطفل كان يبتعد عن دم الأضحية. وكان يُأكل منها جزء ويُتصدق بالآخر [٥٩]. ومع ذلك، كانت احتفالات الموريسكيين الكوينكيين فقيرة جداً: كان يجتمع أقارب المولود وأصدقاؤه بعد التسمية لأكل الحلوى والفاكهة [٦٠]: لم نعثر على أى خبر عن التضحية بأى رأس من الغنم ولا عن وليمة ذات شأن.

بالنسبة للختان – حسبما يرى العديد من المؤلفين – [٦١] كان متأصلاً بشكل غير عادى بين الموريسكيين "ولم نجد بين كل محاضرنا أكثر من حالات الختان التالية: طفل موريسكى مولود من بيافلتشى بأراغون [٦٢]، رجل وأبناؤه من بناغواثيل (Bena-guacil) بفالنسيا [٦٣]. ولم يظهر موريسكى كوينكى واحد مختونًا ، ولا يُعتقد أن وجود هذه الشعيرة مرَّ على قضاة محكمة التفتيش دون الالتفات إليها، وبخاصة عندما تُعتبر هذه الشعيرة مرتبطة بالموريسكى. كما يوضح جيداً موريسكى من بيلمونتى فى عام ١٦٣٠، بعد عودته من الجزائر التى طُرد إليها، أن "كل الموريسكيين بمملكة فالنسيا مختونون، ونصف مملكة أراغون كذلك، بيد أنه لم يكن هناك مختون واحد من مملكتى أندلوثيا وقشتالة" [٦٤].

العرس

لم يقترن الزواج بين الموريسكيين بأية شعيرة دينية، حيث إن العرس فى الإسلام يعد احتفالاً مدنيًا. لم نجد أكثر من حالة عرس إسلامى حقيقى، يعنى موثقًا أمام قاضٍ : فى عام ١٥٦٩، استقدم لويس دى ثيبيا موريسكيًا من بريا (Brea) بأراغون، إلى ديثا كى يقوم بدور القاضى ويصدق على زواج ابنه: "بأمر من المدعو لويس ثيبيا تزوج أحد أبنائه على يد قاض موريسكى من بريا على دين محمد دون الرجوع إلى الشروط والصيغ التى تتطلبها الكنيسة المقدسة فى الزيجة التامة" [٦٥].

بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد فيما يتعلق بالزواج إلا عادات خاصة بتجهيز العروسين أو الاحتفال بالحدث.

كان العروسان يتوضآن قبل الزواج ، بالإضافة إلى الاغتسال بماء معطر. وجرت بينهم عادة إزالة كل شعر العروس كما يحدث فى كثير من الدول الإسلامية الآن. قال موريسكى من سوكوياموس "إن أول ليلة اختلى فيها بزوجته سألها كيف أن جسدها خال من الشعر، قالت له إن لويسا، القابلة الموريسكية... أخذتها إلى بيتها وأزالته لها،ولا يدرى هل قالت له إنها أزالته بماء ساخن" (٦٦) ؛ وغسَّلت قابلة عجوز عروساً أخرى "بماء ساخن وبارد ونمقت لها حاجبيها" (٦٧). "يغتسل جميع الموريسكيين عند زواجهم، (٦٨) وبعضهم يفتخر بذلك ويمتدحه" (٦٩).

أما عن الأمور الأخرى، فعادة ما كان الموريسكيون يتزوجون فى الكنيسة أو يستغنون عنها "تزوج على الطريقة الإسلامية دون الالتفات إلى شروط الكنيسة" (٧٠) فى غالب الأحوال، كان يطلق على هذا الزواج: معاشرة جنسية محرمة "لكن لم يكن يعاقب عليه بوصفه خطيئة تتنافى مع الوصية السادسة، بل على أنه إلحاد" (٧١).

كانت تقام الاحتفالات والأفراح بعد مراسم العرس، خاصة بين الغرناطيين الذين كانوا يتمتعون بلياليهم وسهراتهم الشهيرة: "كانت تقام ليالٍ وسهرات حسبما اعتاد عليه المسلمون فى أعراسهم" (٧٢).

أشرنا آنفاً إلى أن أى ذنب يتنافى مع الوصية السادسة يعد إلحاداً (٧٣): "كما يعتقد ويفعل المسلمون ، فإن الالتقاء الجسدى بين رجل وامرأة غير متزوجين يعد خطيئة " (٧٤). على الرغم من ذلك، فإن هذا النوع من الذنوب نادر جداً: ثمة آراء حول جرم المعاشرة الجنسية بين رجال ونساء لم يتزوجوا (٧٥) ؛ موريسكى ضاجع ابنة أخته المتزوجة ولم يعترف بذلك (٧٦) ؛ وهناك حالة تعدد زوجات واحدة: إلينا دياث (Helena Díaz) من لارودا،" كانت تشعر ومازالت تشعر بسوء رباط الزواج المقدس... تزوجت برجل مازالت زوجته الأولى على قيد الحياة" (٧٧).

هذه المعلومة على قدر من الأهمية مثل المعلومة الخاصة بعدم عثورنا على موريسكيين مختونين. نسب مجتمع ذلك العصر إلى الموريسكيين سلسلة من الملامح

التى ـ من بين ملامح أخرى ـ كانت تبرر رفضهم واحتقارهم. من بين هذه الملامح الإفراط والاعتدال، وكما يقول ثيربانتس فإن الاعتدال يسهم فى الإفراط [٧٨]. لم يكن الموريسكيون يحافظون على أى من الآداب الجنسية ولا العفة، وعليه كانوا يتكاثرون بشكل غير عادى. لم يدفعهم إلى ذلك تقشفهم فى المأكل والمشرب فقط، بل لكونهم مختونين: كان هذا هو الرأى السائد. ولا يمكن تبرير أىٍّ من هذه الملامح عن طريق المحاضر [٧٩].

الدفن

أول واجب كان يتعين القيام به مع الميت هو تغسيله "مثل الوضوء بالنسبة للحى" [٨٠]. ثم يُكفَّن فى ثوب جديد ويلف أيضًا بملاءة جديدة من الكتان، "تُربط الملاءة من أعلى ومن أسفل لأن ذلك شعيرة المسلمين" [٨١].

ماريا دى مونتيمايور (María de Montemayor) كفَّنت قريبة لها بالطريقة التى تكفن بها المسيحيين الجدد، ملفوفة "فى كفن جديد، وزينت بأفضل وأروع حلى عندهم ... ملاءة جديدة من الكتان مع ثوب جديد وخمار وغطاء رأس مُطَرَّز ، ووضعوا لها خواتم فى الأصابع وقلادة من المرجان وحلى أخرى ، واليدان مبسوطتان على غير هيئة الصليب أو أى إشارة صليب أخرى كما جرت عادة المسيحيين المؤمنين" [٨٢]. ودفنوا موريسكية أخرى من أركوس "بقماش مكشكش حول العنق وغطاء رأس وثوب وقلائد من الفضة، إذ إن الدفن بالحلى أمر خاص بالمسلمين" [٨٣] بالفعل، وجدنا حالات عديدة لموريسكيين تم دفنهم بحلى. لكن هذه العادة ـ الشبيهة بعادات أخرى كان يعتبرها علماء الدين المسيحى مميزة لهم ـ ربما يرجع أصلها إلى عصر ما قبل محمد، ويجدر البحث عن مثيل لها فى المجتمعات المسيحية [٨٤]. ونفس الشىء ينطبق على ما يتعلق بوضع أغذية فى المقابر، أيضًا لدينا عن هذا الأمر نماذج كثيرة. إذ إن "وضع زبيب وتين ومواد غذائية أخرى " [٨٥] هو شىء خاص بالمسلمين. فى الواقع، وطبقًا لما يراه " لونغاس " [٨٦] لم يكن مباحًا وضع ذهب أو فضة بداخل التابوت، وبالتالى فهى عادة بلا جذور إسلامية.

كان الموريسكيون يحفرون مقابر عميقة جداً بقصد الوصول إلى تراب طاهر ويابس لم يسبق أن حُرِّكَ من مكانه أو دفن به أحد أبداً. وكان يجب أن يحيط هذا التراب الطاهر بالمتوفى، وكان يوضع فى "تجويف دون الضغط على الأرض أو وطئها، وهى شعيرة وطقس دينى إسلامى مشهور" (٨٧) فى أكثر من مرة، قال نائب دير أركوس، الذى كان يقدم إلى محكمة التفتيش كى يشتكى أبناء ديره، إنهم يحفرون قبوراً عميقة جداً "يصل عمقها إلى إبط يد السيد قاضى محكمة التفتيش، بل يصل الكثير منها إلى أعمق من ذلك" (٨٨).

يحفر اللحَّاد القبر "بإتقان وبمستوى مربع يتساوى أعلاه مع أسفله، وبالإضافة إلى ذلك، فإن المذكور [اللحاد يحضر لإهالة التراب على الجثمان] ينزع عن التراب ما به من حصى ثم يلقى بأول التراب الطاهر على الجثمان. وهكذا وبأمر منه يتبعه الآخرون ولا يطئون التراب إلا ما وقع منه ، ويظل القبر مجوفاً" (٨٩).

كان الميت يدفن على جنبه بحيث يظل وجهه باتجاه المشرق بناحية مكة. فى الغالب أيضاً، كان يتم وضع المحتضرين على جنوبهم حتى تخرج أرواحهم (٩٠).

ثمة أخبار أيضاً عن عادات وخرافات كانت تحدث بعد وفاة أى موريسكى. على سبيل المثال: عندما مات قريب لفرنثيسكا ميركادو (Frencisca Mercado) من أركوس، "وضعت فى الحجرة وفى المكان الذى مات به قماشاً مخططاً وفرشته ، ووضعت فى وسط القماش جَرَّة من الفخار... ذهبت لتضع القماش المخطط وجرة الفخار حتى تأتى إلى هناك روح الميت لتتناول الطعام، حسبما يفعل المسلمون" (٩١).

الهوامش

(١) T. Halperin Donghi, "Un conflicto nacional: moriscos y cristianos viejos en Valencia", primera parte, p. 84.

(٢) شيء شبيه يحدث في الوقت الحالي مع الدارسين المسلمين خارج بلادهم، فهم يحافظون على صيام رمضان حتى لو كان هذا هو المظهر الديني الوحيد الذي يحافظون عليه ، وحتى عندما لا يحافظون عليه في وطنهم.

(٣) ADC, leg. 249, núm. 3363.

(٤) ADC, leg. 375, núm. 5322.

(٥) ADC, leg. 237, núm. 3072.

(٦) ADC, leg. 375, núm. 5324.

(٧) ADC, leg. 219, núm. 4117.

(٨) ADC, leg.291, núm. 4093 A.

(٩) ADC, leg. 291, núm. 5214.

(١٠) ADC, leg. 291, núm. 4093 A.

(١١) ADC, leg. 345, núm. 4902.

(١٢) ADC, leg. 375, núm. 5321.

(١٣) P. Longás, Vida religiosa de los moriscos, Madrid, 1915, p. 230.

(١٤) ADC, leg. 277, núm. 3821.

(١٥) ADC, leg. 375, núm. 5322 الصراط: ممر ضيق جداً يجب على المؤمن أن يمر عليه يوم القيامة كي يدخل الجنة. من ينزلق بسبب ذنوبه يهوى إلى الجحيم.

(١٦) ADC, leg. 375, núm. 5321.

(١٧) P. Longás, op. cit., p. 27.

(١٨) ADC, leg. 279, núm. 4244.

(١٩) ADC, leg. 324, núm. 4969.

(٢٠) ADC, leg. 291, núm. 4093.

(٢١) ADC, leg. 252, núm. 3423.

(٢٢) Hisoria eclesiástica de la ciudad de Granada, f. 236.

(٢٣) ADC, leg. 345, núm. 4902.

(٢٤) ADC, leg. 293, núm. 4171.

(٢٥) ADC, leg. 277, núm. 3822.

(٢٦) انظر على سبيل المثال فى: ADC, leg. 249, núm. 4167.

(٢٧) ADC, leg. 349, núm. 4946.

(٢٨) ADC, leg. 377, núm. 5289.

(٢٩) P. Longás, op. cit., p. 57.

(٣٠) ADC, leg. 362, núm. 5142.

(٣١) ADC, leg. 210, núm. 2423.

(٣٢) ADC, leg. 300, núm. 4314.

(٣٣) ADC, leg. 245, núm. 3281.

(٣٤) ADC, leg. 237, núm. 3072.

(٣٥) ADC, leg. 341, núm. 4860.

(٣٦) ADC, leg. 341, núm. 4860.

(٣٧) ADC, leg. 210, núm. 2423.

(٣٨) ADC, leg. 366, núm. 5172.

(٣٩) ADC, leg. 264, núm. 3604.

(٤٠) ADC, leg. 262, núm. 3573.

(٤١) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(٤٢) ADC, leg. 341, núm. 4860.

(٤٣) ADC, leg. 245, núm. 3270. A

(٤٤) ADC, leg. 237, núm. 3072.

(٤٥) "Un Conflicto nacional" primera parte, p. 88.

(٤٦) ADC, leg. 377, núm. 5342.

(٤٧) ADC, leg. 356, núm. 5066.

(٤٨) على سبيل المثال : ADC, leg. 88, núm. 1300;
ADC, leg. 361, núm. 5131; ADC, leg. 240, núm. 3142; ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٤٩) ADC, leg. 369, núm. 1216.

(٥٠) ADC, leg. 378, núm. 5356.

(٥١) ADC, leg. 250, núm. 3370.

(٥٢) ADC, leg. 378, núm. 5356.

(٥٣) ADC, leg. 375, núm. 5342. ثمة أمثلة أخرى حول إزالة الزيوت المقدسة موجودة فى :
DC, leg. 256, núm. 3478;

(٥٤) ADC, leg. 252, núm. 3405.

(٥٥) ADC, leg. 366, núm. 5174.

(٥٦) P. Longás, op. cit., p. 257.

(٥٧) ADC, leg. 356, núm. 5066.

(٥٨) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٥٩) P. Longás, op. cit., p. 257.

(٦٠) سنعود إليه عند الحديث عن الأغذية.

(٦١) من بينهم لونغاس نفسه، المصدر السابق، صفحة ٢٦٢ .

(٦٢) ADC, leg. 248, núm. 3347.

(٦٣) ADC, leg. 248, núm. 3348.
يرتفع جداً عدد المختونين بفالنسيا García Carcel, op. cit., p. 201.

(٦٤) ADC, leg. 437, núm. 6169. انظر الملحق الوثائقى صفحة ١٤٩ .

(٦٥) ADC, leg. 303, núm. 4367 y 4380 y leg. 304, núm. 3389; leg. 294, núm. 4244, etc.

(٦٦) ADC, leg. 297, núm. 4244.

(٦٧) ADC, leg. 290, núm. 4068. أيضاً: ADC, leg. 294, núm. 4171.

(٦٨) ADC, leg. 294, núm. 4169.

(٦٩) ADC, leg. 304, núm. 3389.

(٧٠) ADC, leg. 375, núm. 5324.

(٧١) ADC, leg. 291, núm. 4109; leg. 305, núm. 4422.

(٧٢) ADC, leg. 268, núm. 3681.

(٧٣) انظر أيضًا : L. Cardillac, op. cit., p. 114.

(٧٤) ADC, leg. 254, núm. 3436.

(٧٥) ADC, leg. 255, núm. 3459.

(٧٦) ADC, leg. 290, núm. 4082.

(٧٧) ADC, leg. 268, núm. 3681.

(٧٨) يزيد عددهم ويتكاثرون إلى ما لا نهاية كما تدل على ذلك التجربة؛ لا مجال للعفة ولا للدين بينهم أو بينهن: كلهم يتزوجون ويتكاثرون لأن العيش الزهيد أحد بواعث الإنجاب؛ لا تفنيهم الحرب ولا العمل الذى يمارسونه." Cervantes, Coloquio de los perros, Ed. Rivadeneyra, tomo I, p. 242.

(٧٩) أيضًا لا تبرر إحصائيات محاكم التفتيش المذكورة أعلاه تكاثر النسل الموريسكى المفترض. انظر مقالى : "Los censos de moriscos de 1589 y 1594...", citado.

(٨٠) ADC, legs. 291, núm. 4093 A; 294, núm. 4169; 290, núm. 4068; 210, núm. 2420, etc.

(٨١) ADC, legs. 341, núm. 4860; 263, núm. 3600; lib. Auto de 1583, etc.

(٨٢) ADC, leg. 263, núm. 3600.

(٨٣) ADC, leg. 341, núm. 4868.

(٨٤) J. Caro Baroja, Los moriscos de Granada. Ensayo de historia social, Madrid, 1957, p. 111.

(٨٥) ADC, leg. 291, núm. 4110.

(٨٦) P. Longás, op. cit., p. 277.

(٨٧) ADC, leg. 291, núm. 4100; leg. 351, núm. 4858.

(٨٨) ADC, leg. 290, núm. 4068.

(٨٩) ADC, leg. 294, núm. 4169. انظر حول مبدأ الدفن فى أرض طاهرة: P. Longás, op. cit., p. 294.

(٩٠) ADC, lib. 352.

(٩١) ADC, leg. 208, núm. 2404.

الفصل الرابع

المواجهة بين المسيحيين القدامى والموريسكيين

كما نرى فإن الإسلام الموريسكى كان في حالة تردٍ وتدهور غير عادى. فالمتهمون فى المحاضر التى ندرسها أناس بسطاء وجهلاء، فى الواقع هم "عوام جهلاء لا يعرفون أن يكونوا مسلمين أم مسيحيين" (١) ومعارفهم الدينية لا قيمة لها تقريباً. لكن محاكم التفتيش لم تشغل نفسها بهذه المعارف والعبادات فقط: إن محاضر التفتيش تعج بالحياة. أحياناً تهتم بالوصف وتنحدر إلى النوادر الدقيقة، ثم إلى وصف المشاهد اليومية. وهى تضيف بشكل تعبيرى دقيق كمًا هائلاً من المعلومات عما كان يعنيه التعايش اللصيق واليومى فى قشتالة - فى وسط ريفى فقير وجاهل - لمجتمعين ينتميان إلى ثقافتين مختلفتين، كان هذا التعايش عبارة عن مواجهة مستمرة.

يُستشف بوضوح من المحاضر حالة التوتر السائدة وهو ما يقول عنه بروديل (Braudel) "صراع الحضارات". وتظهر بجلاء فى المحاضر الكوينكية صعوبات الحياة عامة والأهواء الخاصة المتناحرة والحقد وعدم الثقة ورغبة الأغلبية المدمرة وإرادة الأقلية فى البقاء. وعلى جانب آخر، التعايش المتلاحم. فالأجراء من المسيحيين القدامى والجدد يذهبون معًا إلى الحصاد أو ينتقلون إلى احتفال قريب معًا، ويلعب أطفال كلا المجتمعين فى الفضاء أو فى الميدان، وتقيم النساء علاقات جوارٍ طيبة، فالواحدة منهن تدخل فى دار الأخرى لطلب القليل من الملح أو فص ثوم أو لتقديم المواساة... علاقات كسلاح ذى حدين، بالتحديد، هذه الحياة اليومية التى تجمعهم تتسبب فى الخلافات وتسهم فى معلومات تقتاد الموريسكيين للمثول أمام محكمة التفتيش. وغالبًا ما تكون البلاغات على شكل ثرثرة وردت على ألسنة القابلات.

على سبيل المثال، تشهد جارات كاتالينا دى مورا (Catalina de Mora) من كينتنار (٢) "بأنها لا تشترى لحمًا أبدًا من الجزارة العامة، لكنها تذبح مما فى دارها

ومن عند أقاربها"؛ ولم تُر مسيحية جديدة أخرى أبداً وهى تضيف لحم خنزير أو دهنه إلى طعامها [٣].

غالبًا ما يكون من وراء الدعوة إلى الطعام والمزاح مع الموريسكيين سوء نية: حدث أن دعا بعض الأهالى من أركوس خوان غراندى لتناول بعض البيض المطهى بدهن الخنزير. يذهب خوان غراندى إلى محكمة التفتيش لأنه رفض أكلها [٤]. موريسكى آخر أطعمه أصدقاؤه المسيحيون القدامى ـ على سبيل المزاح وبدون أن ينتبه لذلك ـ قليلاً من لحم الخنزير مخلوطًا بأطعمة أخرى "وبعدما تناوله تقيَّأه لدرجة أنه أراد أن تخرج أحشاؤه وراءه" [٥] ومن الشائع أيضًا الدعوة على الغداء خلال رمضان.

وغالبًا ما تسهم سذاجة الأطفال وعدم كتمانهم السر فى اقتياد أهاليهم إلى محكمة التفتيش. وتعد حالة إيسابل باستيدا (Isabel Bastida) من سوكوياموس، مميزة جدًا [٦]: "فبينما كان يستريح القاضى بورَّاس (Porrás) والقاضى فرانثيسكو دى أباديا (Francisco de Abadía) من أهالى هذه القرية، تجاذبوا أطراف الحديث مع موريسكية صغيرة تدعى إيسابل يتراوح عمرها بين ست وسبع سنوات، وهى حفيدة إيسابل باستيدا ... من موريسكيى مملكة غرناطة، سألها المذكوران آنفًا هل تحبين الرب أكثر أم محمداً، فأجابت: محمد... لأن جدتها كانت تقول لها ذلك، على الفور أرادوا أن يعطوها قليلاً من الخبز مع لحم الخنزير لكن الطفلة رفضت أن تأكله مخافة أن تضربها جدتها بالسوط. عامة ، كان هذا هو السبب الذى من أجله لم يعلموا الأطفال الموريسكيين الدين الإسلامى حتى يبلغوا سن الرشد.

وعندما يُستجوبون بهذا الشأن يعترف الكثير – على سبيل المثال لويس دى ثيبيا – [٧] أنهم نشأوا فى الدين الكاثوليكى حتى الخامسة عشرة تقريبًا ثم علمهم آباؤهم دين محمد. لكن قضية تعليم الأطفال الدين المسيحى كانت باعثًا على الاستياء أيضًا: فأبناء إيسابل غونثالث (Isabel González) ، من سان كليمنتى، كانوا يأكلون لحم الخنزير دون علم أمهم فى بيت الجارة [٨].

تكفى أية إشارة أو أى عمل، سواء كان قليلاً أو عديم الأهمية، وليست له صلة بعادات وتقاليد المجتمع المسيحى، لاقتياد أى موريسكى إلى محكمة التفتيش للشك

فى ممارسته للإسلام. الوصف الدقيق لهذه الإشارات وهذه العادات يضيف كمًا هائلاً من المعلومات حول ما كانت عليه الحياة اليومية الموريسكية القشتالية. فكل ما يبدو للمسيحى القديم غير عادى وغير مألوف فى الموريسكى يُنظر إليه على أنه "شعيرة للمسلمين".

من بين التهم الموجهة إلى موريسكى متهم من مولينا قوله لابنته أن لا تُقبِّل يديه، بل رأسه، ويقول ممثل الادعاء إنها كانت تفعل ذلك لأنه شعيرة للمسلمين. واحتج المتهم بأنها ليست شعيرة دينية، لكنها "عادة بين المسلمين أن يقبل الأبناء يد الآباء، وأيضًا كزيادة فى المحبة يقبلونهم على الصدغ أو الرأس".

لكن لا يفرق بين " شعيرة للمسلمين " و" عادة للمسلمين " بما أن النزاع ليس دينيًا فقط: بالنسبة لمحكمة التفتيش كان الأمران يستوجبان العقاب سواء بسواء.

حُكم على ماريا لوبيث (María López) من ديثا ، بالإعدام "بما أن عادة المسلمين هى كنس البيوت إلى الداخل، كانت تكنس بيتها إلى الداخل وتحرق أطراف فتيل القنديل بشعلة نار، كل هذا يشير إلى أنها قامت بهذه الشعيرة وبهذا الاعتقاد الباطل عند المسلمين على ما يبدو لحبها لدين محمد. واحتجت المتهمة بأنها تمتلك حظيرة فى الفناء الداخلى حيث تخزن روث تسميد بستانها، ولذا فهى تكنس نحو الداخل" (٩).

دائمًا ما يذهب إيرنان مارتينيث (Ernán Martínez) لجلب الماء من بئر لم يعتد المسيحيون القدامى على إحضار الماء منها. فالبئر "حُفرت قديما على يد المسلمين، ولأنه توجد آبار أخرى بها ماء أفضل وأقرب، فيتوقع أنه يفعل ذلك لكونه عادة بين المسلمين"(١٠). والأمثلة من هذا النوع لا تحصى.

الحكاية التالية على قدر كبير من الأهمية لأنها تتحدث عن الهشاشة التى كان عليها التعايش ، وعن حالة التوتر الدائمة التى كانت تتسبب فى الحوادث والمصادمات لأتفه الأسباب: فى ميدان كورَّال دى ألماغير، قدمت موريسكية إلى عربة تبيع كمثرى كى تشترى نصف رطل، لكنها لما رأت هناك جماعة من الرجال الغرباء تردَّدت وخافت الاقتراب "قال لها أحدهم: تقدمى أيتها الكلبة فلن يلتهموكى، قالت الموريسكية إنها لم تتقدم بسبب الزحام هناك، وبينما هى على هذه الحالة وصل رجلان موريسكيان، كان

أحدهم رجلاً قوى البنيان يرتدى ثوبًا طويلاً أسود ومعطفًا بنيًا ، وكان من بصحبته يرتدى سترة جلد ذات شرائط وقلنسوة جبلية. قال الرجل صاحب الرداء الداكن والمعطف البنى والأكثر شباباً: أيها السادة لا تسخروا من الفقراء، دعوهم يأخذون حاجاتهم، إنها سيدة كريمة مثلكم. رد عليه فى ذلك أحد هؤلاء الرجال الحصادين الذين كانوا بجوار العربة قائلاً: تكلم يا كلب، انظر إليه وهو يتكلم، فلن يصيبك أحد بسوء، قال هذا الرجل الموريسكى: بمن تنادى كلب؟ إن دينى أفضل من دينكم"(١١). قال المختص بجبى ضرائب السوق والذى تصادف مروره مع كلام الموريسكى: "ماذا تقول يا كلب" فأعاد الموريسكى ما قال، فتشابكوا بالأيدى وقبضت الشرطة على صاحب العربة وجابى الضرائب والموريسكيين اللذين سلمتهما إلى محكمة التفتيش (١٢).

تعتبر العادات الغذائية، من بين أمور الحياة اليومية التى تواجه كلا المجتمعين، ذات أهمية كبيرة. بالفعل، أوضح بيدرو دى فالنسيا كيف أن الخلاف فى الأطعمة "يسبب خلافات طائفية" (١٣).

من بين العادات الغذائية، يبرز فى المقام الأول تلك التى تستمد أصلها من مبدأ دينى. على وجه الخصوص، عدم تناول لحم الخنزير أو شرب الخمر، وأكل اللحوم المذبوحة على الشريعة وعدم الالتزام بالصيام والاحتفالات المسيحية، وتناول اللحم أيام الجمع. إلخ.

الأمر الغالب والمتأصل بعمق فى حياة الموريسكى هو كراهية كل منتجات الخنزير (ومنه لحم الظهر الذى يستعمل بكثرة) فالموريسكيون "يرون فى احترام هذا المبدأ شرطًا لنجاتهم وإشارة لوحدتهم مع جماعة المسلمين" (١٤). لدرجة أن هذا الأمر كان إشارة تدل على هويتهم كموريسكيين، ولكى يسخروا من محكمة التفتيش "كان كثير منهم ظاهرياً يشترى لحم الخنزير ولا يأكله وبخاصة النساء الموريسكيات اللاتى لا يرغبن فى رؤيته بالمنزل بأى شكل" (١٥). كراهية لحم الخنزير أمر لا يمكن التحكم فيه حتى مع الموريسكيين الذين يُظهرون أنهم مسيحيون مخلصون. يعترف الكثيرون "بأنهم لم يأكلوا لحم خنزير لأن معدتهم لا تتحمله ، ولا يشربون الخمر لأنهم سوف يتقيَّئونه مباشرة" (١٦).

هذا النفور يظهر فى كل مرة يضطر فيها الموريسكيون إلى إعداد طعام مشترك مع المسيحيين، وذلك يحدث مع أُجراء الحقول وناقلى البضائع فى مراحل الطريق أو المحتجزين بالسجن. يبتعد الموريسكيون عن المسيحيين القدامى عند تناول طعامهم حتى يصلوا إلى مكان ما بالحقول لا يشمون فيه رائحة لحم الخنزير [١٧] ولكى يتواروا كانوا يعودون إلى بيوتهم عبر حقول العمل حتى لا يشتركوا فى الوجبات الجماعية، ويبتعدون ويتوارون إذا كان وقت رمضان، أو يتبنون موقف تحدٍ واحتقارٍ معلن: "كانوا يبتعدون عن الجماعة حتى لا يروا أكل لحم الخنزير، وفى كل مرة كان يُقلى كانوا يسدون أنوفهم حتى لا يشموه" [١٨].

يُعد عدم أكل لحم الخنزير من الملامح المميزة والمرتبطة بالموريسكى. فهم لا يأكلونه "لأن المسلمين لا يأكلونه" أو "لأن أسلافهم لم يأكلوه" [١٩]. وإذا ما أرادوا الإدلاء بحجج أخرى لا يعرفون إقامة الحجة، إلا بتفسيرات تقليدية لا يستوعبونها جيداً كالتفسير التالى: دييغو تارين (Diego Tarín) أوضح أنه لا يأكل لحم الخنزير "لأنهم لما ذهبوا لصلب يسوع سألوه أن يخبرهم عمن بداخل إحدى الدور إذا كان نبيًا، رد عليهم يسوع بأن بها بعض الخنازير ، ثم خرج بعض اليهود وهم يحدثون جلبة كالخنازير، وبالتالى يُفهم من كلام هذا المتهم أنه يؤمن بأن يسوع كان نبياً وليس إلهاً" [٢٠].

هناك اتهام شائع مماثل هو عدم شربهم للخمر، على الرغم من أن الاشمئزاز الذى كانوا يشعرون به من الخمر لا يبدو كبيراً ولا مميزاً كما هو الحال مع الخنزير. كان كثير من الموريسكيين يمتلكون مزارع عنب، لكنهم كانوا يخصصون عنبها للغذاء، ولعمل الزبيب على وجه الخصوص.

ومع ذلك، فالخمر تتسبب فى تعليقات غاضبة ليست بالقليلة، كتعليق خوان غراندى، من أركوس، عندما رأى جاراً له كان يحمل قرباً من النبيذ صاح قائلاً: أدعو الله أن تقطع أقدام من داسه لأن الرب غاضب عليه، [٢١](*)

(*) يقصد داس العنب بقدميه حتى يستخلص منه العصير الذى سيتحول فيما بعد إلى نبيذ ، وهذه هى الطريقة التقليدية القديمة لعصر العنب . (المترجم) .

هناك اختلافات أخرى، بالإضافة إلى عدم أكل الخنزير أو شرب الخمر، تخضع لقواعد دينية مثل عادة أكل اللحوم المذبوحة على الشريعة على وجه الخصوص ، وهى شعيرة كان المسيحيون الجدد يحافظون عليها بشدة.

هناك عدة محاضر محفوظة عن جزارين موريسكيين: فى عام ١٥٩٧ قُدِّمَ الجزار بالتسار دى لا كمارا (Baltasar de La Cámara) للمحاكمة لأنه "دائمًا ما يذكى رءوس الماشية على طريقة المسلمين وعلى شريعتهم (و يقطع أوداجها) وهى شعيرة مشهورة عند المسلمين وهم معتادون عليها ويحافظون عليها بشدة بينهم" (٢٢) وكان دييغو دى غثمان (Diego de Guzmán) من بيا إسكوسا دى آرو، يذكى رءوس الماشية "بذبحها مع تمرير السكين على رقبتها وقطع الودجين ، وكان يقول : بسم الله ، التى تعنى فى الأعجمية الحمد لله ... وكان يوجهها ناحية القبلة" (٢٣).

كان إيرنان مارتينيث يذبح دجاجة كل أسبوع على الطريقة الإسلامية (يعنى يقطع الودجين ويوجهها ناحية الشرق) ويتركها تصفى دمها (٢٤)، فالموريسكيون "يأكلون اللحم خاليًا من الدم ويغسلونه بالماء حتى يصبح أبيض مثل الثلج" (٢٥).

هناك بلاغ ـ من نوعية تلك البلاغات التى ذكرناها عن الجارات وهو ظاهريًا مقصود جدًا ـ من إحدى الجارات حملت طعامًا إلى جار موريسكى عاجز، "وعلى الرغم من أنه مريض ومعوز، لم يأكل لحم الطير لأنه لم يُذبح طبقًا لمبادئ الطائفة المذكورة وشعائرها" (٢٦).

و الموريسكيون بكينتنار "لا يشترون أبدًا لحمًا من الجزارة لكن مما فى بيوتهم ويذبحون من عند أقاربهم" (٢٧) ؛ ويعتبر أيضًا عدم أكل لحم ذكته امرأة شعيرة للمسلمين (٢٨). أيضًا لم يكونوا يأكلون لحم فريسة اصطادتها الكلاب ، أو وقعت فى شراك ، أو قتلت بسلاح نارى.

كان خوان دى أورتوبيا، من ديثا ، يخرج أحيانًا للصيد ومعه كلابه، وذات مرة أمسكت كلابه أرنبًا فأسرع لذبحه حسب الشريعة ولتصفية دمه قبل أن تقتله الكلاب. (٢٩)

الكراهية الموريسكية للحم الخنزير أمر مميز جداً، حتى إنه وبشكل عام يعد أى اشمئزاز من دهن الحيوان دليلاً على الإسلام: "هم معتادون على تنظيف اللحم من الشحوم" (٣٠).

ماذا كان يأكل الموريسكيون ؟

وقت الظهيرة، أيام الحصاد، وحتى لا يأكلوا من الطعام الذى يأكل منه بقية الأجراء، كانوا يقتاتون "الخبز والزيت والبصل" (٣١)، أو "العصيدة وأنواعًا أخرى من خبز الشعير أو خبز الذرة (٣٢)، أو أن كل واحد كان يأكل مما توفر لديه" (٣٣) وكان ناقلو البضائع يقتاتون فى الطريق "الخبز والتفاح" (٣٤).

كانوا يطهون دائمًا بالزيت، وهو ما يتعارض مع المطبخ القشتالى الذى يعتمد على لحم الخنزير ودهنه. ولقد أبت ماريا دى ميندوثا تناول حساء أُعد بلحم خنزير. كانت تقول إن "المسيحيين لا يعرفون إعداد أطعمة دون أن يضيفوا إليها لحم خنزير، وأن فى أرضها [غرناطة] كانوا يطبخون بالزيت" (٣٥). احتج الجيران على الرائحة الكريهة التى تخرج من الزيت، وكانوا يقولون إنه يحدث رائحة كريهة. (٣٦)

كان الموريسكيون يأكلون أطعمة أخرى غير المعتادة بين المسيحيين القدامى الذين كان طعامهم "القدر المعتاد" وهو عبارة عن الحُمص المطبوخ مع لحم الخنزير والسجق المحشو بلحم الخنزير والفلفل الأحمر مع نوع من الخضروات (٣٧)، وهو قدْر لم يجربه الموريسكيون أبداً: إينيغو مارشال (Iñígo Marchal) من موليناً، يدعوه جار له إلى الطعام، فأجابه بأنه سيلبى الدعوة إذ لم يضف لحم الخنزير إلى القدر (٣٨). وشهدت شاهدة على الموريسكيين فى كامبو دى كريبتانا "بأنها لم ترهم أبدًا يعدون قدرًا إلا إذا كان مطبوخًا بلحم خروف مع الزيت والبصل" (٣٩)، وذلك حسبما تقول " للحفاظ على دين محمد". المسيحيون الجدد "لا يأكلون قدوراً أضيف إليها لحم خنزير، بل قدوراً صغيرة وأطعمة حقيرة" (٤٠) ويستهلكون كمية كبيرة من "الزبيب والتين" (٤١).

و يكون الحديث مفصلاً عن طعام الموريسكيين إذا ما تمت مباغتتهم فى احتفال أو عند الإفطار فى رمضان.

وعند الاحتفال بتعميد ما [فضض] كانوا يعدون "أكلات خفيفة من الكعك والتفاح والجوز والتفاح ..." [٤٢] أو "كعك وفطائر وعسل وفاكهة" [٤٣]. "كعك وعنب وعسل وكريز وخبز" [٤٤] أو "كعك وتفاح بأنواعه وفطائر " [٤٥]، إلخ.

كانوا يتسحرون "خبزًا وعنبًا وتفاحًا وزبيبًا"، "لحمًا نضج فى الدهن مع الجبن والخبز" [٤٦].

وغالبًا ما يرد ذكر بعض الفطائر التى أُغرم الموريسكيون بصنعها على ما يبدو، وتدعى " ميثقيمى " (Mizqueme) أو الميثغيمى (Almizgueme) التى كانوا يتناولونها عند السحور وفى الاحتفالات. وعلى وجه الخصوص، فى احتفال العام الجديد. "كانوا يأكلون فى الصيام طعامًا يدعى ميثغيمى عبارة عن فطائر بالزيت والجبن أعدت على موقد حجرى ومقسمة إلى أجزاء معلومة" [٤٧] "فى نهاية العام وخلال شهر رمضان يعدون طعامًا يسمونه ميثغيمى ، وهو ما يعنى فطائر رقيقة، بعد بسط العجين وعجنه بالزيت كانوا يضعونه فوق حجر حتى ينضج، وبعد نضجه يقسمونه إلى أربع قطع ويأكلون منه على طريقة المسلمين" [٤٨] ؛ "يعدون فطائر رقيقة ويضيفون إليها جبنًا وزيتًا" [٤٩] إلخ.

ويمثل الميثغيمى عملية انتقال لطعام تقليدى غرناطى غير معروف فى قشتالة قبل عام ١٥٧٠، ويوضح خينيث بيريث دى إيتا (Jinéz Pérez de Hita) أن الموريسكيين مُنعوا من أكل "أطعمتهم التى جرت عليها عاداتهم والتى كانوا يسمونها ميثوماس (Mezumas) سواء فى احتفالات أعياد الميلاد أو فى أيام رأس السنة الجديدة" [٥٠].

وطبقًا لما ورد فى مجمع غواديكس، فقد كان الغرناطيون مغرمين ببعض الفطائر المتخذة من عجين غير مختمر وتدعى ميثقيما (Miquema) من العربية مُطومة (Mutawwama) وكانت هذه الفطائر تجهز بالثوم والزيت وتأكل مع أطعمة أخرى فى الاحتفالات، وبخاصة فى احتفال رأس السنة. وكان لهذه الفطائر قدرها فى المغرب أيضًا. [٥١]

ثمة أخبار أيضًا عن طبق مشابه قام الموريسكيون بنقله إلى تونس وعرف باسم مائيمى (M'zeme) وهى ـ حسبما يقول ف . سكيرى (F. Skiri) : فطائر من عجين رقيق تُأكل محشوة بأشياء مختلفة [٥٢]، "عندما خرج المسلمون من إسبانيا حشوا فطائرهم المائيمى " بالذهب والجواهر بدلاً من اللحم المفروم حتى يتسنى لهم بهذه الطريقة أخذ جزء من ثروتهم التى لم يُسمح لهم بحملها".

هناك عادة موريسكية أخرى تم تفسيرها على أنها دليل على إسلام من يمارسها ، ألا وهى افتراش الأرض عند تناول الطعام بدلاً من استخدام مائدة وكراسٍ [٥٣]. ففى أركوس اتُهم بعض الموريسكيين لأنهم كانوا يأكلون فى منزل بياتريث دى باديا "وهم يفترشون الأرض كما جرت عادة المسلمين ، وليس على مائدة"[٥٤].

الغذاء الموريسكى ، بإيجاز ، هو غذاء نمطى لمجتمع بحر متوسطى[٥٥]؛ فهو طعام يعتمد أساسًا على الزيت، والمنتجات الغذائية الأكثر استهلاكًا هى الخبز والفاكهة (تفاح بأنواعه وعنب وكريز...)، والثمار الجافة والعسل والحلويات. وأكثر اللحوم قيمة هو لحم الخراف والماعز. وتتفق هذه المعلومات مع ما يعرف عن غذاء الشعب الغرناطى خلال أواخر العصر الوسيط. ولقد أشارت راشيل أريه أيضًا إلى زهدهم فى المأكل والمشرب وحبهم للفاكهة والخضروات ، وتصف غذاءهم بأنه يتكون من خبز وزيت وطماطم وزيتون أو جبن وأحد أنواع الفاكهة. يذكر أدب العصر الذهبى أيضًا أن التين والزبيب والأرز ولحم الماعز والخراف كانت من المكونات الرئيسية للغذاء الموريسكى [٥٦].

فيما يتعلق بالزهد فى النظام الغذائى فهو أمرٌ لا يبدو واضحًا فقط من الوصف المعروض هنا ، لكنه أصبح أحد أكثر الملامح المميزة والمشهورة عن المجتمعات الموريسكية، وهو غنى عن الوصف [٥٧].

كل ذلك يتعارض مع الطعام القشتالى فى ذلك العصر. والمطبخ القشتالى يعتمد على منتجات الخنزير من لحم ودهن أو ما يذبح منه فى المواسم ويتم حفظه للعام كله، ويمثل فيه النبيذ، خاصة بإقليم لامنشا حيث يتم إنتاجه بكميات كبيرة، أحد العناصر الغذائية الرئيسية. بالإضافة إلى ذلك، فقشتالة منطقة غلال، وليس لمنتجات الخضر فيها قيمة كبيرة ويقل استهلاكها .

والغريب فى الأمر أن كلا المجتمعين يتلاومان على الرائحة الكريهة التى يحدثها طعام كل منهما، سواء كان مطبوخًا بالزيت أم بشحم الخنزير.

قضية الأغذية هذه قضية ذات مغزى كبير؛ فهى تجعلنا نرى كيف أن الصراع الذى تمثله الأقلية الموريسكية فى قشتالة هو - أكثر من كونه صراعًا دينيًا - نتاج لغرس مجتمع بحر متوسطى فى منطقة (حينئذٍ شمالية ونائية عن البحر المتوسط كانت لا تزال حديثة عهد به).

فى الحقيقة يشكل الغرناطيون هذا الجسم الغريب، ونظرًا لكونهم غرناطيين وموريسكيين فهذا يجعلهم أكثر غرابة، على الرغم من - كما هو واضح - أن الخلافات تبنى دائمًا على أساس دينى.

أما عن عادات الملبس فلم تتوفر لدينا أية معلومات تسمح بالاعتقاد فى أن زى الموريسكيين الكوينكيين يختلف تمامًا عن زى المسيحيين القدامى. وتُنهى راشيل أريه مقالها حول الزى الإسلامى فى إسبانيا (٥٨) فى الفترة التى تلت ترحيل الغرناطيين إلى قشتالة، نظرًا لعدم توافر معلومات ابتداء من هذه اللحظة.

ومع ذلك، فالمعلومات التى تقدمها المحاضر غزيرة، حيث إنه تم إعداد وصف دقيق عما كان يرتديه المتهمون عند دخولهم السجون السرّية.

لا تتميز هذه الملابس بشىء عن الملابس الموصوفة للمسيحيين القدامى، باستثناء النعوت الكثيرة مثل " فقيرة " " وبالية " عند وصف ملابس الموريسكيين. بالإضافة إلى ذلك، وبوجه عام، فإن عادة الملبس الوحيدة التى تميز الموريسكيين تتمثل فى تغيير الثوب وارتداء ملابس نظيفة أيام الجمع. ولو حدث أن كان هناك اختلاف آخر لكانت المحاضر ذكرته بالتفصيل، وبالكاد عثرنا على مثال واحد على ذلك: اتُهمت كاتالينا دى بيريث من ديثا، "بأنها ارتدت ثوبًا من الكتان فوق ثوب آخر أو من تحت الخمار، وهذا يعتبر شعيرة بين النساء من سلالة المسلمين" واحتجت عن ذلك بأنها "لبسته للزينة وليس لسبب آخر" (٥٩).

وتعتبر طريقة تجهيز الحفلات وقضاء وقت الفراغ والاحتفال بأعياد المسيحيين وطريقة التسلية نقطة أخرى فى الخلاف بين كلا المجتمعين.

لم يكن الموريسكيون يحافظون على حضور قداس الآحاد ولا الاحتفالات التى تقيمها الكنيسة. فالموريسكيات من كينتنار يقضين أوقات القداس والاحتفالات فى "غزل الخيط وفصله عن بعضه ولفه" (٦٠) ؛ وفى سوكوياموس " كل الموريسكيات يغزلن أيام الآحاد وفى أوقات الاحتفالات" (٦١) وبالنسبة للرجال، ففى أركوس "يسافرون فى الاحتفالات أو يسقون بساتينهم وحقولهم، أما فى أيام الجمع فليس عندهم ما يشغلهم" (٦٢).

بينما كان البعض منهم يتوارى مثل ميغيل دى بايى **(Miguel de Valle)** الذى كان يمشى أيام الآحاد مبتعداً عن القرية ويختفى خلال هذه الأيام (٦٣). كانت الأغلبية تمارس عملها بشكل علنى مثل دييغو دى ميندوثا وهو من نفس القرية، حيث كان يمتلك بستاناً يعمل به أيام الآحاد والعطلات. ولقد زُجر لإظهاره الشك فى الدين حيث قال "إنه يندمج فى العمل معظم الوقت فى ذلك البستان لدرجة أنه لم يعد يتذكر أن الرب موجود" وعندما ألحّوا عليه بأنه بهذه الطريقة يعرض مصيره فى الآخرة للخطر قال: "إن الجنة يجب أن تكون مثل رَىِّ بستانه" (٦٤).

يظهر المسلمون فى أيام الجمع " وهو عيد يسميه المسلمون إيونيه **ionia** " (٦٥) مرتدين أفضل ملابسهم ، وملابسهم الداخلية نظيفة، وذلك دون أن يمارسوا أى عمل خلال اليوم بأكمله. ولقد كانت خيرونيما دى أورتو بيا **(Jerónima de Hurtobia)** "تحافظ على لبس ثوب وخمار نظيفين أيام الجمع، وكانت تمشى فى كامل زينتها وأناقتها" (٦٦).

وهو يوم يجهز فيه خير الطعام، على العموم هو اليوم الوحيد الذى يُأكل فيه لحم: فالعائلات الموسرة تذبح حماماً أو دجاجاً (٦٧) وبهذا الفعل يُقدم المسيحيون الجدد دليلاً مضاعفاً على إسلامهم ؛ لأنهم يحتفلون بيوم الجمعة وينتهكون المبدأ الكاثوليكى القائل بعدم أكل لحوم فى هذه الأيام.

و كانوا يجتمعون فى وقت العصر فى بيوت الأقارب أو الأصدقاء لتجاذب أطراف الحديث وقص الحكايات، وغالباً ما كانوا يغنون ويرقصون. إن " إحياء الليالى وحفلات السمر الراقصة "(٦٨) والغناء بالعربية هو أحد الأمور الدينية التى تمثل اتهاماً خطيراً أمام محاكم التفتيش. فى قشتالة، تعتبر حفلات السمر الراقصة والليالى، التى منعوا منها منذ ليلة فبراير الشهيرة فى عام ١٥٦٧ ، حيث كانت الذريعة والفتيل الذى أشعل

حـرب البشرات، احتفـالات خـاصة ومقصـورة على الموريسكيين الغرناطيين الذين كانوا مولعين بها. كانت هذه الحفـلات تقـام بالقيثارة والمزمار (٦٩) وكان لا غنى عنها في بعض الاحتفالات كالعـرس، على سـبيـل المثـال. في أحـد الأعـراس في لارودا، في عـام ١٥٧٧، "أقـامـوا ليـالي وحفـلات راقصـة حسبما جرت عليه عادة المسلمين في أعـراسـهم" (٧٠) وكان الموريسكيون الغرناطيون "يرقصـون في حفـلات السـمـر في سـوكـويامـوس" (٧١). وكـان لويس دي غـثـمـان، صـاحب حـانوت في كـامبـو دي كريبتانا، يجتمع مع موريسكيين آخرين أيام العطلات "وكان يغني بالعربية بمصاحبة الرقص" (٧٢).

بالنسبة للمسيحيين الجدد، كانت حفلات السمر الراقصة تمثل طابعًا شعائريًا دينيًا. ففي كامبو دي كريبتانا، كان لويس غارثيا، موريسكي من ولاية آل بيليث، في أيام الجمع، بغرض احتفال لهذه الملة [كان يجتمع] مع أشخاص آخرين من سلالته وملته ... ببيت موريسكي آخر من نفس القرية، وكان يغني الغناء الراقص ورويدًا رويدًا يلقي في النار بتبن يأخذه من قفة كانت عندهم لهذا الغرض وهو يغني أغنية بلغته. وبعد الانتهاء من الحفل المذكور بالغناء الراقص، كان يجلس الجميع لتناول الأطعمة الفاخرة، التي تم طبخها بهذه المناسبة وفقًا للشعيرة المحمدية، مع ألوان أخرى من الأطعمة يسمونها في لغتهم "الميثغيمي" وكانوا يأكلون منها قبل أن يضيفوا إليها أشياء أخرى سيضيفونها فيما بعد، وعند تناول الطعام كانوا يصلون على المدعو محمد" (٧٣) وكان غارثيا دي أبالوس (García de Avalos)، موريسكي غرناطي، يجتمع أيام الجمع في كامبو دي كريبتانا مع موريسكيين آخرين كي يشدوا بأغاني بلغتهم (٧٤).

الأمثلة على ذلك عديدة، على الرغم من عدم وجود مثال واحد أُخذ من محاضر لموريسكيين غرناطيين. فبالإضافة إلى أن الغرناطيين نقلوا إلى قشتالة نمط حياتهم ولهوهم وعاداتهم الغذائية، فهم يُكنُّون لوطنهم حبًا وحنينًا لا ينقطع. كانت ماري سانث أورا (Mari Sanz Horra)، التي سُبيت في حرب غرناطة، تجتمع مع موريسكيات أخريات في سان كليمنتي كي يتذكرن "أوطان وأزمان المسلمين"، "ويتذكرن معًا الأشياء التي في ديارهم، وكانت تقول إن أرضها خير من أرض المسيحيين، وكن يتغنين بأغاني للمسلمين ويبكين ويفرحن على طريقة المسلمين" (٧٥): فالمسلمون يغنون ويبكون

ويلهون بطريقة مختلفة عن المسيحيين، وهذا يعنى فى حد ذاته ذنبًا يستوجب العقاب. كانت مارى سانث تحزن كثيراً مع هذه الذكريات وكانت تشعر بحنين يجعلها "تلطم وجهها وتخدشه حتى يسيل منه الدم".

كنا قد أشرنا من قبل كيف أنه تمت المحافظة على الإسلام الموريسكى كنظام داخل البيوت ، وأن تعليمه انتقل عبر العائلة. وتمت تربية الأطفال على الجهل بدين العائلة لتفادى المشاكل، وعند بلوغهم الثالثة عشرة أو الخامسة عشرة تقريبًا يتم تعليمهم بواسطة فرد من أفراد الأسرة [٧٦]. ولذا فمن الغالب أن نجد أولاداً موريسكيين يأكلون لحم الخنزير مع رفقائهم من المسيحيين القدامى أو فى بيت الجيران. قال غلام موريسكى لإحدى الجارات كانت قد أطعمته خبزاً بلحم خنزير: "اغسلى لى فمى بليفة، فلو علمت أمى بأننى أكلت لحم خنزير ستجلدنى" [٧٧].

طبقًا لما تبينه المحاضر وطبقًا لما أوردناه أيضًا ، أصبح الإسلام المدجَّن واهيًا ومتدهوراً بفعل قرون من التعايش مع المسيحيين ، حيث شكل التشتت وقلة عدد الجماعة وعدم وجود إمكانيات للتوسع عاملاً فى تجريد ثقافتهم الإسلامية من محتواها ومحوها شيئًا فشيئًا. ومع ذلك، أصبح الموريسكيون الكوينكيون على اتصال بجماعات أخرى أكثر إسلاماً منهم، على وجه الخصوص بجماعة أراغون وفالنسيا ، وبجماعة الغرناطيين اعتباراً من عام ١٥٧٠ . ومن هؤلاء يتأتى القسط الأكبر من العلوم الدينية الموريسكية لهذا الإقليم.

استفاد الموريسكيون الكوينكيون من هذه الاتصالات التى أقاموها معتمدين على مهنهم كناقلين للبضائع وحمالين أو تجار ، أو من خلال أعمال إضافية لتعميق معارفهم لدرجة أنه وصلت أخبار فى أكثر من مرة إلى محكمة التفتيش تطلب حلاً لذلك، حيث إن "الموريسكيين بهذه المملكة يتصلون بالموريسكيين المنصَّرين حديثًا فى أراغون" [٧٨]. بالفعل، كانت أبرشية سيغوينثا على علاقة دائمة بالمملكة المجاورة. فقد كان موريسكيو أركوس وديثا يذهبون وراء تجارتهم حتى إلى قطالونيا (Cataluña) . كانوا ينقلون أحمالاً من الصوف على بغالهم ، وفى العودة يجلبون معهم اللوز والبندق، وبخاصة، الفاكهة.

إن أطـول رحلة هـى التى كانت تقوم من ديثا إلى برشلونة ثم إلى ريوس (Reus) ثم إلى فالسيت (Falset) . انطلق لويس دى أورتوبيا "إلى ريوس فى قطالونيا بصحبة موريسكيين آخرين من هذه القرية [ديثا] ومعه أحمال من الصوف" [٧٩]. باعها هناك ثم واصل حتى فالسيت لشراء سلع جديدة. كانت هذه الرحلة تُقطع فى عشرين يومًا وكانت المحطات الأراغونية متناثرة فى هذه الرحلة. كان المسافرون يجتمعون ليلاً فى بيوت الموريسكيين بهذا الإقليم، وكانوا ينظمون سهرات دينية. وفى مرات أخرى كانوا يقطعون مراحل طويلة من الطريق بصحبة موريسكيين آخرين من ناقلى البضائع أو مع المسافرين الأراغونيين الذين كانوا يعلمونهم الصلوات والشعائر، بل وحتى كانوا يعطونهم بعض الكتب.

هذه العلاقة الوطيدة، والتى تم الحفاظ عليها حتى من خلال رباط الزواج بين الموريسكيين من كلا الإقليمين تم توثيقها بإسهاب فى محاضر أبرشية سيغوينثا: فى عام ١٥٢٤، كان أوغستين دى ثيلى (Agustín de Ceili) ، و هو نسَّاج من ديثا، غالبًا ما يذهب إلى أراغون لزيارة أقاربه وأصدقائه [٨٠]. وكان ميغيل دى ديثا يذهب إلى مَولد سان أندرس دى داروقا (San Andrés de Daroca) [٨١] وقام ماتيو ألموتثان (Mateo Almotazán) برحلة من ديثا إلى سرقسطة (Zaragoza) وعلَّمه الموريسكيون الأراغونيون كيف يصُوم رمضان ومتى [٨٢] وكان غريغوريو غورغاث (Gregorio Gorgáz)، العمدة الاعتيادى لديثا، يمتلك بعض خلايا النحل فى سيستريكا وكان يذهب إلى هناك كثيرًا، قام الموريسكيون بهذا الإقليم بتعليمه صيام رمضان والصلاة والطهارة ... [٨٣] وكان لويس إيرناندبيث، أحد ناقلى البضائع، قد تعلم كل ما يتعلق بالإسلام فى أراغون التى كان يمر بها فى أسفاره ، وهناك وبإرادته قطع على نفسه عهدًا أن يكون مسلمًا [٨٤]. وسافر لويس دى أورتوبيا إلى قطالونيا لبيع حمولته عندما بدأ رمضان ، وأراد أصدقاؤه الأراغونيون أن يصوم معهم ، ولما لم يتمكنوا من إقناعه حملوه إلى قرية بها فقيه مشهور كى يعلمه الصيام ويحوله إلى الإسلام [٨٥]. كان دييغو ساينث يعيش فى أراغون، وهناك تعلم شعائر المسلمين إذ إن "الناس هنا أكثر تمسكًا بعقيدة يسوع" [٨٦]. والأمثلة من هذا النوع لا تحصى [٨٧].

فى مرات أخرى، يبدأ الموريسكيون الأراغونيون، ممن يأتون لبيع الفاكهة، فى عرض الإسلام على ضيوفهم أو يمكنونهم منه: نزل بعض الموريسكيين الأراغونيين ممن قدموا على ديثا ببضائعهم ببيت ناقل بضائع، و هو مسيحى جديد أيضًا ومعروف لديهم، يدعى لوبى دى أيريرو (Lope de Herrero) . علموه أشياء مرتبطة بالدين وكتبوا له فى ورقة باللغة القشتالية صلوات المسلمين وأشياء أخرى عن دين محمد، "قائلين له إنه سيعلم بذلك كل ما يجب أن يعرفه". وبداية من هذا الحين، كان لوبى دى إيريرو ينظم اجتماعات فى ديثا لنقل التعاليم التى تلقاها (٨٨).

يُقْدم أراغونى على ديثا بشكل دورى ومعه أحمال من الكمثرى؛ كان ينزل بدار خوان كوراثون (Juan Coraçon) الذى كان يقوم بالرحلة على العكس عادة، من ديثا إلى كالاتايود (Calatayud) وكان يعلمه "أمورًا عن المسلمين" (٨٩). وفى أركوس قبض على خوان أندريس، من أهالى بورخا (Borja) بأراغون لأنه "كان يحمل صلوات مكتوبة من قرآن محمد" (٩٠).

فى عام ١٥٢٤، تم التحقيق مع بعض موريسكيى أركوس بتهمة استضافة فقيه أريثا (Ariza) محمد الراهب (Mahomat el Monje) فى ديارهم وتنظيم اجتماعات وأحاديث للمسلمين وإعطائه أجرًا كى يستمر فى عمله التعليمى بأماكن أخرى (٩١).

بالإضافة إلى نقل التعاليم الدينية، كانت تُنقل التنبؤات والمعارف الصيدلانية والشعوذة والسحر، إلخ: كان أحد ناقلى البضائع من أركوس، يذهب بانتظام لجلب أحمال من الفاكهة، وذات مرة أحضر بين بعض الكمثرى كتابًا عربيًا كانت تُشفى به كل الأمراض (٩٢).

يمثل وادى خالون (Jalón) وحدة عظمى، والعلاقات بين الشق القشتالى والشق الأراغونى علاقات قوية. ففى المحاضر يرد ذكر كلٍ من إقليم أريثا وبيا فليتشى وسيستريكا وموريس (Mores) وداروكا وقلعة هود وكالندا، "حيث يعيش الجميع كمسلمين" (٩٣)، وأورّيا (Urrea) . ويكثر الزواج بين موريسكيى هذه الأقاليم وموريسكيين من أركوس ومن ديثا ومن مدينة سالم، كما تشهد على ذلك أنساب الذين قدموا إلى محكمة التفتيش (٩٤). فى هذه الزيجات، تعد درجة إسلام الأراغونيين هى الأكبر دائمًا. فهناك حالات عديدة يظهرون فيها كمعلمين لأزواجهم القشتاليين الشعائر والصلوات.

كان لموريسكيي أركوس، بالإضافة إلى ذلك، علاقات مع طليطلة حيث كانوا يذهبون لبيع الزعفران الذى يبتاعونه من منطقة أوريا بأراغون [٩٥].

ولموريسكيى أبرشية كوينكا، خاصة فى الجزء الجنوبى بالإقليم، علاقات بموريسكيي فالنسيا، على الرغم من أنها ليست علاقة وطيدة ودائمة، وكانوا يتزودون منهم بالتعاليم: فرانثيسكو ريندای (Francisco Renday) تعلم الإسلام على فقهاء من فالنسيا كانوا يعلمونه القرآن والصلوات الإسلامية [٩٦]. ولقد تعلمت إينس دى كورتيثون (Inés de Cortezon) اللغة العربية فى فالنسيا [٩٧] لكنهم أقاموا علاقات بصفة خاصة مع جماعات موريسكية أكثر إسلاماً منهم سواء كانوا من فالنسيا أو من مرسية أو من غرناطة، فى الموسم الذى يقضونه سنوياً فى شغل الحرير بمرسية. كانت عائلة دييغو دى سانتياغو (Diego de Santiago) ، على سبيل المثال، التى كانت تذهب كل عام إلى مرسيه، تجتمع هناك مع موريسكيين آخرين وتصوم وتصلى [٩٨].

يتمركز أكبر عدد لموريسكيين غرناطيين فى إقليم لامنشا. هؤلاء، خاصة أولئك الذين شاركوا فى الثورة، بلا شك، يظهرون معرفة عميقةً بالإسلام، بسبب الاتصال - كما يتضح لنا من خلال المحاضر - بمسلمى البربر ممن أتوا لمساعدتهم فى الحرب : كان سيبستيان الغازى (Sebastian el Gaci) أو القواغازى (Quagaci) ، من سوكوياموس، فى ثورة البشرات "قائداً للمسلمين الثوار" وكان تحت إمرته العديد من المسلمين الذين أتوا من البربر لمساعدتهم ضد المسيحيين و" لتعليم " الغرناطيين الدين. علّمه أحد هؤلاء البرابرة القراءة والكتابة بالعربية وأعطاه كتباً دينية وعلمه صلوات وشعائر [٩٩]. ويحكى أيضاً بالتسار القاصر (Baltasar Elcacer) ، من مواليد بورتشينا (Purchena) والمنفى إلى بويناتشى (Buenache) ، كيف أنه تعلم كل ما يعرفه خلال ثورة البشرات، إذ إن الجميع هناك كانوا يعيشون فى الإسلام وعندهم مسلمون قد أتوا من البربر ليعلموهم ، وكان هناك " مؤذن " ينادى للصلاة [١٠٠]، وتعلم إيرناندو شينشيا (Hernando Chinchilla)، وهو غرناطى كان يقيم فى بيانويبا دى خارا (Villa-nueva de Jara)، العربية والشعائر والصلوات من المسلمين الذين قدموا لمساعدتهم من شمال إفريقيا.

إن لم يتم تعليم جميع الموريسكيين ممن شاركوا فى الثورة بشكل مباشر على يد مسلمين من شمال إفريقيا، فلقد عرفوا " الحفاظ على الإسلام " وما يمثله العيش فى مجتمع يراقبه بشكل علنى.

كان ميغيل أبوست (Miguel Abusset) ، وهو موريسكى من بساتين ألمرية، وعبد لكونتيسة بريبيغو "قد تعلم دينه وعاش كمسلم عندما ذهب ليحارب مع المسلمين" (١٠١) ذهبت لويسا إيرنانديث، (Luisa Hernández) من كويباس دى ألمنثورة (Cuevas de Al-manzora) وهى الآن فى تيناخاس (Tinajas)، " فى انتفاضة مسلمى غرناطة معهم إلى النواحى والأماكن التى صار إليها الثوار ، حيث كانوا يعيشون كمسلمين ، والمذكورة أعلاه كانت تعيش مثلهم وتقوم بشعائر ملة محمد التى كان يمارسها هؤلاء الثوار بمملكة غرناطة" (١٠٢). وخلال الثورة، كان لويس باستيدا يعيش فى الإسلام، وتعلم هناك كل الشعائر والمبادئ (١٠٣)، إلخ.

وكثيرًا ما اتُهم هؤلاء الموريسكيون الغرناطيون " بأنهم مضلّلين لأناس كثيرين ويجعلونهم يرتدّون عن دينهم" (١٠٤). حاولوا تعليم العربية و" تعليم الدين " للموريسكيين من أهل البلاد الأصليين سواء ممن تزوجوا بهم أو من الذين تعايشوا معهم ممن تعتبر ثقافتهم الدينية أضعف بكثير من ثقافتهم هم.

ومن إحدى المميزات العامة للموريسكيين افتخار أعضاء كل مجموعة منهم بأنهم موريسكيون. فبعيدًا عن محاولة طمس أو إخفاء أصلهم، فالموريسكيون يعتزون به ويقاومون كل الجهود المبذولة لمحاولة تفكيكهم وإفقادهم هويتهم. يتأتى التوتر الذى يثيرونه فى مواجهة المسيحيين القدامى على وجه التحديد من وعيهم بالانتساب إلى جماعة أخرى وعالم آخر ، ومن رغبتهم فى الحفاظ والتأكيد على مميزاتهم وفوارقهم.

وفى مواجهة الضغوط التى تبذل لإذابتهم وصهرهم، يبدى الموريسكيون إرادة فى البقاء ووعيًا بالجماعة وشعورًا متضامنًا يُستشف فى المقام الأول من هذا " الاعتزاز والإصرار على أن يكونوا مسلمين " وهو ما تعاقبهم عليه محاكم التفتيش بصرامة شديدة. فى عام ١٥٢٤، أكدت ماريا دى لامونخا (María de la Monja) "أنها لن تدع القول فى أى مكان بأنها كانت مسلمة، فلكم يشرِّفها قول ذلك كقولها بأنها مسيحية" (١٠٥)

كل من "يزهو ويعتز بأنه مسلم" (١٠٦) أو " افتخر وتباهى به [بكونه مسلمًا] " (١٠٧) والذى "لا يخجل من أن ينادوه موريسكيا" (١٠٨) أو "يفتخر بأنه موريسكى" (١٠٩) يقع فى جرم يساوى على الأقل فى خطورته ذنب الإلحاد، وهو ما يعنى رفض أو عدم الاكتراث بالمجتمع والحضارة القشتالية. كما يقول غونثاليث دى ثيوريغو (González de Cellorigo) "إنهم يعتزون جداً باسم الموريسكيين هذا ولا يخجلون منه" (١١٠).

كانوا سعداء أيضًا بالحفاظ على أسمائهم العربية، على الرغم من استخدامهم للاسم العربى فقط بين العائلة والمقربين منهم. كان لويس إيرنانديث "يُسَرُّ بأن ينادوه باسم إسلامى" (١١١) وكان أدريان رينكون يُسر عندما ينادونه بإبراهيم (Braen)" (١١٢)؛ وكان لويس الحاجى (Luis Alhache) يسمى فى الحقيقة على الحاجى (١١٣)، وكان دييغو دى ميندوثا يصر على أن ينادوه "بالمُعلم على (Hali)" (١١٤) .

هذا التمسك بالانتساب إلى جماعة معينة يظهر فى لحظات الغضب أو فى كل مرة يشعر فيها الموريسكى بأنه عرضة للهجوم من قِبَل مسيحى قديم. على سبيل المثال، قبض على لويسا إيرنانديث – التى سَبُّوا ولدها عندما نادوه بالكلب المسلم – عندما أخذته من يده وجالت به شارع تيناخاس الرئيسى وهى تقول بصوت عال: "من الأفضل أن يكون مسلمًا من أن يكون مسيحيًا أو يهوديًا" (١١٥). كان ميغيل أبوست ، عبد كونتيسة بربيغو، ذات يوم يجمع فى الجبل ثمار البلوط مع جيران آخرين، وبسبب نشوب نزاع حول من يأخذ أكثر، شتموه ونادوه "بكلب مسلم سيئ الدين، قال بأن دينه أفضل مدافعًا بذلك عن دين المسلمين" (١١٦) فى الواقع ، هذه التأكيدات التى تظهر بصفة مستمرة ولأتفه سبب بأن "دين المسلمين أفضل من دين المسيحيين" (١١٧) وما يقابله: "بأن أرضنا خير من أرض المسيحيين" (١١٨) كثيرة كالقول بأن كل عاداتنا وأنماط حياتنا أفضل من عادات وأنماط حياة المسيحيين. "إن أرض المسلمين أرض طيبة والناس هناك صالحون ، وإن دين محمد دين الصلاح" (١١٩).

فى ظل هذا التوتر وفى ظل هذا الصراع لجماعة فى البقاء بهذا الوضع وهى غارقة فى بيئة معادية لها وتفعل ما بوسعها للقضاء عليها، فإن الدين الذى يظهر جهل الموريسكيين به، لا يمثل أكثر من دعامة يلتفون حولها ويحددون من خلالها الفوارق بين

كلا المجتمعين. يقوم بعض الموريسكيين فى محاضرهم باعترافات لها دلالة كبيرة على ذلك. فهكذا آنا دى باديا التى تفتخر بانتمائها للمجتمع الموريسكى، لم تمارس "شعائر المسلمين لجهلها بها، لكن لديها رغبة فى القيام بها إذا ما كانت تعرفها" (١٢٠) ؛ يعترف موريسكى غرناطى من أويتى فى عام ١٥٧٢ "بأنه مسيحى مُعمد، وطبقًا لاعترافه، كان من المسلمين وأنه خرج لنصرتهم ذات مرة وأنه مسلم لأنه كان يسير مع المسلمين وكان ضد عقيدة المسيحيين وكان مسلماً فى قرارة نفسه وكان يحب مخالطة المسلمين أكثر من المسيحيين ، ولم يكن يعرف شيئًا عن محمد سوى أنه يرغب فى الإيمان به..." (١٢١) وهو تحديد كلى لما كان يعنيه الإسلام الموريسكى.

عندما تؤكد آنا دى باديا فى المحكمة أنها تؤمن بالله وبمحمد وبالقرآن فذلك يجعلنا نعتقد بأنهم يبحثون عن معارضة إسلامية لعقيدة التثليث التى يشدد عليهم المسيحيون فى القيام بها، هكذا مثل الكثير من الشعائر الإسلامية التى يزعمون أنها إسلامية وليست أكثر من بحث عن مثيل عندهم للأشياء التى يفعلها المسيحيون.

كلمة " مورو " لا تعنى مسلمًا فقط ، بل هى لفظ أكثر شمولاً حيث يمثل الانتماء إلى عالم دينى وسياسى أو إلى حضارة و" أمة " أخرى. هذا الشعور موجود وبشكل حاد جداً، حتى فى محاضر المدجَّنين القدامى، على سبيل المثال، كان دييغو دى ميندوثا، حداد مولينا، فى عام ١٥٣٤، "عنده ولد يحبه كثيراً ولكى لا يُنصَّر أعطاه حماراً كى يذهب إلى مملكة فالنسيا ومن هناك يركب البحر" (١٢٢).

بالإضافة إلى أن الموريسكيين كانوا يصرون على الاعتزاز بأنفسهم وعلى شعورهم القومى بحكايات وتقاليد عن الماضى العربى المجيد (*) شبيهة - كما يُفترض - " بحكايات الفروسية " التى يجمعها غالميس دى فوينتس (Galmés de Fuentes) فى دراسته " كتاب المغازى" (Libro de Las Batallas) : "كانوا يقرأون أشياء عن محمد فى أحد الكتب ... على وجه الخصوص، كيف فتح وساد بلاداً كثيرة" ؛ وعليه كانت جموعهم "تفتخر بذلك كثيراً" (١٢٣).

(*) جمع أستاذنا الدكتور صلاح فضل بعضًا من هذه النصوص الموريسكية وترجمها إلى العربية ونشرها فى كتاب ملحمة «المغازى الموريسكية» ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٩ (المراجع) .

بالإضافة إلى افتخارهم بأنهم مسلمون، فيظهرون اعتزازهم بالعالم الإسلامى الذى يشعرون بالانتماء إليه. هكذا سلم أحد الموريسكيين على آخر قائلاً له: " أهلاً بالمسلم الطيب. لو أن السلطان التركى لديه جنود كثيرون من أمثال هذا المسلم لاستطاع أن يفعل الكثير " (١٢٤).

بالفعل، لدى الموريسكيين وعى واضح بالانتماء إلى العالم الإسلامى، فهم يرون أن قضية الأتراك وباقى المسلمين هى قضيتهم. ويحتفلون بانتصاراتهم ويألمون ويحزنون على سقوط أى مكان بشمال إفريقيا على يد المسيحيين. ينشغلون ويهتمون بكل أحداث العالم الإسلامى: سأل دييغو غيلما (Diego Guelma)، صاحب حانوت حُقق معه فى سنة ١٦٠٢، عن أمير المغرب الموجود فى بلاط فيليبى الثانى. أخبروه بأنه عندما يموت فيليبى الثانى سوف يعطونه إذنًا بالعودة إلى بلاده؛ فسأل عما إذا كانوا عَمَّدوه، وعندما علم أن ذلك لم يتم أبدى سروراً لحفاظه على دينه، إذ إنه سينجو هكذا (١٢٥). وكان كريستوبال دى كويار (Cristóbal de Collar) صانع أقفال بأيون (Ayllón) "يفرح لإجهاد السلطان العثمانى للمسيحيين، وكيف أنه التحم معهم فى معركة عظيمة وأن النصر سيكون حليفه وسينتصر على العالم بأسره ، وأنها ستكون معركة المسلمين ولن يكون هناك مسيحيون ، بل سيصبح الجميع مسلمين، وكان يريد ويرغب فى ذلك وكان يفرح لأن المسلمين سينتصرون وكيف أنهم سيقتلون الجم الغفير من المسيحيين" (١٢٦). وأبدى فرانثيسكو إسبينوسا(١٢٧) "سعادة غامرة عندما قيل بأن المسلمين انتصروا على المسيحيين ، وألمح إلى شدة فرحه بذلك وإلى سوء عاقبة المسيحيين" (١٢٨). فرح فرناندو دى مدريد، سكاكينى كوينكا، عندما علم أن السلطان العثمانى استولى على مواقع من المسيحيين ، وصاح قائلاً وهو يسب من أخبره ذلك: "فليقوِّه الله بدين محمد لأنه دين الحق" (١٢٩).

الأقوال من هذا النوع مليئة بروح الانتقام ويُستشف منها - كما يلاحظ كاردياك - التطلع إلى سيطرة إسلامية كبديل للسيطرة المسيحية (١٣٠). وألمح سلبادور (Salva-dor، عبد من ألاركون (Alarcón) إلى رغبته فى أن يسود المسلمون. وكان يقول إن "كل دين أصله واحد وإن دين المسيحيين يرجع إلى المسلمين" (١٣١) فرانثيسكو إسبينوسا "عندما كان يتكلم... مع أناس آخرين عن الحرب التى سيخوضها المسيحيون ضد

المسلمين، قال إنه لن يسعى للمشاركة فى الحرب ضد المسلمين لأنهم أكثر بكثير من المسيحيين ، وأن كل مسيحى سيذهب للقتال يقابله من المسلمين خمسة عشر، ولقد قال ذلك بسرور وغبطة شديدة، ضاحكًا ومستبشرًا حتى كادت تخرج نفسه" (١٣٢). عندما رأى خوان غراندى، من أركوس، فى عام ١٥٦٩، المسيحيين يحتفلون بانتصارات حرب غرناطة ويقولون إنه أخيرًا ستوحد العقيدة، قال: انتظروا، فإن توحد العقيدة هو أمر أكيد، "لكنهم لا يعرفون أية عقيدة... سيأتى ملك خفى وسيستولى على البيت المُقدَّس وستبقى عقيدة المسلمين" (١٣٣).

يعلق الموريسكيون أملهم على السلطان العثمانى ويرون نجاتهم فيه. وتود ماريا دى ميندوثا أن تنال الحرية كى تقيم مع الملة المذكورة ، وقالت إن السلطان العثمانى سيأتى، وتتضرع إلى الله أن يأتى ويحمل معه كل الموريسكيين، وسيشكو هؤلاء الموريسكيون إليه سوء معاملة المسيحيين فى هذا البلد وأنها دعت الله أن يأتى، وسيذهب الجميع معه، وترغب فى العيش والبقاء مع الملة المذكورة ، وقالت إنهم تركوا فى كل مملكه كل فرد على الدين الذى يريده، فلم لا يتركونهم فى هذه المملكة يبقون على دينهم ؟ (١٣٤). فى مرات أخرى، يبنون رغبتهم فى الانتقام على مسلمى شمال إفريقيا؛ أعلن سلبادور دى ألاركون عن رغبته فى أن يأتى مسلمو البربر ليخرجوا معهم لقتال المسيحيين، وكان يريد تعليم العربية لرفقائه حتى ينجو عندما يأتى هؤلاء (١٣٥).

يُستشف هذا الأمل المعلق على مساعدة السلطان العثمانى أو مسلمى البربر والرغبة فى الغزو السياسى والإيمان بالانتصار العالمى للإسلام من النبوءات التى تُدعى جفور (١٣٦)، و هى نبوءات صبغت بفكرة مجىء مُخَلِّص وذاع صيتها بين الموريسكيين على مدار القرن السادس عشر (١٣٧). جمع كارديلك (١٣٨) نبوءات عديدة من إقليم كالاندا وبيافليتشى، حسب ما جاء فيها، بإيجاز وبمقتضى "بعض الآثار"، أن إسبانيا ستسقط على يد السلطان العثمانى. كانت هذه النبوءات وما يماثلها شائعة أيضًا بين موريسكيى كوينكا: اجتمع فيرناندو دى مدريد، سكاكينى كوينكا، ذات يوم مع مجموعة من الناس للحديث عن السنوات القادمة، فقال: "ستكونون أنتم السعداء إذا ما حييتم لأن كل شىء سيصبح ملكًا للمسلمين ، وسيأتى مسلم عظيم ويستولى على غرناطة وآخر على فالنسيا وآخر على أراغون وسيغنمون أرض المسيحيين قاطبة

وسيصبح الجميع على دين محمد". وأكد فى مرات أخرى "أن دين محمد سيرتفع وسيسود... ومن مكان ما سيأتى الملك (بوكار Bucar) وسيستولى على مكان ما ، وأن نصارى هذا المكان سيصبحون مسلمين ، ونصارى مكان آخر كان عندهم رسول ينذرهم (هكذا) "وهكذا سيصبح الجميع مسلمين". وفى إحدى المرات التى أحضروا إليه - على سبيل الاستشارة - بعض الرسائل المكتوبة بالعربية التى تتحدث عن كنوز مكنونة، نظر إليها لبعض الوقت وقال: "سيأتى الزمان الذى سيرجع إليها أصحابها الذين تركوها، قال ذلك ملمحاً إلى أن المسلمين سيستولون على إسبانيا" (١٣٩).

وردت فى المحاضر عبارات مثل "سيأتى السلطان العثمانى وسيستولى على المملكة" (١٤٠). أو "سيأتى الملك المسلم وسيجعل خيوله تشرب من وعاء التعميد بمدريد" (١٤١). عندما علم موريسكى من البروبنثيو، بإحدى الهزائم التى لحقت بالأسبان على يد الأتراك صاح وهو مفعم بالفرح: "قد كنت أعلم ذلك، إلى ماذا انتهى هؤلاء المتوحشون؟ إن نبوءات سان إيسيدرو لا تكذب أبداً" (١٤٢) كان غوادالخارا إى خايير (Guadalajara y Javier) يتحدث عن ولع الموريسكيين بالنبوءات وعن أملهم فى استعادة السلطة، عارض هذه النبوءات بنبوءات المسيحيين التى تدل على أن المسلمين سيتلاشون من شبه الجزيرة. يُذكر من بين الآخرين، سان إسيدورو الذى يمكن تفسير نبوءاته على ما يبدو لصالح كلا الطرفين: "إعادة إسبانيا إلى سالف عهدها [بمحاربة المسلمين عليها] تنبأ به الكثير من القديسين والرجال الشرفاء وقتًا طويلاً: من بينهم إيسيدرو مُطران إشبيلية الذى قرأ له الموريسكيون كثيراً وفهموه فهماً خاطئًا" (١٤٣).

أيضاً يعد تأكيد متهم آخر ذا دلالة كبيرة "ففى معرض حديثه عن حرب المسلمين ضد المسيحيين قال: سيأتى زمان سيكون محظوظًا من له قريب موريسكى ، لأن المسلمين سيحكمون غرناطة، وأن ثمة مُنَجِّمًا كان يقول إن الملك المسلم سيدخل من الباب المذهب بغرناطة وسيستولى على كل البلد وسيحرق رفات الملكة إيسابيل وبعد ذلك سيذروه فى الهواء" (١٤٤).

موريسكى آخر من سوكوياموس " سُرَّ بأن الموريسكيين سينتصرون فى الحرب وسيعودون إلى بلادهم" (١٤٥).

بالطبع تترك الحروب فى داخل شبه الجزيرة آثاراً عميقة جداً وتُنشأ العداوة والبغضاء بين كلا المجتمعين، خاصة حرب البشرات التى تركت كل الآثار التى يمكن أن تخلفها حرب أهلية. فخلال أحداثها، حتى المدجنين القشتاليين المسالمين كانوا يشعرون بالتضامن ويقفون فى صف إخوانهم فى الدين. فى عام ١٥٧٠، تجهزت مجموعة موريسكية من ديثا للانتقال إلى غرناطة للقتال بجانب الثوار [١٤٦]. موريسكى آخر من نفس البلدة "رغبة فى مساعدة المسلمين بمملكة غرناطة، شكل اتحاداً فى بيته من أناس آخرين من ملّته وتعاهدوا على المضى لمساعدتهم قائلين بأنهم سيذهبون إلى هناك للموت مع أصدقائهم" [١٤٧]. وعندما رأى لويس إيريرو أن موريسكيى غرناطة قد علا أمرهم "قال فى تكبر وخيلاء إن المسلمين سيقهرون المسيحيين" [١٤٨] فى عام ١٥٦٩، فرح كريستوبال دى كويار، من أييون، لبلاء المسلمين فى حرب البشرات. وكان يقول: "دخل مائتا مسلم فى حى البيازين بغرناطة كما لو كانوا ألفين، لقد كان شيئًا آخر" [١٤٩]. وامتدح فابيان دى لا سيتا (Fabián de la Seta) من كوينكا،" السلطان العثمانى كثيراً وسُر للحدث الطيب الذى قام به الموريسكيون بغرناطة" [١٥٠].

بعد النفى إلى قشتالة، أحدثت التعليقات والأغانى التى انتشرت حول الحرب موجة من الألم والغضب فى نفوس الموريسكيين مما تسبب فى تقديمهم للمحاكمة، فعلى سبيل المثال، سمع لوبى (Lope) ، موريسكى من مواليد سوربيس (Sorbes) ، من أعمال ألمرية، وهو عبد للقائد خوان كانو (Juan Cano) فى ترانكون (Tarancón) ، ذات يوم مسيحياً يتغنى بالأبيات التالية فى عام ١٥٧٥:

نصرك الله

أيها الملك السيد فيليبى

نصرك الله

وجعل النصر حليفك

نصرك الله

لإعلائك الدين

لقد مات ذلك الخائن

السيد فرناندو مولاى

الذي كان عدواً

لديننا

ومتحالفًا مع محمد

نصرك الله

وجعل النصر حليفك

ملأ لوبى الغيظُ فاستل خنجراً وأراد قتل من يتغنى بهذه الأبيات وهو يصيح "محمد أفضل منكم" (١٥١).

اعتدى مارتين دى مورثيا (Martín de Murcia) ، موريسكى من لارودا ، على بعض المسيحيين ممن كانوا يتغنون بأشعار عن الموريسكيين الثوار بمملكة فالنسيا وصاح قائلاً بأنه يحافظ على دينه أفضل من حفاظ هؤلاء الذين يغنون الأشعار على دينهم، مما ترتب عليه محاكمته وتصالحه مع الكنيسة (١٥٢). فى مرة أخرى، فى البروبنثيو، "قال شخص بينما كان يرمى ببندقية : انظروا، يجب أن أرمى المسلمين هكذا عندما أكون فى الحرب، فقال شخص كان حاضراً هناك: بما أنك شجاع هكذا، أحضر لى إذن موريسكية لا تتعدى الأربعة عشر ربيعًا ، وعندما سمع المذكور فرانثيسكو إسبينوسا ذلك كان له وقع ثقيل عليه وأغضبه فقال: اسمع الآن يا ملك العاهرات، يا وغد، هل ربى الآخر الفتاة كى يحضروها للخدمة هنا" (١٥٣).

من السهل تخمين كم كان يؤلم الموريسكيين، وبخاصة الغرناطيين، هذا النوع من المزاح والتعليقات والأغانى التى لم يتخل المسيحيون عن إظهارها حالة انتصارهم. وكيف أن ذلك كان يسهم فى الحقد والتباعد بين كلا المجتمعين.

إزاء المحاولات التى يقوم بها المجتمع الذى يعيشون فيه لإذابتهم، أبدى الموريسكيون حالة من عدم الاختراق وشعوراً بالجماعة يتضح من خلال تضامنهم ومحاولاتهم للحفاظ على أنفسهم كجنس منغلق ومعزول إلى أقصى مدى عن الاتصال بالمسيحيين القدامى. وتظهر مقاومتهم فى عدم التزاوج بمسيحيين قدامى، حتى فى داخل المجتمع الموريسكى نرى، على سبيل المثال، كيف أن كاتالينا دى أورتوبيا "حرصت على الزواج بأحد الموريسكيين كان يضايقها بشدة، حتى تستطيع العيش والبقاء حتى الموت مع طائفة محمد المذكورة" (١٥٤).

يعيش المسيحيون الجدد " بمعزل عن التعامل مع المسيحيين القدامى حتى لا يكون هناك شهود على طبيعة حياتهم " (١٥٥)؛ " ولا يستخدمون أبداً أناساً غرباء، فتياناً كانوا أم فتيات، بل منهم ومن أقربائهم" (١٥٦).

و ثمة رفض شديد ومطلق من المجتمع الموريسكى لمن تظهر عليه علامات بأنه مسيحى مخلص أو مندمج إلى حد كبير فى مجتمع المسيحيين القدامى. كان لبيدرو غالبيث (Pedro Galvéz) ولزوجه، موريسكيان من كامبو دى كريبتانا، بنتًا تُظهر حبًا كبيراً للمسيحية وترفض، على الرغم من ضغوط وتهديد أبويها، ممارسة الدين الإسلامى. تقدم مينغو لوبيث، (Mingo López) موريسكى آخر من القرية، بطلب يدها للزواج، فارتأيا أنه من الواجب تحذيره من الزواج بها، إذ إنها عار على العائلة لإصرارها على أن تكون مسيحية مخلصة. أكد لوبيث أنه مسيحى مخلص وسيتزوج بها. لم يقبل أى موريسكى من كامبو دى كريبتانا الحضور إلى العرس على الرغم من إلحاح لوبيث فى دعوتهم. فى ذلك العام (١٥٩٨)، قامت محكمة التفتيش بمقاضاة العديد من موريسكى هذه القرية واتهمتهم - من بين أشياء أخرى - بأنهم "رفضوا حضور عرس أناس من جنسهم وسلالتهم لأنهم كانوا مسيحيين مخلصين" (١٥٧).

لدينا مثال آخر من منطقة أخرى، من ديثا فى هذه المرة. يذهب موريسكى إلى رئيس الشرطة للاعتراف "بأن كل الموريسكيين فى هذه القرية يكرهون هذا الشاهد هو وأمه لأنهما يعيشان مثل المسيحيين القدامى وأنهما اعتزلا حيَّهما ويقيمان بحى المسيحيين القدامى". ذات يوم كان هذا الموريسكى عائداً من العمل بالحقل فاعتدى عليه جماعة

من جيرانه القدامى بالحجارة وقالوا له: " يا وغد، يا ابن الساقطة، أتترك دينك القويم من أجل دين فاسد " (١٥٨). هذه الحالة تبرهن أيضًا على الإصرار الذى كان الموريسكيون يحافظون به على أحيائهم، على الرغم من التحذير المتكرر بعدم الإقامة فى أحياء منفصلة. كان أدريان رينكون يقيم بصفة دائمة "فى أماكن المسلمين وبين المسلمين" (١٥٩). وكان فرانثيسكو راميريث، (F. Ramirez) عبد من كونيكا، يسب ويعتدى، كلما استطاع على موريسكى آخر لكونه مسيحيًا مخلصًا قائلاً له: " أيها الكلب الوغد المُعمَّد" (١٦٠)..

أيضًا الأمثلة التى يتبادل فيها الموريسكيون المساعدة على الهروب من العدالة أو من محكمة التفتيش كثيرة جداً، خاصة فى أبرشية سيغوينثا حيث استطاعوا مساعدتهم فى الخروج من المملكة. كان ميغيل مايور (Miguel Mayor) ، من أركوس، فى حقل شمام فى موسمه عندما ظهر بعض الناس الذين قالوا بأنهم من موريسكيى مملكة غرناطة وبأنهم عبيد آبقون من سيدهم فى مدريد. أتوا والجوع يقتلهم والشرطة تطاردهم على مقربة، فأطعمهم ميغيل وأخفاهم فى أحد الكهوف وساعدهم فى الوصول إلى أراغون (١٦١). موريسكى آخر من أركوس يدعى خيرونيمو كان عنده موريسكى مختبئ فى بيته تطارده محكمة التفتيش فساعده فى الوصول إلى أراغون (١٦٢). فى عام ١٥٧٦، وفى نفس البلدة اشترى بعض المسيحيين الجدد أَمَةً غرناطية وجاوزوا بها إلى أراغون كى تصبح حرة (١٦٣).

كان الموريسكيون ينبهون بعضهم البعض عندما ينمو إلى علمهم أن محكمة التفتيش فى طريقها للقبض عليهم (١٦٤). وكان خبر وصول مُحضرى محكمة التفتيش يتسبب أحيانًا فى التحرش بهم، وفى بعض الأحيان وجد المحضرون أنفسهم مضطرين لاتخاذ استعدادات خاصة واتخاذ حرس مرافق لهم: يشتمل أحد القرارات المُحَّررة للقبض على ٢٧ موريسكيًا من ديثا على التعليمات والحيطة التى يجب اتخاذها، إذ إنه يخشى من ثورة القرية.

عندما ذهبوا للقبض على رودريغو فاخاردو (Rodrigo Fajardo) ، وهى شخصية سنتكلم عنها مباشرة، طلبوا حرسًا خاصًا كى يدافع عن موظفى محكمة التفتيش، إذ يخشى من قيام الموريسكيين بالاعتداء عليهم (١٦٥).

و يعتبر التصدق على فقراء الموريسكيين اتهاماً آخر كثيراً ما يظهر فى محاضر التفتيش ويعتبر دليلاً على روح التضامن بين الجماعة الموريسكية: بالفعل، أشار مؤلفون قدماء إلى مدى الاعتناء الذى يعامل به الموريسكيون فقراءهم، من بين هؤلاء المؤلفين بيرموديث دى بيدراثا (Bermudez de Pedraza) الذى يقول عن الغرناطيين [١٦٦]: "يشفقون جداً على فقرائهم"، أو خانير (Jáner) فى كتابه "تاريخ بلاسنثيا (Historia de Plasencia) [١٦٧] : "لا يتركون ذويهم يتسولون".

يحتفل الموريسكيون بأيام الجمع ورمضان والأعياد "ويتصدقون على الفقراء من جنسهم"، "يتصدقون على الفقراء من جنسهم وسلالتهم" [١٦٨]. كان أدريان رينكون، موريسكى من كالندا، قد أتى ليقيم فى أركوس "لنشر الدين وتعليم الكثير التصدق على الموريسكيين الفقراء" [١٦٩].

ومن جهة، يرتكز التضامن الموريسكى، الذى يعتبر الملاذ ووسيلة للدفاع فى مواجهة عالم معاد، فى البقاء على بعض الهياكل الاجتماعية الثقافية التى تحرص فى ذات الوقت على الحفاظ على وجودها. والدين هو قاعدة هذه الهياكل وقاعدة بقائها كجماعة؛ وبالتالى، هو أساس المقاومة: "المقاومة الدينية الإسلامية ليست المقاومة الموريسكية الفردية... بل هى بنت الجماعة الموريسكية فى مجملها" [١٧٠].

ويتولد التضامن السياسى والقومى المبنى على بعض الدعائم المادية المحددة من الشعور الدينى. من بين هذه الدعائم الحركة المثابرة التى يحافظون عليها بفضل مهنهم كناقلى بضائع وأعمالهم الموسمية فى أقاليم أخرى. رأينا أن التنقل وحركات التعمير هذه أفادت فى إقامة الاتصالات لنقل المعارف والحفاظ على وجود شعور بالانتماء إلى جماعة أخرى. تعد اللغة والإبقاء على الأسماء العربية عامل تماسك أيضاً، إلا أن كلا الأمرين ضاع بالكامل تقريباً فى الأقاليم التى نتحدث عنها. ولقد أصابت الحكومة عندما رأت فى هذين العاملين أساس وجود الموريسكيين كجماعة.

ولقد تم الحفاظ على التضامن الموريسكى فى غرناطة وفالنسيا على يد جماعات رئاسية. أما فى قشتالة فيبدو الموريسكيون ـ حسب دومينغيث أورتيث (Domínguez Ortiz)[١٧١]، " كأقلية مفصولة عن طبقتها القيادية" كما قلنا من قبل، شكَّل الموريسكيون القشتاليون

طبقة اجتماعية لم تفسح المجال لأى جماعات من داخلها ترتفع عنها. ومع ذلك، فى بعض الأحيان تبرز شخصيات يبدو أنها تلعب دوراً قيادياً وموحداً للناس ويبعثون الشعور الدينى و" القومى " فى ذويهم وغالبًا ما يكون هؤلاء، على وجه الخصوص، من الفقهاء الذين تعتبرهم محكمة التفتيش عناصر رئيسية خطيرة وتنكل بهم بضراوة. فى المحاضر الكوينكية تظهر قلة من الفقهاء ممن يلعبون هذا الدور أهمهم هو فقيه ديثا [١٧٢]، الذى كان يجمع مريديه لقراءة القرآن وتفسيره ، وكان يعلِّم صغار الموريسكيين العقيدة والعبادات الإسلامية. بدأ هذا الفقيه، بعد أن تم إيداعه فى السجون السرية، فى الاتصال بالآخرين من الموريسكيين السجناء، خطب فيهم بالمقاومة وعدم الاعتراف وكان يشدُ من عضدهم. أيضًا حُوكم فرانثيسكو ثاكين (Francisco Zaquen) من شيلبا Chelva بفالنسيا، فى عام ١٥٨٤، [١٧٣] لممارسته مهنة الفقيه وإمامة الصلاة والتدريس، ونذكر فقيه أريثا (Ariza) الذى قدم على أركوس وديثا لنشر الدين. ولمرة أخرى، إن وصول أخبار عن فقهاء من أصل فالنسى وأراغونى هو دليل على تأثير هذه الأقاليم على إقليم كوينكا ، وتعتبر هذه الأخبار مؤشراً آخر على الفقر الثقافى والدينى لهذا الإقليم.

بعض الشخصيات التى تظهر متفرقة فى المحاضر لها أهمية كقيادات أو ما تبقى مما كان يعتبر طبقة قيادية، وهم فى وقتهم على ما يبدو كانوا " زعماء مسلمين " حقيقيين. من أبرزهم رودريغو فاخاردو، موريسكى من تارانكون ، والذى تصالح مع محكمة التفتيش فى عام ١٦١٠ [١٧٤]، يقال إنه كان " زعيم وقائد كل الموريسكيين بهذه البلاد " وكان يدّعى بأنه من نسل " ملوك غرناطة وبجاية (*) المسلمين ". كان رجلاً " لا يعرف سوى الانتقال من مكان إلى مكان للعب القمار ومن مولد إلى مولد للهو "، لكن " كان جميع الموريسكيين يعاملونه بأدب جم وإجلال ، وكانوا يأتون من كل البقاع إلى بيته ويوقرونه كزعيم لهم ، وكانوا ينزلونه منزلة ملك جميع الموريسكيين بهذه البلاد ". وعليه فقد " استطاع أن يلعب القمار بمبالغ طائلة من الأموال التى كانوا يعطونها إياه وعندما كان يخسرها كان الموريسكيون يذهبون إليه لإعطائه مالاً ويضعونه أمامه ".

(*) مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر المتوسط (المترجم) .

" كان جميع موريسكيى البلاد يُجلُّونه ، وحتى الصغار كانوا يعتبرونه زعيمهم كان عنده حانوت قليل الشأن لخداع الناس فقط ولخداعهم." كان يمكن العثور عليه فى أوركاخو وبيا نويبا دى ألكارديتى وبيلمونتى وبيا مايور وباسترانا (Pastrana) وأويتى وفى أماكن أخرى عديدة، حيث كان ينزل ببيوت المسيحيين الجدد الذين كان يعلمهم الشعائر والصلوات، ويستولى على مدخراتهم، كما رأينا.

وعندما يصدر أمر بالقبض عليه يصعب العثور عليه (فى النهاية يظهر فى بيا مايور حيث ذهب إلى " بعض احتفالات مصارعة الثيران ") وهكذا جعلت شهرة هذه الشخصية صاحب الشرطة فى بيانويبا يطلب حرسًا من كوينكا لحمايتهم إذ إنهم يخشون من قيام الموريسكيين عليهم ومهاجمتهم عندما يذهبون للقبض على المدعو فاخاردو. لكن يبدو أن المصدر الرئيسى لاحترام هذه الشخصية وسلطتها يرتكز على " أنه كان معلومًا وذائعًا أن المذكور رودريغو فاخاردو بعدما كان يعقد قرانًا لفتاة موريسكية كان يجامعها قبل زوجها ويخبر بأنه وجدها عذراء " يبدو أن نفس الخاطب هو الذى كان يحمل له زوجة المستقبل كى يرى - طبقًا لعادة المسلمين - هل هى عذراء ، وبعد ذلك يعطى شهادة تقول إنه وجدهن عذارى وشريفات جداً " وهو أمر " ليس بشعيرة للمسلمين " كما يؤكد المحضر، بل يدلل على كيف أن هذا الشخص تسلَّط على إرادة ذويه مستغلاً حاجتهم فى وجود زعيم يقودهم ويجمعهم.

ويُعتبر لويس كاريو (Luis Carrillo) الذى حُقق معه للمرة الثانية فى أركوس فى عام ١٥٧٦، أحد هذه الشخصيات الأخرى [١٧٥]. كان هذا الموريسكى يسير على حصان ومعه مهماز وسيف وقوس وعليه ثوب أسود من الكتان ، وكان يدخل أراغون بحرية على الرغم من أنه موريسكى متصالح مع محكمة التفتيش. كان يرتدى كتانًا ناعمًا وحريرًا ، وكان ينعم بوظائف عامة وشرفية: كان لديه مكتب مؤجر لتحرير الوثائق والعقود والإيرادات العقارية.

كان يفتخر ويزهو بأنه مسلم. كان يسير فى كل أماكن المسلمين، وذهب مع مسيحيين جدد إلى أراغون لشراء فاكهة وزعفران من أوريا (Urrea) ويذهب بها بعد ذلك إلى طليطلة. وفى كل الأماكن التى كان يمر بها كان يجمع المسلمين ويتحدث إليهم

ويجعلهم يصومون ويصلون معًا. كان يقول لهم إنه من الشرف إظهار العادات والزى لأن فى ذلك " جائزة المسلمين " وإنه من الأفضل أن أكون مسلماً من كونى مسيحيًا. كلهم كانوا يجلونه ويستضيفونه فى منازلهم كشخصية مهمة. كان على اتصال بالموريسكيين الذين سجنتهم محكمة التفتيش ناصحًا لهم بما يجب أن يعترفوا به ويواسيهم ويشحذ همتهم قائلاً لهم ألا ينشغلوا بحاجاتهم وتجارتهم، إذ إنه سيعتنى بكل شىء. وكان يخفى الموريسكيين الفارين من العدالة ومن محكمة التفتيش أو من سادتهم ويساعدهم فى الوصول إلى أراغون " كى يعيشوا كمسلمين وبحرية أكثر من قشتالة ". أما عن موريسكيى المملكة المجاورة، حيث كانوا يعيشون كمسلمين، فقد كان يرسل إليهم خيولاً وعملات ذهبية ، وفى أكثر من مرة اشترى موريسكيين عبيدًا غرناطيين وحملهم إلى أراغون حتى يكونوا أحرارًا.

إن المكانة والوقار الذى تمتعت به هذه الشخصيات هو دليل مهم على رغبة الموريسكيين وحاجتهم فى هذه الأقاليم إلى من يمثلهم ويقودهم، وإلى من يمكنهم أن يجدوا فيه زعيمهم القائد.

ليس من الضرورى التركيز على البغض الذى كان يشعر به الموريسكيون إزاء الدين المسيحى ، ولا عن رفضهم لكل ما كان يعنيه المنتسبون إليه. كما يقول مارمول (Mármol) [١٧٦] "شعر المُنصَّرون الجدد دائمًا باستياء إزاء العقيدة" ، وبرر بعض الموريسكيين كرههم الذى يشعرون به نحو الكاثوليكية بأن ذلك يرجع إلى ظروف تنصيرهم أو وضعهم الحالى. فى عام ١٥٣٤قام أحد جيران دييغو دى ميندوثا بعتابه لأنه ليس مسيحيًا مخلصاً، فرد عليه ذلك الموريسكى: " لو أنك أصبحت مسلماً قهرًا، هل ستصبح مسلماً مخلصاً؟، قال له الشخص المذكور : لا، حينئذ قال المدعو دييغو دى ميندوثا: إذن كيف تريد أن أصبح مسيحيًا مخلصاً ؟" [١٧٧]. ذات يوم سألوا سلبادور، وهو عبد غرناطى من الاركون، لماذا لا تكون مسيحيـاً مخلصًا ؟ ، فرد على ذلك سائلاً بدوره "لو كان هو أسيرًا أسيكون مسلمـاً مخلصـاً ؟". وبما أن المسئول أجاب بأن لا، قال سلبادرو: " لو أنك كنت مسلماً مخلصاً فأنا مسيحى مخلص بينكم " [١٧٨].

ويُظهر الموريسكيون جهلاً عميقًا بالدين المسيحى. فمن النادر أن تجد من يعرف إحدى الصلوات كاملة، وعن الأغلبية يتضح من المحاضر: "أنها لا تعرف الإشارة إلى نفسها بالصليب ولا أية صلاة ولا تعاليم" (١٧٩) من جهة أخرى، وبما أن نسبة جهلهم بالإسلام جديرة بالاعتبار، توجد حالات مثل حالة لويس الحاجى (Luis Alhache) الذى لم يمارس أبدًا أى عمل مسيحى كسماع قداس أو صلاة أو اعتراف، لكنه أيضًا لم يمارس أى عمل إسلامى، "كان يعيش كالهمجى" (١٨٠).

أيضًا هناك حالات من الشك والجهل المطلق فيما يتعلق بالاعتقادات الدينية.

بجانب هذا الجهل بكلا الديانتين، يريد الموريسكيون أن يكونوا مسلمين، وأحيانًا الطريقة الوحيدة التى يعرفونها كى يصبحوا مسلمين هى اعتراضهم على كل ما تدعو إليه المسيحية وكل ما يصدر عنها: يعنى أنهم يحددون عقائدهم وتصرفاتهم على أساس معارضة العقيدة المسيحية.

على الرغم من عدم وجود ممارسات إسلامية حقيقية، إلا أن قضاة محكمة التفتيش يعيرون نية الموريسكيين فى أن يصبحوا مسلمين عناية فائقة. هكذا يقال، على سبيل المثال، عن لويس إيرنانديث (Luis Hernandez)، عندما يكون مع المسيحيين يمارس أعمالهم، لكنه فى داخله مسلم (١٨١) عند معالجة هذه المشكلة يشير كل المؤلفين الذين اهتموا بالإسلام الموريسكى إلى أساس المشكلة، وهو مبدأ التقية القرآنى: هو ذلك المبدأ الذى يسمح للمسلم المعزول فى مجتمع معاد بالتظاهر الخارجى بالدين المفروض عليه، بينما يظل فى داخله على دينه. يظل المسلم وفيًا لإسلامه، على الرغم من ردته العلنية، إذا ما حافظ على عقيدته فى داخله (١٨٢).

لكن من المحتمل أن يكون سلوك الموريسكيين، أو على الأقل سلوك هؤلاء الذين يعنوننا ويظهرون جهلاً بالدين، يخضع لما فرضته الظروف أكثر من كونه تصرفًا واعيًا يسيطر عليه مبدأ قرآنى. كان عليهم مواراة وإخفاء عقائدهم الحقيقية، بينما كانوا يظهرون الحفاظ على عقيدة أخرى أصبحت واجبًا اجتماعيا، وهم مجبرون على ذلك إذا ما أرادوا الهرب من محكمة التفتيش.

يؤكد لويس غثمان، صاحب حانوت فى كامبو دى كريبتانا، أنه كان يذهب إلى القداس عندما تأمر الكنيسة بذلك، على الرغم من أنه ما زال مسلمًا فى الواقع، "كى لا يُظن به أنه مازال على دين هذه الملة ، وكى لا يُحَصَّل منه ريالان كعقوبة على المنصَّرين الجدد فى كل مرة لا يذهبون فيها إلى القداس أيام الآحاد وإلى أعياد المسيحيين [١٨٣] قال فرانثيسكو راميريث (F. Ramirez) أمام شهود: " إنه مسيحى باللسان ومسلم بالقلب " [١٨٤]. محكمة التفتيش على علم بهذا، وإذا كان الأمر يتعلق بحفاظه على الدين النصراني فإن إمكانيات الموريسكى فى الدفاع عن نفسه قليلة : إما أنه يُتهم بعدم الحضور إلى القداس والقيام بواجبه نحو المقدسات، و هذا يشير إلى ردته، وإما أن المتهم – إذا ما كانت هناك شبهة بأنه مرتد – يحافظ بشكل لا يدعو إلى الريبة على الشعائر المسيحية، وهذا لن يفيد فى دفاعه، وسيجعله يتهم بالنفاق والتستُّر، وبالتالى، بتدنيس المقدسات فى كل مرة قام فيها بواجبه نحو الكنيسة. نذكر على سبيل المثال قضية إيسابل دى لينان[١٨٥] التى " دنست المقدسات فى كل المرات التى تناولت فيها القربان المقدس وفى اعترافاتها، لكى تقوم بواجبها نحو الكنيسة كل عام، وأنها قامت بهذه الاعترافات وتناولت القرابين المقدسة كواجب دينى فقط ، ولإخفاء ردتها بالتظاهر كمسيحية" [١٨٦].

يُظهر الموريسكيون فى كل فرصة تسنح لهم كرههم واحتقارهم للمسيحية من خلال المضايقات والسخرية. فيخرج السجناء فى سجن كونيكا القش من مراتب أسرَّتهم ويصنعون منه صلبانًا ويدهسونها فى الأرض ليغيظوا المسيحيين: "كانوا يدهسونها عمداً كالملحدين" [١٨٧]. كان دييغو إنريكيث (Diego Henríquez)، من كينتنار، يحمل صليبًا مربوطًا بحزام معلق فى نعله ، وكان يجرجره على الأرض من خلفه حينما يمشى [١٨٨]

سرق موريسكى من أركوس وعاء القربان المقدس وأخذه إلى دار بعض الأصدقاء فى أريثا "وبقصد سب وإهانة عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وللإضرار بديننا المسيحى وضعوا القرابين المقدسة فى خيط وعلقوها على شجرة" [١٨٩]. وفى سوكويامو‌س أخذت جماعة من الموريسكيين قطعة قماش من الكتان طرز عليها بالحرير آلام المسيح وصلبه وقاموا بإحراقها [١٩٠]. وذهب مُنصَّر جديد آخر " فى يوم عيد لحفر حفرة فى

الطريق بصليب وضربه بفأس فحطمه" [١٩١]. كان عند بعض الموريسكيين امرأة متوفاة " مكفنة وفمها إلى أسفل وعلى ظهرها صليب وضع على أردافها للتهكم والاستهزاء بهذا الصليب" [١٩٢].

هذا النوع من الأفعال هو أساس شك وخوف المسيحيين القدامى، ودائماً ما تدور حولها فكرة مؤامرة أو ثورة موريسكية. فى كامبو دى كريبتانا "حمل بيدرو غالبيث (Pedro Galvez) العديد من الموريسكيين إلى داره وحبسوها [الشاهدة التى تحكى وهى أَمَة] فى حجرة ، ومنها فهمت أنهم يقولون بأنهم سيذهبون إلى الكنيسة وسيخرجون منها أشياء كثيرة وسيهربون بها ، وأنهم يريدون إلقاء مادة " زهج الغار " السامة فى الآبار كى يقتلوا المسيحيين" [١٩٣].

ذهب بعض المسيحيين القدامى إلى صاحب شرطة محكمة التفتيش للوشاية بميغيل دى ديثا (Miguel de Deza) الذى كان يسير ليلاً مع موريسكيين آخرين من هذه البلدة للتجسس وهم مسلحون بسكاكين وبنادق صغيرة [١٩٤]. كما يقال لنا فى محضر آخر، كان الموريسكيون يريدون "أن يصبحوا أقوياء فى إسبانيا ويسيطروا عليها" [١٩٥].

فى الغالب، هى عبارة عن تعليقات ساخرة فقط أو تعليقات مشينة حول رجال الدين، "البهائم" [١٩٦] "عندما يعظ الواعظ كان يبدو كراعٍ يزعق فى الحقل"؛ وعن الكنيسة: "ليست صكوك الغفران إلا لجبى الأموال " وإن الموريسكى " لا يعتقد فى سلطة الحل والعقد البابوية ومنح صكوك الغفران والعفو" [١٩٧] ولا يعتقد فى الأسرار المقدسة. يسأل موريسكى جاراً له، عند خروجه من الكنيسة التى قدم فيها قرباناً ليسوع، ما الذى ذهب بك إلى هناك؟ فأجابه الآخر قائلاً : إن جسد الرب الحقيقى موجود هناك. قال الموريسكى: "عجباً! لا يوجد رب فى بيتى إلا أنا الآن. فهؤلاء الأوغاد المسيحيون عندما لا يكون لديهم ما يصنعون يقومون بهذه الأشياء لقضاء الوقت" [١٩٨] رفض آخر الذهاب فى يوم خميس مقدس لرعاية يسوع قائلاً "هو لا يشملنى برعايته، أفأسهر أنا فى خدمته" [١٩٩].

ويبدو لهم سر القربان المقدس، على وجه الخصوص، غير جدير بالتصديق. أجاب موريسكى كانوا ينهرونه حتى يذهب إلى القداس: "انظرا ، ياله من جسد للرب، ليست

لدىّ رغبة فى تناول الطعام" (٢٠٠). "ذات يوم رأت موريسكية، بينما كانت تَخِيط على باب بيتها، رجال الدين يحملون القربان المقدس وهم فى طريقهم " لشفاء مريض "، فقالت: اعطوه لحمارى فإنه مريض" (٢٠١).

القربان المقدس هو خبز ونبيذ والرب لا يحل به (٢٠٢)، القربان هو خبز أو شىء رقيق والرب لا يحل به" (٢٠٣)، "القربان ليس أكثر من قليل من الدقيق المعجون والرب لا يحل فيه، إذ كيف يحل فى شىء يجهزه خادم الكنيسة" (٢٠٤)، "وأنه ليس من الممكن أن ابن الرب حَلّ فى القربان المقدس" (٢٠٥).

كان الموريسكيون يظهرون رفضهم للقربان المقدس فى كل المرات التى يتاح لهم فيها ذلك؛ فخلال القداس كانوا يديرون وجوههم عندما كانوا يرفعون القربان المقدس (٢٠٦)، أو ينزوون أو ينامون، ولم يقدموا أى مظهر للتعبد (٢٠٧) ؛ وحينما كان يُحمل القربان المقدس إلى أى مريض، فبدلاً من الركوع أمامه كانوا يسيرون فى شارع آخر، "لم يذهبوا فى صحبة القربان المقدس عندما كانوا يحملونه إلى المرضى لأنه ليس ممكنًا أن يذهب ربنا إلى هناك" (٢٠٨).

لكل هذه التلميحات والتعليقات دلالة خاصة على رفض الموريسكيين للعقائد والعبادات الكاثوليكية. على وجه الخصوص، كانت عبادة التماثيل والقديسين مرفوضة من جانبهم: "التماثيل التى كان يعبدها المسيحيون هى آلهة من الخشب مثل تماثيل الجص التى كانت عند الوثنيين فى القدم" (٢٠٩)، "ليست هناك ضرورة للذهاب إلى الكنيسة ولا للاعتقاد فى هذه الأعمدة الخشبية، يقولون ذلك عن تماثيل العذراء والقديسين الآخرين" (٢١٠). وأن الصليب " ليس أكثر من عمود خشبى يعترضه عمود آخر" (٢١١) ويرفضون عبادة صلبان خشبية (٢١٢).

سأل موريسكى موريسكيًا آخر إذا ما كان يؤمن بالرب، أجاب: "نعم أؤمن بالرب، لكن لا أعتقد فى هؤلاء القابعين فى المذبح" (٢١٣).

وتكثر الحالات مثل حالة الموريسكية التى أحرقت ذات مرة صليبًا، ولم تركع أمام تمثال يسوع عند مرور موكب دينى من أمامها وهى تجلس بباب بيتها قائلة "إنها لا تعتقد فى ذلك التمثال الخشبى" (٢١٤). موريسكية أخرى صاحت أمام موكب آخر:

عجبًا لتمثال يسوع الضخم هذا، كيف يستطيعون حمله؟!" (٢١٥). قال موريسكى متزوج بمسيحية قديمة وهو يحاول دعوتها لدينه: "كم أنت مسكينة، لأنهم يجعلونك تعتقدين بوجود قديسين فى السماء، إذ إنه لا يوجد إلا الله ومحمد" (٢١٦).

ويتنافى الشعور الإسلامى بوحدانية الله، على وجه الخصوص، مع عقيدة التثليث وفكرة أن يسوع ابنًا للرب. فبالنسبة لهم يسوع "كان رجلاً صالحًا لكنه لم يكن ربًا ولا ابنًا للرب" (٢١٧). لم يكن يسوع "إلهًا لكن نبيًا وابنًا لمريم واسمه عيسى وكان ملكًا من السماء ولم يكن بوسعه أن يحل أو يعقد" (٢١٨). "كان يسوع نبيًا وليس ربًا، فكيف يكون ربًا ويقتله أحقر الناس؟!" (٢١٩). كانوا يقولون أيضًا "إن يسوع لم يصلب، بل أتى آخر ووضع فى مكانه" (٢٢٠). واعترض موريسكى من سوكوياموس عندما قالوا له "إن الله مات من أجلنا، فقال إن الله موجود فى السماء وليست لديه حاجة كى يموت من أجل المسيحيين" (٢٢١).

كما يقول كاردياك (٢٢٢)، "إن الانتماء إلى المجتمع الموريسكى، على وجه الخصوص، يعنى أساسًا الوعى بتشكيل جزء فى جماعة أقلية معارضة؛ أما عن الاهتمامات العقدية فليست أكثر من كونها اهتمامات جانبية". الإسلام قبل كل شىء هو الأساس ويسبب التوتر مع الأغلبية ومعارضتها، ويتضح ذلك خاصة فى الاعتقادات الموريسكية المتعلقة بعذرية العذراء التى يُقرها الإسلام ويرفضها الموريسكيون لمجرد الاعتراض على المسيحيين (*) . على وجه التحديد، لا تقبل عذرية العذراء فى تلك المناطق الأقل إسلامًا والتى تقل فيها الثقافة الإسلامية بشكل كبير، و بالتالى، يجب على موريسكيى هذه المناطق أن يحددوا ملامحهم من خلال معارضة المسيحيين.

فى عام ١٥٨٦، فى كاراسكوسا ديل كامبو (Carrascosa del Campo) (٢٢٣) استؤجر موريسكى غرناطى للعمل فى حصاد أحد الفلاحين. ذات ليلة وبعد أن تناول العشاء

(*) من المعلوم أن الإسلام لا يتعرض لعذرية السيدة مريم بعد أن وضعت سيدنا عيسى لا بالنفى ولا بالإثبات ، فقط نجد فى القرآن أن الله اصطفى مريم وطهرها واصطفاها على نساء العالمين . من ناحية أخرى نجد أن بعض الموريسكيين يقرون بعذرية السيدة مريم . انظر على سبيل المثال المخطوطة رقم ٩٦٥٤ - بالمكتبة الوطنية بمدريد (المراجع) .

بدأ يتكلم مع صاحب العمل عن قضايا دينية. سأله صاحب العمل "إذا ما كان يعتقد فى الله وفى القديسة مريم وبأنها كانت عذراء حالة الوضع وقبل الوضع وبعد الوضع"، رد الموريسكى على ذلك بأنه كيف أن السيدة مريم ولدت وظلت عذراء، وأن ذلك لابد أن يكون مع رجل". "نحن نؤمن جداً بالله ، لكن لا نعتقد أن العذراء مريم ولدت وهى عذراء". هذا هو الاعتقاد السائد بين الموريسكيين ، وثمة إنكار شديد لعذرية العذراء [٢٢٤]: " نحن نؤمن جداً [الموريسكيون] بالله وبإعطاء الصدقات، لكن لا نؤمن بأن السيدة مريم ولدت وهى عذراء" [٢٢٥].

ويتفق التأكيد على أن مريم ليست عذراء مع نفى ألوهية يسوع. كان لويس إيرنانديث يقول "إنه من غير الممكن أن السيدة مريم كانت عذراء قبل وبعد الولادة وحالة الولادة وأنها لم تكن أماً للرب" [٢٢٦]. ويعترف غونثالو دى فالنسيا **(Gonzalo de Valencia)** فى عام ١٥٨٥، "أن السيدة مريم لم تكن عذراء ولا أماً للرب" [٢٢٧].

وقليل هم الذين يظهرون معرفة بالأصل القرآنى وينتمون غالبًا إلى أقاليم أكثر إسلاماً. على سبيل المثال، كان أدريان رينكون، من كالندا، يقول "إن المسلمين يعتقدون فى أن السيدة مريم كانت عذراء قبل الولادة لكن بعدها لم تبق على عذريتها" [٢٢٨]. خلال الثورة، تناقش موريسكى غرناطى مقيم فى سوكوياموس، فى سنة ١٥٧٤، بحدة مع أحد مسلمى البربر كان قد أتى ليعلمهم الدين، إذ كان هذا يقول إن السيدة مريم كانت عذراء ، والغرناطى لا يريد أن يصدق ذلك، ويبدو له أن ذلك الأمر خاص بالمسيحيين [٢٢٩].

دين المسيحيين هو "دين سخرية" [٢٣٠] ودين المسلمين أفضل من دين المسيحيين، وأخيراً، إله المسلمين أفضل من إله المسيحيين. وكما يقول أكثر من موريسكى، بشكل له دلالة كبيرة، "الله مسلم خالص" [٢٣١] يعنى أن الله يشارك ويختار فى الصراع الذى يقاوم فيه المسيحيون القدامى الموريسكيين.

ليس فقط أن الله مسلم ومع المسلمين، لكنه يتكلم العربية وهذه هى لغة الخلاص. كان لويس لوبيث، من سوكوياموس، يلح على زوجته حتى تتعلم العربية قائلاً: "يا حمقاء تعلمى العربية، فإن الله سيتكلم يوم القيامة بالعربية وسيكون محمدٌ بجواره

وسيقول له: يا رب نَجِّ هؤلاء لأنهم ما زالوا يحافظون على ديننا وابعث بالمسيحيين إلى الجحيم" (٢٣٢). الموريسكى مثل المسيحى، يجد نفسه مهتماً بفكرة الخلاص. وهذه هى الطريقة التى تستخدمها محكمة التفتيش فى عد شعائر الدين الإسلامى التى قام بها أحد المتهمين: "يعتقد فى الخلاص عن طريقها [فى ملة محمد] "، يعتقد أن دين المسلمين أفضل للنجاة من دين المسيحيين (٢٣٣)، وأن المسلم هو الذى سينجو.

ويظهر هذا الانشغال بالخلاص فى محاضر عديدة. كان خوان دى أورتوبيا، صانع أقفال بديثا، يقوم "بشعائر المسلمين وكان يمارسها حفاظًا عليها والتزاماً بدين المسلمين، الذى كان يؤمن بأنه أفضل من دين المسيحيين ، وكان يعتقد أنه إذا ما مات سينجو حينئذ وسيدخل الجنة" (٢٣٤).

و يعتقد البعض " أن المسلم سينجو فى دينه مثل المسيحى فى دينه ". فى محضر ماريا دى أورو (María de Oro) من ديثا ، يحكى أنه اجتمع ذات يوم جمع من الناس، فى عام ١٥٢٥، وشرعوا فى الحديث عن أحد الوجهاء قُتل فى حرب ضد المسلمين. قال أحد الحاضرين "بما أنه مات فى أرض المسلمين دفاعًا عن العقيدة فقد أنقذ روحه فى قتاله المسلمين، وحينئذ قالت المذكورة ماريا إن المسلمين أيضًا أنقذوا أرواحهم بقتالهم المسيحيين" (٢٣٥).

هناك حالة وجب أن تكون شائعة هى حالة لويس دى ثيبيا الذى مات بعد مرض طويل: مارس طيلة حياته الدين المسيحى بينما كان يحفظ فى قلبه الدين الإسلامى. يُسأل ساعة الاحتضار "ما هو الدين الحق الذى سينجو به، هل هو دين المسيحيين أم دين المسلمين كى يموت عليه". شجعه أقاربه وأصدقاؤه، الذين كانوا يصحبونه، أن يموت على عقيدته. قال له ابنه "أن يموت كما عاش فى ملة محمد المذكورة، فهو الطريق المستقيم للوصول إلى الجنة، وأحضروا له مسلماً واسع الثقافة فى دينه كى يساعده ساعة الاحتضار" (٢٣٦).

أيضًا يكثر الاتهام بممارسة أعمال سحر وشعوذة فى محاضر الموريسكيين.

فى الحقيقة، يربط المسيحيون القدامى الإسلام بالسحر، وكان يُنظر إلى الموريسكيين على أنهم مشتبه فيهم بممارسة طقوس شيطانية وإتيان السحر(٢٣٧).

وعادة ما ترتبط هذه الممارسات بعلاج المرضى وطب التدجيل - وهو تدهور لتراثهم الطبى القديم - والعثور على كنوز وتجارة الأعراض والعلاقات الغرامية وتفسير الأحلام والتمائم، إلخ ... أو عبارة عن خرافات بحتة ليس لها علاقة بالإسلام لكنها تحاول أن تحل محل دين يصبح فى كل مرة أكثر فراغًا وتدهورًا وتعطيه محتوى ذاتيًا. وتكثر غالبية هذه الخرافات فى كل أجواء البحر الأبيض المتوسط. ويمكن ذكر حالة كاتالينا دى مورا كمثال، وعندما كان يحلق زوجها ذقنه أو يقص شعره أو أظافره كانت تأخذ كل ذلك بعناية وتلقى به فى النار [٢٣٨]. اعترفت موريسكية، من ديثا ، متهمة بإتيان السحر، بأنها كانت تذهب فى الليل إلى المقابر لتقتلع أسنان الموتى لأعمالها السحرية [٢٣٩].

من نفس البلدة، كانت هناك " صاحبة محل فاكهة " تشارك فى الأعراس وفى تفضيض الأطفال ، وكانت تكفن الموتى وتساعد فى الولادة وعلى علم أيضًا بالأمراض والأعشاب التى تداوى بها. ولكى تقرر ما إذا كان المرض قاتلاً أم لا، كانت تضع إناءً من الماء البارد على رأس المريض، ثم تلقى فيه ملعقة من الرصاص المذاب وحسب الشكل الذى يأخذه كانت تقرر إذا كان المرض قاتلاً أم لا [٢٤٠]. ورد ذكر تجربة الماء البارد هذه مع الرصاص فى محاضر أخرى [٢٤١].

وتتشابه حالة زوجة بيدرو غالبيث، من سوكوياموس، التى أعدت قنديلاً بفتيل، بعد ما سقط زوجها من على أنبار التبن وأصبح فى حالة خطرة نتيجة السقوط، وأحاطته بالتبن ووضعته بالقرب من سرير المريض ودارت حوله بشكل دائرى وهى تضرب بيديها على الأرض متوسلة بمحمد [٢٤٢].

وتكثر حالات النساء القوابل، اللاتى تجهزن العروس للعرس أو يكفنّ ويندبن الموتى، وأيضًا يستخدمن أعشابًا وتعاويذ لشفاء الأمراض وداء العشق، وتعد حالة لويسا دى سانتياغو (Luisa de Santiago)، وهى قابلة موريسكية من سوكوياموس حوكمت فى عام ١٥٨٢، مثالاً بارزًا على هذا الأمر [٢٤٣].

ينقل الموريسكيون معارفهم عن طب التدجيل والسمر فى الوقت ذاته وبالطريقة نفسها التى يثقف بعضهم البعض فى العبادات الدينية وفى المبادئ القرآنية.

وتسير ممارسة الطب فى خط متواز مع السحر. أشهر الحالات وأكثرها تعبيراً هى حالة رومان راميريث (Román Ramírez)، وهو طبيب دجال وساحر من ديثا، كان على صلة بالجن [٢٤٤]. أيضاً كان ميغيل راميريث (Miguel Ramírez)، من ديثا، على اتصال بالجن، لدرجة أنه كان لديه جنى فى خدمته الخاصة يدعى لياردى (Liarde) كان قد ورثه عن أبيه. لكنه كان يستخدم هذه العلاقة لأغراض مهنية أكثر إدراراً للمال من مهنته كطبيب دجال: بغرض البحث عن كنوز. وكان بارعاً فى ذلك، يقال لنا فى المحضر إنه لم يكن يعثر على كنوز فقط بل كان يجعلها تختفى أيضاً [٢٤٥].

أيضاً كان لويس بن على (Luis Ben Ali)، فقيه ألبراثين (Albarracín) يصنع تعاويذ ويبحث عن الكنوز مستخدماً لذلك قضباناً صغيرة من الرصاص نقشت عليها أشكال بالعربية [٢٤٦]، وكان سلبادور، عبد من غرناطة، إضافة إلى أنه كان باحثاً عن الكنوز ومتكهناً ومفسراً للأحلام، "يعتقد فى الكثير من الأباطيل والخرافات" [٢٤٧] أُعدم ألبارو باثان (Alvaro Vazán) على الملأ فى كوينكا فى سنة ١٥٩٦، بعد اتهامه بأنه على علاقة بالجن الذين كانوا يساعدونه فى البحث عن الكنوز. كان هذا الموريسكى يصنع أحرازاً أو تمائم عديدة الاستخدام مثل التى تشفى الأطفال من أمراضهم ، والتى تأسر حب فتاة ، أو كما يقول فى المحضر "بغرض السلام مع الحماة" [٢٤٨]. هذه الأحراز كانت عبارة عن تمائم يعلقونها حول أعناقهم. عُرف عنها فعاليتها العظيمة فى الأوساط الشعبية الإسلامية. كانت تُصنع بغرض الحصول على منفعة خاصة أو محددة، أو أنها بشكل عام كانت ضد الحظ السيئ. يقول مياس باييكروسا (Millás Vallicrosa) [٢٤٩] إن العرب كانوا يطلقون عليها أحرازاً ، من الأصل (حرز) الذى يعنى (حفظ) وهو رأى يبدو أكثر صواباً من رأى غامير (Gamir) الذى يقول بأنها تأتى من (الخرز) يعنى التكهن والخداع، ويصف الأحراز الغرناطية بأنها " رقاع سحرية مخلوطة أحياناً بكلمات يونانية أو عبرية أو بصور غامضة وحروف مبهمة تحفظ من الخيانة "[٢٥٠].

كانت الأحراز توضع فى الملابس أو تعلق فى العنق، ويؤكد الكم الهائل من المرات التى تظهر فيها الأحراز فى المحاضر على ولع الموريسكيين بها. نذكر كحالة نموذجية حالة خوان أندريس، ناقل بضائع، من مواطنى بورخا (Borja) بأراغون، الذى قُبض عليه فى أركوس فى عام ١٥٥٧ . عندما قبضوا عليه "عثر أحد مساعدى هذه المحكمة

بين بطانة كم الصُدرة على حرز مكتوب بحروف عربية وبرموز وبإشارات واضحة تعترف بها وتقرها هذه الملة". هذا "الحرز أو تعويذة المسلمين يحتوى على صلوات لهم وكلمات ونصوص قرآنية ومحمدية، وكان يُعتقد أن بفضلها سيُحفظ من أخطار الطريق" يشتمل المحضر على الحرز.

أيضًا كنتيجة للجهل ورغبة فى الاختلاف عن المسيحيين توجد حالات من الممارسات الدينية المزدوجة ، فهناك أكثر من موريسكى متهم بأنه يهودى. فى محضر دييغو دى مورا [٢٥١] تظهر زوجته وهى تمارس شعائر يهودية، الدليل على ذلك أنها "لم تسمح بإطفاء القنديل يوم الجمعة ليلاً، بل يظل مشتعلاً والطعام على النار حتى لا تضطر للطهى يوم السبت، وهو يوم كانت تحافظ عليه لأقصى درجة، بينما كانت تقضى يوم الأحد وهى " تغزل وتَفصل وتلف الخيط "".

يحكى خوان دى أورتوبيا، ناقل بضائع، أنه "بينما كان فى سرقسطة وصل إلى هناك برتغالى أتى لبيع بعض الأقمشة الصوفية وأنهما اتفقا على الذهاب إلى مدينة دى ألكامبو (Medina de Alcampo) حاملين ما معهما من أمتعة ، وكانا يسيران ليلاً لأن الوقت كان صيفًا ، ومرًا ببرلانغا (Berlanga) حتى سان سيبستيان دى غورماث (Santiesteban de Gormaz) ورأى البرتغالى أنه لا يشرب الخمر ولا يأكل الخنزير فسأله إذا ما كان موريسكيًا فقال له أجل، فقال إن الموريسكيين أناس صالحون وهم ثابتون على بعض الأشياء التى تركها لهم محمد، فلقد كان على علم بدين المسلمين وبدين اليهود ودين المسيحيين وكل شىء عن هذه الأديان". علَّمه البرتغالى، وهو يهودى دون شك، صيام خمسة أو ستة أيام دون أن يقول له صيام أى دين هذا، لكنه كان صيامًا نافعًا لخلاص الروح. ومنذ ذلك الحين، كان يحافظ عليها فى كل عام [٢٥٢].

ثمة اتجاه يعتبر أعداء المسيحيين القدامى أصدقاء ، ويبحث عن صحبة بين هؤلاء المنبوذين من المجتمع المسيحى. هذا الأمر يتسبب فى وجود آراء تدافع عن أتباع لوثر، حيث إن "هؤلاء يدافعون عن دينهم أيضًا" [٢٥٣]. "يشعر الموريسكى بالتضامن مع الأقليات الدينية الأخرى المضطهدة" [٢٥٤].

تفيد الفقرة التالية لبيدرو دى فالنسيا (Pedro de Valencia) فى نهاية هذا الفصل، لما لها من مغزى كبير عن التهم الرئيسية التى وجهها المسيحيون ضد الموريسكيين: "هم لا يحاولون ولا يريدون أن يظهروا كمسيحيين، بل يتعمدون - عن اعتزاز - أن يفعلوا كل شىء يميزهم ويبعدهم عن قدامى المسيحيين: فى اللغة وفى الملبس وفى المأكل وفى الزواج وفى الهروب من الكنائس... وعلى الرغم من أن اسم "مسيحى قديم" كان يعد شرفًا عظيمًا فى إسبانيا، إلا أنهم لم يخفوا أنفسهم ويظهروا على أنهم مسيحيون. هذا معناه أنهم يعتقدون أن الأصلح هو أن يكونوا مسلمين... لا يريدون شرفًا إلا مع شعبهم وأمتهم وينالون ذلك إذا ما أظهروا إسلامهم ويفقدونه إذا فعلوا العكس: لكن عندما تتعرض حياتهم أو ممتلكاتهم للخطر، وبما أنهم يعلمون أن محمدًا لا يريد شهداء... ينكرون بعد ذلك ويقولون بأنهم يكونون أو يريدون أن يكونوا مسيحيين دون أن يضيعوا بذلك عقيدة محمد ولا الشرف بين ذويهم ، ويظلوا مسلمين كما كانوا من قبل... إنها خطة شيطانية هذه التى تسبب لنا حيرة عظيمة وكدرًا شديدًا."[٢٥٥]

يعنى، أساسًا لا يريد الموريسكيون أن يصبحوا مسيحيين، ويفعلون كل ما بوسعهم لتميزهم وابتعادهم عنهم. يتساوى الكونيكيون فى هذا الأمر مع باقى جنسهم، زد على ذلك أنهم أكثر جهلاً بدينهم، وبالتالى، هم هدف لمراقبة وشك وقمع مستمر من محكمة التفتيش.

الهوامش

(١) AHN, Inquisición, lego. 549. (En T. Halperin Donghi, "Un conflicto nacional...", primera parte, p. 93.

(٢) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٣) ADC, leg. 437, núm. 6169.

(٤) ADC, leg. 245, núm. 3270 A.

(٥) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٦) ADC, leg. 338, núm. 4834.

(٧) ADC, leg. 249, núm. 3369.

(٨) ADC, leg. 361, núm. 5125.

(٩) ADC, leg. 121, núm. 1613.

(١٠) ADC, leg. 208, núm. 2408.

(١١) ADC, leg. 232, núm. 2947.

(١٢) ADC, leg. 252, núm. 3404.

(١٣) Tratado acerca de los moriscos en España, BNM, ms, ff. 20-21.

(١٤) L. Cardillac, Moriques et chretiens, p. 24.

Bauer Landauer, Papeles de mi archivo. Relaciones y manuscritos (moriscos), Madrid, s. f., p. 60.

(١٥) ADC, leg. 302, núm. 4346.

(١٦) ADC, leg. 300, núm. 4317; leg. 302. núm. 4353.

(١٧) ADC, leg. 369, núm. 5216. leg. 377, núm. 5342.

(١٨) ADC, leg. 210, núm. 2420.

(١٩) Id.

(٢٠) ADC, leg. 245, núm. 3270 A.

(٢١) ADC, leg. 345, núm. 4903.

(٢٢) ADC, leg.219, núm. 4093 A.

(٢٣) ADC, leg. 232, núm. 2947 A.

(٢٤) ADC, leg. 377, núm. 5342.

(٢٥) ADC, leg. 291, núm. 4109.

(٢٦) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٢٧) ADC, leg. 246, núm. 2398.

(٢٨) حالات أخرى من الذبح الشرعى توجد فى: ADC, legajo 247, núm. 3314; leg. 249, núm. 3361. ADC, leg. 246, núm. 3306.

(٢٩) ADC, leg. 208, núm. 2408.

(٣٠) ADC, leg. 246, núm. 4317.

(٣١) طبقًا لما أورده ن . كاربيانا (N Carbillana) فى : "Esclavos moriscos en Almería del siglo XVI", *Al-Andalus,* XL, 1975, p. 54.

(٣٢) كان المسيحيون الجدد يرغبون فى الاختلاف حتى فى طريقة تناول الطعام؛ ولم يأكل الموريسكيون إلا خبزًا وشعيرًا؛ وهو اختلاف لا يجب أن ينسب إلى أسباب اقتصادية بحتة".

(٣٣) ADC, leg. 291, núm. 4093 A.

(٣٤) ADC, leg. 265, núm. 3633.

(٣٥) ADC, leg. 252, núm. 3423.

(٣٦) ADC, leg. 437, núm. 6169.

(٣٧) Zarco, Relaciones... de Cuenca, p. IC.

(٣٨) ADC, leg. 206, núm. 2352.

(٣٩) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٤٠) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٤١) ADC, leg. 291, núm. 4140.

(٤٢) ADC, leg. 375, núm. 5324.

(٤٣) ADC, leg. 367, núm. 5179.

(٤٤) ADC, leg. 358, núm. 5103.

(٤٥) ADC, leg. 366, núm. 5172.

(٤٦) ADC, leg. 377, núm. 5342.

(٤٧) ADC, leg. 291, núm. 4177; leg. 302, núms. 4344 y 4351.

(٤٨) ADC, leg. 291, núm. 4093 A.

(٤٩) ADC, leg. 300, núm. 4317; leg. 305, núm, 4417.

(٥٠) Guerras civiles de Granada, segunda parte, p. 594.

(٥١) E. Gamir Sandoval, El Sínodo de Guadix..., p. 114.

(٥٢) انظر أيضًا :

M. Garrido Atienza, "Los moriscos granadinos...", p. 349.

"Les traditions culinaires andalous a Testour", en M. Plaza y R. Petit, Estudes sur les moriscos andalous en Tunisie, p. 357.

(٥٣) حول هذه العادة انظر :

P. Aznar, *Expulsión justificada...,* f. 33, comentado por J. Caro Baroja en *Razas, Pueblos y linajes.*

(٥٤) ADC, leg. 340, núm. 4860.

(٥٥) "Remarques sur l alimentation des musulmans dEspagne...", p. 303 ss.

(٥٦) يتكلم لوبى عن "خس موريسكى" ويذكر أن خزانة أحد الموريسكيين، بها كثير من الزبيب والتين وكثير من لحم النعاج المقدد. انظر:

Herreo, *Ideas de los españoles...,* p. 593.

و طبقًا لما أورده P. Aznar, *op. cit.,* f.3

"كانوا يأكلون أشياء حقيرة... كالطحين المتخذ من أنواع عديدة من البقوليات والعدس وخبز الشعير والجاروس (mijo) و الخبز المتخذ منه. والمقتدر هو من كان يأكل هذا الخبز بالزبيب والتين والعسل والرُّب(*) (arrope) واللبن والفاكهة الموسمية مثل الشمام وإن كان غير ناضج ولا يصل حجمه إلى قبضة اليد، والخيار والخوخ وأشياء أخرى وإن كانت غير ناضجة. لم يشربوا الخمر ولا لحم الصيد الميت سواء قتلته الكلاب أو مات فى فخاخ... بل كانوا يأكلون مما يذبحونه على شريعة محمد"، وتقول محكمة فالنسيا إنهم كانوا يتقوتون فقط على "خبز الشعير والعسل والتين..."

(*) يطلق على المستحضرات المتخذة من العسل والفواكه .

(٥٧) يرى خوليو كارو باروخا (Julio Caro Baroja) فى كتابه : (Razas, pueblos y linajes) أن فى اعتدال الموريسكيين وفى مكونات طعامهم أسباب امتداد آجالهم.

(٥٨) "Acerca del traje musulmán en España desde la caída de Granada hasta la expulsión de los moriscos".

(٥٩) ADC, leg. 249, núm. 3367.

(٦٠) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٦١) ADC, leg. 294, núm. 4176.

(٦٢) ADC, lib. 352.

(٦٣) ADC, leg. 208, núm. 2398.

(٦٤) ADC, leg. 121, núm. 1633.

(٦٥) ADC, leg. 248, núm. 3348.

(٦٦) ADC, leg. 113, núm. 1577.

(٦٧) ADC, leg. 232, núm. 2947 A; leg. 246, núm. 3306.

(٦٨) انظر : L. Mármol Carvajal, *Rebelión y castigo...,* p. 161.

(٦٩) ADC, leg. 268, núm. 3681.

(٧٠) ADC, leg. 268, núm. 3681.

(٧١) ADC, leg. 302, núm. 4351.

(٧٢) ADC, leg. 348, núm. 4946.

(٧٣) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٧٤) ADC, leg. 303, núm. 4375.

(٧٥) ADC, leg. 229, núm. 2878.

(٧٦) ADC, leg. 249, núm.3369; leg. 252, núm. 3405; leg. 252, num. 3214; legajo, 366, n?m. 5172, etc..

(٧٧) ADC, leg. 356, núm. 5066.

(٧٨) ADC, leg. 208, núm. 2398.

(٧٩) ADC, leg. 366, núm. 5174.

(٨٠) ADC, leg. 88, núm. 1283.

(٨١) ADC, leg. 370, núm. 5240.

(٨٢) ADC, leg. 375, núm. 5323.

(٨٣) ADC, leg. 247, núm. 3322.

(٨٤) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(٨٥) ADC, leg. 366, núm. 5174.

(٨٦) ADC, leg. 291, núm. 4110.

(٨٧) على سبيل المثال : ADC, leg. 240, núm. 3142; leg. 247, núm. 332; leg. 249, núm. 3361; leg. 249, núm. 3369; leg. 250, núm. 3370; leg. 300, núm. 4903; legajo. 376, núm. 3335; leg. 377, núm. 5342.

(٨٨) ADC, leg. 250, núm. 3370.

(٨٩) ADC, leg. 337, núm. 5342.

(٩٠) ADC, leg. 208, núm. 2402.

(٩١) ADC, leg. 88, núm. 1293; leg. 89, núm. 1300; leg. 89, núm. 1307; leg. 91, núm. 1330.

(٩٢) ADC, leg. 377, núm. 5342.

(٩٣) ADC, leg. 237, núm. 3072.

(٩٤) انظر، على سبيل المثال : ADC, leg. 208, núm. 2408; leg. 247, núm. 3320; leg. 249, núm. 3352; leg. 277, núm. 3822, etc.

(٩٥) ADC, leg. 256, núm. 3633.

(٩٦) ADC, leg. 236, núm. 3056.

(٩٧) ADC, leg. 284, núm. 3332.

(٩٨) ADC, leg. 361, núm. 5123.

(٩٩) ADC, leg. 262, núm. 3573.

(١٠٠) ADC, leg. 264, núm. 3609.

(١٠١) ADC, leg. 257, núm. 4860.

(١٠٢) ADC, leg. 340, núm. 3496.

(١٠٣) ADC, leg. 305, n´m. 4422.

(١٠٤) ADC, leg. 373, núm. 5268.

(١٠٥) ADC, leg. 88, núm. 1300.

(١٠٦) ADC, leg. 265, núm. 3633.

(١٠٧) ADC, leg. 304, núm. 3389.

(١٠٨) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٠٩) ADC, leg. 307, núm. 4446.

(١١٠) Memorial de la política necesaria..., p. 5.

(١١١) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(١١٢) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(١١٣) ADC, leg. 240, núm. 3137.

(١١٤) ADC, leg. 121, núm. 1633.

(١١٥) ADC, leg. 257, núm. 3496.

(١١٦) ADC, leg. 253, núm. 3424.

(١١٧) ADC, lib. 352, leg. 303, núm. 4358; 305. núm. 4410; 307, núm. 4446.

(١١٨) ADC, leg. 229, núms. 2878, 2881, 2882.

(١١٩) ADC, leg. 108, núm. 1528.

(١٢٠) ADC, lib. 352.

(١٢١) ADC, leg. 254, núm. 3436.

(١٢٢) ADC, leg. 121, núm. 1633.

(١٢٣) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٢٤) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٢٥) ADC, leg. 355, núm. 5047.

(١٢٦) ADC, leg. 244, núm. 3267.

(١٢٧) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٢٨) ADC, leg. 253, núm. 3424.

(١٢٩) ADC, leg. 108. núm. 1528. ثمة مظاهر أخرى للابتهاج بالانتصارات التركية في :
ADC, leg. 355, núm. 5047, lib. 352.

(١٣٠) L. Cardillac, Moriques et chretiens, p. 50.

(١٣١) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(١٣٢) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٣٣) ADC, leg. 245, núm. 3270 A.

(١٣٤) ADC, leg. 252, núm. 3423.

(١٣٥) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(١٣٦) من اللفظ العربى جُفر والجمع جُفُور حسبما أورد غامير فى كتابه: El sínodo de Guadix, p. 115.

(١٣٧) عن الجفور: انظر : Gamir, loc. cit.; Cardillac, *op. cit.* Pp. 49 ss.

(١٣٨) L. Cardilac, op. cit., 401.

(١٣٩) ADC, leg. 108, núm. 1528.

(١٤٠) ADC, leg. 260, núm. 3549, y 302, núm. 4344.

(١٤١) ADC, leg. 347, núm. 5290-5291.

(١٤٢) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٤٣) M. Guadalajara y Javier, *Prodición y destierro...,* f. 12 r. v.

(١٤٤) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٤٥) ADC, leg. 302, núm. 4344.

(١٤٦) ADC, leg. 375, núm. 5321.

(١٤٧) ADC, leg. 247, núm. 3318.

(١٤٨) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(١٤٩) ADC, leg. 244, núm. 3267.

(١٥٠) ADC, lib. 352.

(١٥١) ADC, leg. 261, núm. 2670.

(١٥٢) ADC, leg. 372, núm. 5263.

(١٥٣) ADC, leg. 218, núm. 2670.

(١٥٤) ADC, leg. 366, núm. 5172.

(١٥٥) En F. Janer, Condición social..., p. 162.

(١٥٦) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(١٥٧) ADC, leg. 349, núm. 4946.

(١٥٨) ADC, leg. 375, núm. 5308.

(١٥٩) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(١٦٠) ADC, leg. 208, núm. 1530.

(١٦١) ADC, leg. 290, núm. 4082.

(١٦٢) ADC, leg. 237, núm. 3072.

(١٦٣) ADC, leg. 265, núm. 3633.

(١٦٤) ADC, leg. 208, núm. 2408.

(١٦٥) ADC, leg. 373, núm. 5289.

(١٦٦) Historia... de Granada, f. 263.

(١٦٧) Janer, op. cit., p. 162.

(١٦٨) ADC, legs. 91, núm. 1300; 240, núm. 3142; 291, núm. 4093 A; 354, núm. 4092; 364, núm. 3610, etc.

(١٦٩) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(١٧٠) T. Halperin Donghi, "Un conflicto nacional...", primera parte, p. 95.

(١٧١) *El Antiguo Régimen...*, p. 187.

(١٧٢) ADC, leg. 362, núm. 5142.

(١٧٣) ADC, leg. 300, núm. 4316.

(١٧٤) ADC, leg. 373, núm. 5289.

(١٧٥) ADC, leg. 265, núm. 3633.

(١٧٦) Mármol, op. cit., p. 157.

(١٧٧) ADC, leg. 121, núm. 1633.

(١٧٨) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(١٧٩) ADC, leg. 229, núm. 2878.

(١٨٠) ADC, leg. 240, núm. 3137.

(١٨١) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(١٨٢) انظر على سبيل المثال : C. Cahen, *El Islam desde los origenes hsta elcomienzo del Imperio Otomano*, p. 201; art. "Taqiyya", en la *Enciclopedia del Islam,* y, sobre todo, L. Cardillac, *Morisques et chretiens,* p. 87; Dressendoerfer, *Islam unter der Inquisition..., p.* 131 ss.; L. P. Harvy, "Crypto-Islam in XVI century Spain..."; P. Longas, *Vida religiosa...,* p. 304. "Respuesta que hizo el mufti de Orán..."

(١٨٣) ADC, leg. 348, núm. 4946.

(١٨٤) ADC, leg. 108, núm. 1530.

(١٨٥) ADC, leg. 252, núm. 3423.

(١٨٦) ADC, leg. 269, núm. 5214.

(١٨٧) ADC, legs. 369, núm. 5216, y 377, núm. 5342.

(١٨٨) ADC, leg. 268, núm. 3689-3691.

(١٨٩) ADC, leg. 121, núm. 1631.

(١٩٠) ADC, leg. 294, núm. 4176.

(١٩١) ADC, leg. 108, núm. 1521.

(١٩٢) ADC, leg. 290, núm. 4068.

(١٩٣) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(١٩٤) ADC, leg. 370, núm. 5240.

(١٩٥) ADC, leg. 373, núm. 5289.

(١٩٦) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(١٩٧) ADC, leg. 294, núm. 4167.

(١٩٨) ADC, leg. 108, núm. 1528.

(١٩٩) ADC, leg. 113, núm. 1575.

(٢٠٠) ADC, leg. 208, núm. 2398.

(٢٠١) ADC, leg. 378, n?m. 5356.

(٢٠٢) ADC, leg. 246, núm. 3306.

(٢٠٣) ADC, leg. 246, núm. 3398.

(٢٠٤) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(٢٠٥) ADC, leg. 277, núm. 3821.

(٢٠٦) ADC, leg. 94, núm. 1393.

(٢٠٧) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(٢٠٨) ADC, leg. 302, núm. 4344.

(٢٠٩) ADC, leg. 373, núm. 5289.

(٢١٠) ADC, leg. 302, núm. 4351.

(٢١١) ADC, leg. 294, núm. 4167.

(٢١٢) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(٢١٣) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(٢١٤) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٢١٥) ADC, leg. 249, núm. 3352.

(٢١٦) ADC, leg. 294, núm. 4176.

(٢١٧) Id.

(٢١٨) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(٢١٩) ADC, leg. 210, núm. 2420.

(٢٢٠) ADC, leg. 257, núm. 3498. سواء الرسائل الموريسكية الجدلية أو وثائق محكمة التفتيش تؤكد بوجود بديل عن يسوع على الصليب. لم يصلب يسوع ، لكن ظاهريًا كان هناك شخص آخر مكانه. (انظر: L. Cardillac, *Moriques et chretiens*, p. 297 ss) .

(٢٢١) ADC, leg. 294, núm. 4176.

(٢٢٢) Op. cit., p. 297.

(٢٢٣) ADC, leg. 306, núm. 4435.

(٢٢٤) ADC, legs. 210, núm. 2423; 249, núm. 3363; 294, núm. 4167; 304, núm. 4397; 349, núm. 4969, etc.

(٢٢٥) ADC, leg. 305, núm. 4410.

(٢٢٦) ADC, leg. 302, núm. 4344.

(٢٢٧) ADC, leg. 305, núm. 4417; 4422..

(٢٢٨) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(٢٢٩) ADC, leg. 262, núm. 3573.

(٢٣٠) ADC, leg. 240, núm. 3142.

(٢٣١) ADC, leg. 373, núm. 5289.

(٢٣٢) ADC, leg. 294, núm. 4176.

(٢٣٣) ADC, leg. 300, núm. 4317; 303, núm. 4358, etc.

(٢٣٤) ADC, leg. 246, núm. 3306.

(٢٣٥) ADC, leg. 91, núm. 1333.

(٢٣٦) ADC, leg. 250, núm. 3383.

(٢٣٧) G. Herrero, Ideas de los españoles..., p. 590.

عن الولع الموريسكى بالسحر، انظر: Gamir, El sínodo de Guadix, p. 120 ss.

(٢٣٨) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٢٣٩) ADC, leg. 375, núm. 5321.

(٢٤٠) ADC, leg. 378, núm. 5356.

(٢٤١) ADC, legs. 252, núm. 3414, y 366, núm. 5174.

(٢٤٢) ADC, leg. 348, núm. 4943.

(٢٤٣) ADC, leg. 290, núm. 4068.

(٢٤٤) قام أنخل غونثاليث فالنسيا بدراسة محضره ونشره تحت عنوان: "Un cuaderno morisco del" sigio xviy Las Fueutes de to comedia..

(٢٤٥) ADC, leg. 362, núm. 5142.

(٢٤٦) ADC, leg. 140, núm. 1725.

(٢٤٧) ADC, leg. 257, núm. 3498.

(٢٤٨) ADC, lib. 352.

(٢٤٩) "Un amuleto musulman de origen aragones", p. 318.

(٢٥٠) Sinodo de Guadix, p. 111. حول الأحراز والتمائم، انظر أيضًا: E. Saavedra, *Liter-atura de aljamiada...*, p. 148, y R. Ribera, Superisticiones moriscas, pp. 521-542.

(٢٥١) ADC, leg. 277, núm. 3830.

(٢٥٢) ADC, leg. 246, núm. 3306.

(٢٥٣) ADC, leg. 244, núm. 3267.

(٢٥٤) حول هذا الموضوع، انظر: L. Cardillac, "Morisques et protests...".

(٢٥٥) Pedro de Valencia, *op. cit.,* ff. 18 y 19.

الاستنتاجات

باختصار ، واستنتاجاً لما يمكننا معرفته من خلال وثائق محكمة التفتيش (سواء كانت إحصائيات أو محاضر) حول الجماعة الموريسكية بإقليم كوينكا ، يمكن القول أننا نجد أنفسنا أمام جماعة قليلة الكثافة ومتناثرة فى إقليم شاسع وفى عملية ذوبان صريحة كجماعة. نسى الموريسكيون دينهم وفقدوا ملامحهم الثقافية على الرغم من إرادتهم فى الحفاظ عليها بعد أن تمت عملية تفرقتهم وتشتيتهم فى مجتمع مسيحى معادٍ يمثلون فيه الطبقات الدنيا أو لا يندمجون فيه.

على مدار الفترة التى تم دراستها شاهدنا تدهوراً لثقافة الموريسكيين العربية والإسلامية. رأينا كيف أن بعض مميزات ميراثهم الثقافى مثل اللغة العربية والعلوم الطبية والصيدلانية، وحتى دينهم نفسه، بدأت فى الذوبان وصُبغت بالسحر والخرافات.

وتعد الاعتقادات الدينية دعامة المواجهة الثقافية والاجتماعية مع المسيحيين القدامى، وغالباً ما تفسر على أنها معارضة لاعتقادات المسيحيين (مثل قضية عذرية السيدة مريم). لقد فقدت الشعائر والطقوس مدلولها الحقيقى لتتحول إلى ملامح للتميز الثقافى.

ويصف لايير (Lapeyre) وهاملتون (Hamilton) وبيلار (Vilar) المشكلة الموريسكية بأنها حرب استعمارية ، ويقارنونها على التوالى بوضع سكان البلاد الأصليين فى الجزائر الفرنسية وبالزنوج فى جنوب الولايات المتحدة وبالهنود فى أمريكا الإسبانية.

تعد المشكلة فى أراغون وفالنسيا وغرناطة حتى عام ١٥٧٠ مشكلة استعمارية دون شك. ومع ذلك، فالمشكلة فى قشتالة من نوع آخر بسبب عدم أهمية عدد المدجنين القشتاليين أساساً: سبب المشكلة فى الأساس هو هجرة جسد غريب وغير متوائم بأى وضع، ألا وهم الغرناطيون. فهؤلاء الغرناطيون لم يستطيعوا أبداً الحصول على مكان

فى المجتمع القشتالى. بالإضافة إلى ذلك، فإن عاداتهم وأنماط حياتهم - التى تختلف بشدة مع العادات والأنماط القشتالية - تتصادم مع عادات وأنماط حياة القشتاليين، وغالبًا ما تعزى إلى اختلافات دينية. فالمشكلة فى قشتالة هى مشكلة غرناطية: نزاع بين غرناطيين وقشتاليين بقدر النزاع بين الموريسكيين والمسيحيين.

فى الواقع، يتشابه وضع الغرناطيين فى قشتالة فى أحوال كثيرة مع وضع عمال بلدان البحر المتوسط الفقيرة المهاجرين حاليًا إلى وسط وشمال أوربا. فتتشابه المشكلات التى يمثلونها والنقد الذى يقع عليهم من الطبقات الدنيا فى البلد التى هاجروا إليها مع الانتقادات التى كانت توجه إلى الموريسكيين، فهم يعملون بأجور لا يقبلها العمال المحليين، وهم مقتصدون ، ويُخلِّف طعامهم المطبوخ بالزيت رائحة لا تعجب غير المعتادين عليها، وهم كثيرو النسل، ويسيرون دائمًا فى جماعات، ويحدثون ضوضاء، وهم فقراء... لا يوثق بهم ويُتهمون بالسرقات وإحداث كل أنواع الشغب والاضطراب.

فى الوقت الحالى يأخذ الصراع دلالات عنصرية بينما كان يُبنى منذ أربعة قرون على أسس دينية.

بالإضافة إلى ذلك، فالغرناطيون هم المهزومون فى الحرب الأهلية وينظر إليهم على أنهم أعداء إسبانيا. ولهذا فالصراع كما تظهره محاضر التفتيش بوضوح ليس دينيًا فقط لكنه أيضًا اجتماعى وثقافى وسياسى، و " قومى " : أن يكون " مسلمًا " فهو سلوك ثقافى وسياسى مثله مثل ممارسة بعض الشعائر الدينية. ولهذا فإن الموريسكيين - محل دراستنا - على الرغم من جهلهم بالإسلام، كانوا متشددين فى إسلامهم كالآخرين، وبالتالى، استحقوا اهتمام محكمة التفتيش.

ويتساءل بروديل (Braudel) [(١)] لماذا قررت إسبانيا الاستغناء عن سكانها الموريسكيين المجتهدين فى العمل والغزيرى النسل ؟ فوصل إلى استنتاج أنها قامت بذلك لأن الموريسكى كان "غير قابل للاندماج على الإطلاق". "ليس بسبب كره عنصرى لكن كرهًا فى الحضارة وكرهًا فى الدين". وتفجر كره المسيحيين لهم فى طردهم، مع

(١) Espagnoles et morisques, p. 408.

الاعتراف بأهميتهم ، وهو دليل على أن الموريسكى بعد قرن أو اثنين أو ثلاثة قرون مازال مسلمًا متمسكًا بإسلامه... لقد كان يتجنب الحضارة الغربية ، وهذا هو لب الموضوع".

من المحتمل أن الموريسكى ظهر فى عصره كجسم "غير قابل للاندماج على الإطلاق" وبخاصة، كجسم خطير: طابور خامس قوى وبؤرة استياء وثورات محتملة: كجماعة معارضة. لكن من وجهة نظرنا، طبقًا للوثائق التى تم فحصها، فإنهم كانوا مندمجين. على الرغم من إرادتهم فى أن يظلوا منعزلين، فقد كانت هناك قوى أخرى تُضعف كل ما كان يميزهم. فى الواقع، جاء الطرد فى أعوام ١٦٠٩ - ١٦١٤ لاستئصال عملية التداخل والذوبان السريع لجماعة الموريسكيين، على الأقل فيما يتعلق بقشتالة.

الملحق الوثائقى

١ - يوثى دى لا باثيا . فقيه قرية مولينا المسلم عام ١٤٩٥ (*)

صحيفة الدعوى

" يوثى دى لا باثيا، فقيه قرية مولينا المسلم، حاول حث بعض المسيحيين واستمالتهم للعودة إلى دين المسلمين وملة محمد قائلاً : إنه دين الحق وهو الدين الذى سينجو به الناس ، وإن دين المسيحيين زائف وإذا ما علم المسيحيون بزيف دينهم سيصبحون جميعًا مسلمين. وإنه يعرف بعض علماء مسيحيين تحولوا إلى الإسلام بعد أن عرفوا الزيف الذى كانوا عليه والحق الذى عليه ملة محمد. وقال فى مرات أخرى إن دين اليهود دين صالح وإنه يؤمن به. ويقول فى مرات عديدة ساخرًا من دين يسوع إن المسيحيين يعبدون تماثيل وصلبانًا وإن المسلمين يعبدون الله. وفى مرات أخرى ولكى يستميل المسيحيين بطريقة أفضل إلى ملته كان يدعوهم إلى الطعام والشراب ويرجوهم أن يذهبوا إلى المسجد لسماع خطبه. من هذا يتضح أن المذكور أعلاه كان ومازال مدافعًا ومحرضًا على الإلحاد ، وأنه داع إلى ملة محمد ، وأنه استمال وأوعز إلى كثير من المسيحيين حتى يصبحوا مسلمين ويحافظوا على ملة محمد. وأنه فعل واقترف أشياء أخرى كثيرة لصالحه واحتقارًا لديننا الكاثوليكى المقدس وللدين الإنجيلى الذى نحافظ عليه وتدعوا له الكنيسة الأم المقدسة بروما،و يُعلم عنه ذلك فى بلدة مولينا وفى كل القرى والأماكن التى كان المذكور أعلاه يتواجد بها."

يدافع المتهم عن نفسه مدعيًا أنه لم يقم بشىء سيئ سوى الرد على الشتائم الموجهة إلى محمد ودينه وعلى الكلام الذى كان يقوله البعض من خلال نافذة مسجده بينما كان يخطب. عوقب وحكم عليه بالنفى.

(*) ADC , Leg . 19 mim . 344 .

الاتهام والحكم فى قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد الموريسكى فرانثيسكو دى إسبينوسا (كوينكا عام ٦١-١٥٦٢) (*)

فرانثيسكو دى إسبينوسا مسلم متنصر حديثًا . عُرض أمره علينا نحن أعضاء محكمة التفتيش الخاصة بجرائم الإلحاد التى تقع فى كوينكا وسيغوينثا وضواحيها.

حضر أمامنا كل من ممثل الادعاء السيد سانتوس والمتهم فرانثيسكو دى إسبينوسا، وهو مسلم متنصر حديثًا من أهالى الإقليم .

وبما أن ممثل الادعاء قد حضر وقدَّم اتهامه لفرانثيسكو إسبينوسا المذكور فقال إن المتهم كان مسيحيًا يتمتع بكل الامتيازات التى يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك إذ إنهم يخافون ربنا وأمه المباركة العذراء، لكنه ألحد وسب عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وسب ما قد نصت عليه كنيسة روما وارتكب جريمة الإلحاد هذه ، وتفوّه بكلمات مشينة ومنافية للاحترام ، خاصة ما يلى:

١ - بما أن فرانثيسكو دى إسبينوسا المذكور كان مسلمًا ثم تنصر وعُمِّد وعمره عشرون سنة ، وأنه - بتأثير من طائفة محمد اللعينة التى كان يعتنقها - قال وهو يشتكى زوجته إنه فى أرض المسلمين يتزوج الإنسان خمس أو ست نساء فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى ويقول هذه أحبها وتلك لا أحبها، وأن المذكور كان يوافق عقيدة محمد التى تسمح للإنسان بالتزوج من نساء كثيرات.

٢ - وحيث إن المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا قد تحدث مع أشخاص آخرين عن الحرب التى كان المسيحيون سيخوضونها ضد المسلمين فقال إن هذه الحرب ضد المسلمين لن تفيد شيئًا لأن المسلمين أكثر عددًا من المسيحيين ولأن كل مسيحى يذهب إلى الحرب يقابله خمسة عشر مسلمًا . قال ذلك وهو مسرور يضحك وسعيد.

(*) ADC , Leg . 218 mim . 2670 .

٣ – وحيث إنه قد تربى على عقيدة المسلمين ، وقد أثبت أنه تظهر منه الأخطاء التى تعلمها قبل أن يتم تعميده إذ إنه حين كان يقول إن المسلمين قد انتصروا على المسيحيين كان يقول ذلك وهو سعيد وكان يبدو من كلامه أنه مسرور لذلك وللنكبات التى حلت بالمسيحيين.

٤ – وحيث إنه استناداً إلى عقيدته الباطلة كان يقول – لمن يروى له أن سيدتنا العذراء قد أخرجت أحد الأسرى من أرض المسلمين – ويردد " إنهم يدَّعون أن العذراء حررت الأسرى وهم يطلبون منها أن تخرج لهم كنوزاً لكى يدفعوها لمن يذلونهم"

٥ – وحيث إن فرانثيسكو دى إسبينوسا تحدث عن خسائر المسيحيين فى الحروب ضد المسلمين فقال إنه كان يعلم بهذه الخسائر لأن نبوءات القديس إيسيدرو لا يمكن أن تكذب

٦ – وحيث إنه عندما كان بعض الناس يتحدثون عن شعائر المسلمين توجه المدعو إسبينوسا إلى شخص من أصل مسلم كان يرافقه وقال له" ... ذلك كنا نعرفه". قال ذلك وهو مسرور ، ويُفهم أنه كان يقصد الشعائر الإسلامية.

٧ – وحيث إنه عندما كان فى مكان ما يباع فيه شراب وأحجار وقام شخص باختبار البضاعة بإبرة مرَّ المدعو إسبينوسا وقال لشخص من أصل مسلم كان معه " الآخر" فرد الشخص الثانى " نعم نعم" وقد فهم شخص ثالث رآهما أن ذلك معناه مجوهرات محمد ، لأنه كان قد قرأ ذلك فى تاريخ المسلمين.

٨ – وحيث إن المدعو إسبينوسا عندما كان فى أحد البيوت دخل شخص من أصل مسلم وقال إن المسلمين شرفاء ولم يرد عليه المدعو إسبينوسا بل ارتبك . وقد فهم من رأوه أنه ليس من جيله.

وحيث إن المدعو إسبينوسا عندما كان فى زيارة شخص مريض من أصل مسلم قال له المريض " أهلاً بالمسلم الطيب. لو أن السلطان التركى لديه جنود كثيرون من أمثال هذا المسلم لاستطاع أن يفعل الكثير"، فلم يعترض المدعو إسبينوسا على الكلام الذى وُجِّه إليه.

٩ – وحيث إنه عندما كان يتحدث مع أشخاص قال " لدى قوادتان: الله والخنزير " ، وأنه فى مرة أخرى قال " لدى قوادتان: الله وأبنائى".

١٠ – وحيث إنه كجاحد لنعم الله فإنه قال " ليس لدى الكثير الذى أشكر الله عليه" وأنه رغم أن الله أعطاه أشجار العنب إلا أن أبناءه لا يريدون العمل.

١١ – وحيث إن المدعو إسبينوسا كان موجوداً عندما كان أشخاص يقرأون فى كتاب أشياء عن محمد ودينه اللعين ، وخاصة كيف استطاع محمد أن يتسيد على أراضٍ كثيرة ، وأن إسبينوسا لما سمعهم سُرَّ كثيراً .

١٢ – وحيث إنه عندما كان يتحدث مع أشخاص آخرين روى لهم أشياء عن دين محمد وقدم مدخلاً له وقال – فيما قال – إن المسلمين يسمون العذراء "مريم" وأنه إذا كان الله عظيماً وكريماً فكيف ترك نفسه لكى يصلبه أشخاص دنيئون.

١٣ – وحيث إن إسبينوسا كان يتحدث مع آخرين فقال لهم : لولا محكمة التفتيش هذه لخرج الناس كلهم عن الكاثوليكية.

١٤ – وحيث إن المدعو إسبينوسا عندما كان يتحدث مع آخرين سألوه عما إذا كان للمسلمين صلوات فطلب منهم أن يتركوه ، وأن الوقت ليس مناسباً للحديث عن ذلك ، ولما كرروا السؤال أجابهم " بكلمات عربية غير مفهومة".

١٥ – وحيث إنه قد أهان هذه المحكمة وكذب عليها حين قال تارة إنه لا يعرف شيئاً عن دين محمد وتارة أخرى قال إنه يعرف.

١٦ – وحيث إنه كان من المتواطئين مع الملحدين إذ كان يعرفهم ولا يبلغ عنهم.

١٧ – وحيث إن إسبينوسا فى معرض الحديث عن حروب المسلمين ضد المسيحيين قال إنه سيحين الوقت الذى سيكون السعيد فيه هو من له قريب موريسكى إذ سيتولى المسلمون الحكم فى غرناطة ، وأنه كان هناك مُنجِّم يقول إن الملك المسلم سيدخل غرناطة من الباب الذهبى وسيستولى على كل الأراضى وسيحرق عظام الملكة إيسابيل الكاثوليكية ، وإنه سينثر الرماد فى الهواء . ولما قال شخص آخر " لا أراد الله أن تصلوا إلى ذلك" أجابه إسبينوسا " عندما يأتى المسلمون سيكون لمن له صديق

موريسكى حظ وافر" . قال ذلك بسرور بحيث يفهم من كلامه أنه يفرح لانتصار المسلمين وهزيمة المسيحيين الكاثوليك.

١٨ - وحيث إن إسبينوسا - المتعاطف مع دين محمد - قال إنه لا يغضب ممن يسميه موريسكيًا

١٩ - وحيث إنه لما رمى شخص سهمًا وقال "انظروا، هكذا أرمى المسلمين فى الحرب" ورد عليه شخص قائلاً " أنت مرهق، استدعوا موريسكية فى الرابعة عشرة [فهى أفضل رميًا أو أشد قوة] "فلما سمع إسبينوسا هذا الحوار غضب وسبَّ الأخير قائلاً " هل ربى الموريسكى ابنته لكى يحضروها هنا لتخدم ؟"

ولما كان إسبينوسا قد قال وفعل جرائم أخرى إلحادية ضد عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة - كما سيتضح عند نظر القضية - لذلك فإن ممثل الاتهام يطلب منا أن نأمر بمحاكمة المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا بكل قوة ، وأن نعلن أنه ملحد وأنه متواطئ مع الملحدين ، ولذلك فهو يقع تحت طائلة عقوبة الكفر الأكبر وأن نصادر كل أملاكه وأن نأمر بذلك اعتبارًا من اليوم الذى ارتكب فيه هذه الجرائم ، وأن نعلن أن أبناءه غير مؤهلين لتولى وظائف مدنية أو كنسية أو أية وظيفة عامة أو شرفية وفقًا لقوانين هذه المحكمة ، كما يطلب - بصفة خاصة - تطبيق أحكام القانون بشكلٍ تام.

ولما تُليت على المدعو إسبينوسا مذكرة الاتهام هذه لكى يرد عليها قال إنها صحيحة ، وذكر أنه اشتكى من زوجته فقال " إن فى بلاد المسلمين يتزوج الرجل من خمسة أو ستة نساء فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى ، ويقول الرجل أحب هذه ولا أحب تلك" وأنه لما قال تلك الكلمات كان يعتقد أن الدين الذى يبيح الزواج من نساء كثيرات دين جيد. وذكر أنه قال أيضًا إنه ليس من المفيد الذهاب إلى الحرب ضد المسلمين لأن المسلمين أكثر عددًا من المسيحيين وأن هناك خمسة عشر مسلمًا مقابل كل مسيحى وأنه كان مسرورًا وهو يقول ذلك. وذكر أنه قال أيضًا إن المسيحيين يدعون السيدة مريم لكى تخرج لهم الكنوز. وذكر أنه أثناء الحديث عن خسائر المسيحيين فى الحروب ضد المسلمين قال " كنت أعلم ذلك ؛ إذ إن نبوءات القديس إيسيدرو لا يمكن أن تكون كاذبة ، وهى تقول إنه ستكون هناك حروب". وذكر أنه لا يعرف من اللغة العربية

سوى " الحمد لله رب العالمين" وأنه لا يدرى معناها. وذكر أنه ليس لديه الكثير الذى يشكر الله عليه لأن الله أعطاه أشجار العنب لكن أولاده لا يريدون الذهاب للعمل. وذكر أنه تحدث كثيراً عن دين محمد وأنه قدم مدخلاً له ، وأنه قال إن المسلمين يسمون العذراء "مريم" وأنهم – أى المسلمين – يقولون إذا كان الله عظيمًا وقويًا فكيف سمح لحثالة البشر بأن يصلبوه ، وأن هذا ما كان يردده آباؤه وأجداده. وذكر أنه قال إنه لولا محكمة التفتيش لترك الناس الكاثوليكية.

ولما كنا قد رأينا أن المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا لا يعترف بالحقيقة كاملة فقد أمرنا بإعطائه نسخة من مذكرة الاتهام هذه لعلها تساعده (على التذكر؟) وقد قرأنا اعترافاته والاتهامات التى قدمت ضده وقد أجاب وهو راض أنه يؤكد كل ما اعترف به وينكر الباقى... وقد أعلنّا الشهود وقدمنا صورة للمدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا فاعترف بأنه تحدث مع شخص فسأله : ما هو أفضل ما كان لديك عندما كنتَ تعمل فى نقل البضائع ؟ أجاب إسبينوسا " كانت لدىَّ قوادتان: إحداهما الله الذى لا يرزقه طعامًا لأبنائه والأخرى أبناؤه فهم كثيرون " ، وذكر أنه كان يتحدث مع شخص آخر عن حرب موستغانم فقال له " يجب ألا يفكر المسيحيون فى محاربة المسلمين... فلا يكفى العالم كله لمقاومتهم" وذكر إسبينوسا أنه ليست لديه أقوال أخرى يضيفها وأنه يطلب المغفرة من الله ربنا ويطلب منا أن تكون العقوبة مصحوبة بالرحمة . وقد قال محامى المذكور إنه اعترف وقال الحقيقة وإنه يتمسك بها وينكر أى شىء آخر وإنه ليس لديه ما يضيفه إلى هذه الدعوى.

ولما كانت القضية على هذا النحو ، ولما كنا نرى أن المدعو إسبينوسا لم يعترف بعد بالحقيقة كاملة فيما يتعلق بما ذكره الاتهام وما شهد به عدد كبير من الشهود الذين يرغبون فى خلاص نفوسهم وفى ألا يظل هو حبيس جرائمه... لذلك فقد عدنا إلى تأنيبه وأفهمناه أنه من الضرورى أن يعترف بالحقيقة. وقد تأثر المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا وأبدى رغبة طيبة ، وقال إنه يعترف بأنه كان مسلمًا حتى اليوم ، وأنه كان يعتقد أن الإسلام دين طيب وأنه يُدخل الجنة وأن ذلك كان ما يجول فى صدره. وقال إنه رغم الذهاب مرات كثيرة لسماع الوعظ إلا أنه كان مسلمًا. وقال إن ما ذكره الشهود حق ، وإنه كان يرى أنه سيدخل الجنة باتباع دين محمد كما أن المسيحيين

سيدخلون الجنة باتباع دينهم ، وقال إنه اعتباراً من اليوم سيلعن دين محمد وسيتنصل منه لأنه يفهم أنه دين سيئ ، وأنه يتألم للإهانات التى وجهها إلى ربنا ، وأنه يرجو ربنا أن يغفر له ذنوبه ويطلب منا الرحمة لأنه من الآن فصاعداً يريد أن يعيش ويموت على دين المسيح كمسيحى مخلص... رأينا كل ذلك كرجال قانون وأصحاب ضمائر سليمة وقد وضعنا الرب نصب أعيننا فهو الحكم الحق والعدل.

الحكم

نظرنا فى هذه القضية ورأينا أن ممثل الادعاء قد وجّه اتهامه بشكل جيد ، ورأينا أنه ثبت لدينا نيته الحسنة ، وبناءً عليه نعلن أن المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا كان ملحداً ، ولهذا فقد وقع تحت طائلة الحكم بالكفر الأكبر وتحت طائلة العقوبات الأخرى التى يُعاقَب بها من يرتكب جريمة الإلحاد ومنها مصادرة جميع ممتلكاته ، وهذا ما أمرنا به أن ينفذ اعتباراً من اليوم الذى ارتكب فيه المدعو هذه الجرائم أى منذ ستين عاماً.

لكننا ونحن نريد استعمال الرأفة معه وعدم تطبيق بنود القانون مراعاةً للاعترافات التى صدرت منه أمامنا والتى أبدى فيها الندم على الجرائم التى ارتكبها، وبناء على رغبته فى التحول إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وقوله إنه على استعداد لأى عقوبة نصدرها ضده.

ومادام المدعو فرانثيسكو دى إسبينوسا سيتحول إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة بقلب خالص وبإيمان لا شك فيه. وبما أنه اعترف بالحقيقة كاملة وقد قبلناها منه وقبلنا المصالحة وضمه إلى الكنيسة وإلى المؤمنين المسيحيين ، نأمر بأن تكون عقوبته على جرائمه التى ارتكبها أن يخرج يوم الموكب مع المذنبين الآخرين بملابس صفراء عليها شارة ، وأن يُتلى عليه هذا الحكم وأن يتنازل علناً عن الممارسات التى اعترف أمامنا بها وعن كل مظاهر الإلحاد. بعد إعلانه ذلك نعلن الصفح ونلغى إعلان إلحاده. كما نأمر بسجنه وبأن يرتدى لباس المذنبين فوق أى شىء يرتديه ، وأن يكون حبسه

فى سجن هذه المدينة ، وأن يذهب كل يوم أحد وكل عيد إلى الكنيسة لسماع الوعظ مع المذنبين الآخرين ، وأن يذهب كل يوم سبت فى موكب إلى كنيسة العذراء وأن يصلى خمس مرات ... كما نعلن عدم أهلية المذكور لتولى وظائف كنسية أو مدنية أو عامة أو شرفية ، وعدم أهليته لحمل السلاح ولا ركوب الخيل ولا ارتداء الحرير أو التحلى بالذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة ولا بأى شىء محرم على فاقدى الأهلية طبقًا لقوانين الممالك أو لقوانين محكمة التفتيش.

هذا ما نعلنه ونأمر به بناءً على توقيعنا

صدر فى مدينة كوينكا فى الخامس من شهر يوليو لعام ١٥٦٢

٢ - سيبستيان القواغازى من مواليد أوريا بنهر المنصورة بمملكة غرناطة ، ومقيم بقرية سوكوياموس فى دائرة أوكليس ، عام ١٥٧٤ (*)

صحيفة الدعوى

"--- أولاً المذكور أعلاه، بما أنه كان من جنس وسلالة المسلمين وبسبب حبه لأمة محمد الضارة والملعونة، شارك مع المسلمين الثوار بمملكة غرناطة ومع من قدموا من البربر ، وسار معهم فى الحرب ضد المسيحيين كقائد لبعض الناس من أمته ، وتواجد فى قتال ومناوشات ومعارك قُتل فيها جمع غفير من المسيحيين.

– وأيضًا ضبط المذكور أعلاه وهو يجتهد فى إقناع الكثير من القرى الموريسكية كى تثور معه ومع الآخرين الذين ذهبوا ثائرين إلى مملكة غرناطة المذكورة مُقهَرين أو مقتنعين بما فعلوه لهم ، واستمالوهم إلى رأيهم قائلين لهم أن يذهبوا معهم وسيصبحون مسلمين مثلهم.

– وأيضًا أن المذكور أعلاه ، بثباته على العقيدة المذكورة ، أسدى صنيعًا ومعروفًا ومساعدة فى أسر العديد من رجال الدين المسيحى والمدنيين والرجال والأطفال ، وسلمهم إلى المسلمين وعذبوهم بشدة حيث يعانون كما قد عانوا من عمليات استشهادية قاسية وخطيرة ، وأصبحوا فى خطر أن تفل عزيمتهم فيبتعدوا ويرتدوا عن عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة لكونهم أناسًا ضعافًا ونساءً وأطفالاً لا حول لهم ولا قوة.

– وأيضًا أن المذكور أعلاه بوصفه شخصًا تفوّه باعتقادات خاصة بملة محمد المذكورة ومارسها راغبًا فى أن يصبح معلمًا فى كل الطقوس والشعائر، حاول تعلم القراءة والكتابة بالعربية وتعلمها ، وكان يملك فى حوزته كتبًا عن هذه اللغة وكتبًا فيها العديد من الصلوات وسور المسلمين والطريقة التى يجب اتخاذها للحفاظ على هذا الدين، وتعلمها مع أشخاص آخرين ويُعتقد أنه قام بتعليمها إلى آخرين كى يكونوا مسلمين مثله.

(*) ADC , Leg . 262 mim . 3573 .

– وأيضًا أن المذكور أعلاه بهذا الحب والاعتقاد مرتضيًا أخطاء هذه الملة الملعونة ومعتقدًا أن خلاصه فيها، كان قد توضأ مرات عديدة وصلى على طريقة المسلمين وصام الصيام الذى يقولون عنه صيام رمضان ممتنعًا عن الطعام والشراب حتى دخول الليل وطلوع النجوم ، وأنه صلى صلوات المسلمين وقام بشعائر أخرى للملة المذكورة.

– وأيضًا أن المذكور أعلاه بهذا الحب والاعتقاد، سرًا وخفاءً كان يحمل معه عملةً فضية عليها حروف ورموز باللغة العربية تقول " ley lehe ele ala " التى تعنى بالأعجمية لا إله إلا الله، كما يقولها المسلمون منكرين أن يكون الله واحدًا فى الأصل وثلاثة فى الأشخاص، و لقد جلب هذه العملة لأنه مسلم ولأسباب أخرى ، ولأن المسلمين عادة ما يحملون أشياء مشابهة كهذه، وكان مساعدًا على الشر ومتسترًا على المرتدين لأنه لم يبلغ فى محكمة التفتيش عن الأشخاص المعروف عنهم ردَّتهم، وأنه حنث مرات عديدة فى يمينه لأنه عندما كان يُسأل بعد القسم كان يقول إنه لا يعرف أن يجيب بنعم أو بأى شىء آخر سوى ما اعترف به ، وكان يخفى الحقيقة ، ويُعتقد ويُتوقع أنه ارتكب الكثير من جرائم الإلحاد والردة الأخرى.

يطلب ممثل الادعاء من المحكمة حكمًا بالإعدام ومصادرة لجميع الممتلكات.

اعترافات المتهم

سيبستيان القواغازى "... – قال واعترف أنه كان مسيحيًا حتى ثورة مملكة غرناطة ونهر المنصورة ومحلة أوريا التى ولد بها والتى كان من سكانها. ولقد عينه واختاره قائد الأهالى الذى أتى لبث الثورة فى محلة أوريا قائدًا على أهالى وسكان المحلة المذكورة ، وأنه أرغمه على قبول هذا المنصب قائلاً له إنه رجل شريف ومعتدل ، وتقلد المنصب ، وبينما كان قائدًا فى الثورة قال له شخص لم يسمه ، إنه لمن العيب بمكان أن شخصًا مثله لا يعرف القراءة والكتابة بالعربية، وهكذا بدأ هذا الشخص فى تعليمه القراءة والكتابة بالعربية ، وكان يقول له أن يتعلمها لأنه حينما يأتى مسلمو البربر ويسألونه هل هو مسلم فيستطيع أن يقول أجل ويظهر لهم كيف أنه يعرف القراءة

والكتابة بالعربية ، ولكى يتمكن من تعلمها أعطاه كتابين باللغة العربية وأخذهما وقرأ فيهما ، وكان فى حوزته كتب فيها كيف يصلى ويقول الأدعية...(إلخ.) هذا الشخص علَّمه الوضوء والصلاة وقال له إن ذلك أمر طيب كى يدخل المسلمون الجنة ، وأنه كان يتوضأ فيغسل اليدين والوجه والساعدين والقدمين والعورة الأمامية والخلفية وأجزاء أخرى من الجسد ، ثم بعد ذلك كان يرتدى قميصاً نظيفاً ، وكان يحضر مع باقى المسلمين إلى معبد بورتشينا (Purchena) لإقامة الصلاة ، وكان يصلى رافعاً وخافضاً رأسه قائلاً الله أكبر ، كما كان يقول ويفعل الشخص الذى كان يعلمه ، واعترف أنه كان يصلى مرات معلومة ، وأن مسلمى البربر ممن شاركوا فى هذه الثورة علموه صيام رمضان ، وهو صوم شهر كامل ، وصامه ممتنعاً عن الطعام والشراب فى كل اليوم حتى دخول الليل ، وكان يأكل خبزاً ولحما وما كان يتوفر لديه، على الرغم من أنه كان يفطر بعض الأيام لأنه لم يصم طيلة حياته ... وأيضاً كان يتسحر ، وهو طعام يأكله قبل شروق الشمس ، وبعد انتهاء هذا الصيام يكون الاحتفال الذى يسمونه العيد ولم يقولوا لهم إذا ما كان يجب أن يلهو فى هذا الاحتفال ، وأن مسلماً من البربر قال له أن يؤمن بمحمد كرسول لله ، وأن ربنا يسوع الذى سماه هذا المسلم سيدنا عيسى كان بشراً نبيًا وليس إلهًا وأنه ابن العذراء مريم وأنها ولدته وهى عذراء دون أن تعاشر رجلاً وأن الله نفخ فيها فحملت ، وأن المدعو سيبستيان قال له بعد ذلك، إنه ابن الرب وأن هذا المسلم أراد قتله بسيف هندى وأنه لم يستحسن الشعائر المذكورة ولا ما قاموا بتعليمه إياه ... وإنه كان قائداً فى هذه الحرب وكان تحت إمرته مائة وخمسون رجلاً ، وكان يحمل سيفًا وفى مرات أخرى بندقية وقوساً يرمى به جيداً ، وعثر عليه فى معركة ضد المسيحيين وأنه جعل أماكن كثيرة للمسلمين تثور قسراً ، وكان يقول لهم أن يثوروا ويذهبوا معهم وسيصبحون مسلمين وسيبقون فى دين محمد ، وأنه قتل نحو أربعين على الأقل فى الثورة وأسر ثلاث عشرة امرأة وغلامين ، ودائماً ما كان هو المسئول كما ذكر من قبل على الرغم من أنه لم يقتل منهم أى مسيحى، وأسر أيضاً رئيس دير ألبوكس (Albox) وبعد ذلك عُلم أنهم قد باعوه فى بلاد البربر. وعلى الرغم من أنه كان القائد واعترف بذلك، فقد فعل ما فعل رغماً عنه وخوفاً من أن يقتله المسلمون.

... وقال إنه تذكر أن رجلاً قدم إلى قرية سوكوياموس لبيع شيء ما ، وإنه اشترى منه ولكى يدفع له أعطاه من ريال إلى اثنين وبعدما التفت أعطاه هذا الرجل عملة فضية بحجم الريال البسيط وأخذ هذا الريال ، وبعد أيام قليلة أراد أن يدفعه فى شراء طعام لكنهم لم يقبلوا أخذه قائلين إن هذه العملة لا تصلح فى تلك البلاد وهكذا وضعها فى جيب صرة حتى يأتى أى صائغ ويعطيها له ولم يتذكرها ، وعليه فلم يعترف بها فى اعترافاته ، وإن الصرة التى وضع فيها هذه العملة أخذها وصادرها محضر محكمة التفتيش منه عند القبض عليه ولم ينظر هل هذه العملة كانت عملة للمسلمين ...

"وأنه فى بداية ممارسته لهذه الشعائر كان يشك هل هى نافعة أم ضارة، لكن بما أن هؤلاء الأتراك والمسلمين أقنعوه فقد ظل يمارسها طيلة المدة التى اعترف بها، وخلال هذه المدة ظل مسلمًا قلبًا وقالبًا، و أن عدم اعترافه بما يضمره واعتقاده فى دين المسلمين يرجع إلى أنهم قالوا له إن الملك قد صفح عنهم وأن محكمة التفتيش لن تحقق معهم لأنهم يتمتعون بعفو عام من البابا ، وقال لهم المسيحيون القدامى فى كنيسة سوكوياموس أن يعترفوا بخطاياهم أمام القسيس وسيُغفَر لهم ، وعليه فقد اعترف أمام قسيس هذه الكنيسة وغفر له خطاياه، أيضًا لم يعترف بخطاياه خوفًا من أن يلم به مكروه من جرَّاء اعترافه ، وأن الشيطان سوَّل له ولخوفه من محكمة التفتيش، فحسبما قال بعض الناس من ذوى الخبرة، بما أنه ارتكب أفعالاً كثيرة وأن عنده امرأة وأطفالاً ...

واعترف بأنه مسيحى مخلص وأنه يريد أن يحيا ويموت مسيحيًا ويطلب العفو من ربنا ويطلب منا عقوبة رحيمة. حُكم عليه بالاعتراف بذنوبه الكبيرة ، والتصالح مع محكمة التفتيش ، ومصادرة تامة لممتلكاته ، وعدم ممارسة عاداته إلى الأبد ، وقضاء ست سنوات فى التجديف فى سفن الملك."

النظر فى القضية المرفوعة ضد خوان كوراثون (Juan Coraçon) ناقل بضائع من سكان ديثا. عام ١٥٠٩ - ١٥١١ (*)

"قمنا نحن - قضاة محكمة التفتيش عن جرائم الإلحاد الضار والردة فى مدن وأبرشيات كوينكا وسيغوينثا ودائرة أوكليس والمناطق التابعة لها ، وبتخويل من السلطة البابوية ، وبالتعاون مع أبرشية سيغوينثا المذكورة - بالنظر فى الدعوى المرفوعة والقضية الجنائية المتعلقة أمامنا بطرفين، يمثل الطرف الأول فيها عالم اللاهوت دييغو دى كاستيو سولوراثانو (Diego de Castillo Solorazano)، النائب العمومى بمحكمة التفتيش هذه وممثل الادعاء، ويمثل الطرف الآخر المتهم المدافع : خوان كوراثون ، ناقل بضائع موريسكى من سكان ومواليد قرية ديثا التابعة لأبرشية سيغوينثا المذكورة ، الماثل هنا على اعتبار أن النائب العمومى المذكور مثُل أمامنا وقدم اتهامه الذى قال بالفعل إن تلك هى الطريقة والوسيلة القانونية لتقديم التهمة الجنائية ضد خوان كوراثون المحتجز فى السجون السرية بمحكمة التفتيش هذه ، وقدم إليه كل ما يلزم من حقوق، المتهم المذكور معمَّد ثابت التعميد ومتمتع بكافة الحقوق التى يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك، وعلى الرغم من نشأته بين الكاثوليك وتربيته على عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة إلا أنه استخف بالدين وألحق بنفسه وبسريرته الضرر ، ويعد مثالاً سيئًا لجمهرة الكاثوليك ؛ لأنه ألحد وارتد عن عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وتحول إلى ملة محمد الملعونة التى عليها المسلمون وظل عليها عشرين عامًا وما زال عليها حتى الآن معتقداً أنها الأصلح لخلاصه ، ويصر عليها على الرغم من علمه بأنها مخالفة لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة. وبمجرد أن أتم اثنى عشر ربيعًا علَّمه بعض الأشخاص من أمته الأمور الخاصة بهذه الملة وتحول إليها حفاظًا عليها ، وكان يصوم رمضان شهرًا قمريًا ثلاثين يومًا من كل عام ويصوم ما تبقى من صيام هذه الملة، وكان يتسحر قبل شروق الشمس ويمتنع عن الأكل والشرب فى كل اليوم حتى دخول الليل عندما تظهر النجوم ، وكان يحافظ على الأعياد ويتوضأ ويصلى سور وصلوات

(*) ADC , Leg . 377 mim . 5342 .

هذه الملة ويؤدى بقية شعائرها على أتم وجه. كان يصلى صلاة "الحمد لله" على وجه الخصوص بصحبة هؤلاء الأشخاص وآخرين سواء من قرية ديثا أو من أماكن أخرى مختلفة خلال أسفاره ، حيث كان يتعامل ويتصل بالمسلمين هو وهؤلاء الأشخاص، ولنفس الغرض كان لا يأكل لحم الخنزير ولم يكن يشرب الخمر ولم يفعل ذلك أبدًا ، وكان يأكل اللحم بانتظام فى أيام تحظر فيها الكنيسة أكلها وهو يتمتع بصحة جيدة(*) ويبيح لنفسه ذلك بناءً على ما جاء فى ملة محمد ، ولقد ظل على هذا الأمر ستة عشر عامًا وتأكيدًا على ذلك أنه ذات ليلة فى يوم صيام يحظر فيه تناول اللحم كان يتناول فى العشاء، بأحد البيوت فى قرية ديثا بصحبة بعض المسلمين من أصحاب هذا البيت وبصحبة آخرين كانوا هناك من سكان قرية ديثا المذكورة ومن أماكن أخرى بمملكة أراغون، لحمًا وجبنًا وخبزًا وسجق، وكلهم فى حالة صحية جيدة التزامًا بهذه الملة ، وأن المدعو خوان كوراثون منذ سبع سنوات تقريبًا قام برحلة من قرية ديثا هذه إلى مدينة قلعة هود فى أراغون بصحبة بعض الأشخاص الآخرين من جنسه حيث صاموا كل الأيام التى استغرقتها هذه الرحلة فى الذهاب والإقامة والعودة إلى ديثا، وهو صيام رمضان المطابق لملة محمد المذكورة ، وفعل نفس الشىء أيضًا منذ أربعة أعوام عندما قام برحلة بصحبة مسلم آخر من قرية ديثا فى ذهابه وإيابه إلى قرية تيكار (Tecar) فى مملكة أراغون؛ وحدث أنه منذ سبع سنوات تقريبًا قدم إلى قرية ديثا هذه بعض مسلمى أراغون بحمولتى كمثرى، اتفق معهم المدعو خوان كوراثون على أن يحمل لهم هاتين الحمولتين ، وقبل أن يرحلوا عن ديثا أخرج أحد هؤلاء المسلمين الأراغونيين من أحد أوسقة الكمثرى كتابًا كبيرًا بغلاف من القماش ، وقال للمتهم المذكور ولباقى الحاضرين إنه كان مسلمًا وإن هذا الكتاب كان للملك المسلم سليمان وبه كان يشفى أى مرض ، وإنه ذهب بهذا الكتاب إلى بلد الوليد (Valladolid) لشفاء أحد الأشراف الذى كان مريضًا، وخرج به أحد المسلمين من قرية ديثا المذكورة مستترًا حتى وصل به إلى بعض الأنهار الصغيرة الذى يدعى سوفيل (Cufill) خوفًا من أن يمسك به الحرس، وعند وصوله إلى هذا النهر أخذ منه المدعو خوان كوراثون الكتاب

(*) إشارة إلى أنه لم يكن لديه رخصة فى أكل اللحم فى أيام تحظر فيها الكنيسة ذلك . (المترجم) .

ووضعه فى ظهره تحت معطف كان يلبسه لإخفاء هذا الكتاب، وكذلك أيضًا عندما كان يسير وضعه فى بردعة بغل حتى وصلوا إلى بلد الوليد وأخفاه وستره حتى لا تُعرف الحقيقة، وبعد احتجازه فى السجون السرية اتصل سرًا مع رفقاء السجن من جنسه ممن كانوا معه ، وكان يغمز بعضهم إلى الآخر بألا يفصحوا عن ذلك الأمر واضعين الإصبع على الفم كى لا يفهمهم الرفقاء المسيحيون الذين كانوا معهم، وكان بعضهم يقنع البعض الآخر أن ينفوا الحقيقة بشدة قائلين لبعضهم البعض : لو حدث وأبعدوكم فلا تقولوا شيئًا عن هذا الأمر لأنه شىء يعنينا جميعًا، قائلين ذلك خفية كى لا يفهمهم رفقاؤهم المسيحيون المذكورون، وبعد احتجازه فى هذه السجون مع هؤلاء الأصدقاء من جنســه لم يَحـدُث أن أشــاروا بإشــارة الصليب ، ولم يصلوا أى صــلاة من صلوات المسيحيين ، ولم يصلّوا صلاة الشكر على المائدة ولا على الطعام ، ولم يفعلوا ما يدل على أنهم مسيحيون، بل أظهروا جليًا أنهم مسلمون بحق ؛ حيث إنهم كانوا يغضبون ويتشاجرون مع هؤلاء الرفقاء المسيحيين لأنهم كانوا يصلون صلاة الشكر على المائدة وعلى الأطعمة التى كانوا يأكلونها قائلين لهم: لماذا هذا الآن ؟! ويزجرونهم على هذه الصلاة، وفى كل المرات التى كانوا يأكلون فيها لحمًا كانوا يُصفُّونه من الدم بوضعه فى مــاء حتى يصبح بدون أى لون، أبيض كالثلج، حفاظًا على ملة محمد المذكورة، وأنهم رفضوا أكل الخنزير بل كانوا يظهرون كرههم القاتل له ، وكانوا يتشاجرون مع الرفقاء المسيحيين لأنهم كانوا يحضرونه ويطبخونه ويأكلونه فى حضورهم، وكانوا يتناولون الوجبات بمفردهم حتى لا يضعوه على مائدتهم ، وفى كل مرة كانوا يقلون فيها لحم الخنزير كانوا يبعدون أنوفهم حتى لا يشموا رائحته ، وكانوا يتشاجرون مع هؤلاء الرفقاء المسيحيين الذين كانوا يهددونهم بأنهم سيبلغون عن ذلك، فكانوا يجيبون بأن ذلك لا يهمهم، ليس عندهم خوف ولا حياء، وأنهم كانوا يخرجون قشًا من الفُرش ويشكلون به صلبانًا على الأرض ثم يدهسونها بأرجلهم، وبعد أن تم زجرهم على ذلك قال المتهم والآخرون إنها لم تكن صلبانًا مباركة وعليه يمكن أن يدهسوها ، وأعادوا زجرهم قائلين لهم يكفى أن تكون أشكال صلبان كى لا تدهسوها وتظهروا توقيركم لها، قالوا لهم أن يتركوهم، فإنهم يريدون أن يدهسوها وتشاجروا مع الأشخاص الذين زجروهم. وأنهم أظهروا نيتهم الفاسدة وتشاجروا مع أحد الأشخاص لأنه ضبط وضع الصلبان المعلقة على جدران سجنهم وقالوا له أن يتركها فإنها وضعت بشكل حسن،

وأن نفس الشخص كان قد دهن صليبًا كبيرًا معلقًا على هذه الجدران، فنظر المدعو خوان كوراثون والآخرون من جنسه إلى الصليب فى حضور هذا الشخص، فقال واحد منهم بلا ورع: سترك الشيطان ، وتكلم بما هو مشين عنه مستحسنًا ذلك، وبلا ورع لم يسمع به ولم يُر، تفل عدة مرات على الصليب واضعًا فمه الدنس عليه بتهور مشين. وعندما مات أحد رفقائه من جنسه فى زنزانته قام أحد الرفقاء المسيحيين بوضع صليب مصنوع بشكل جميل من القش فوق جسد الميت، عارضه هو ورفيق موريسكى آخر وأعاقوا وضعه على المتوفى لشدة كرههم لعقيدتنا المقدسة معللين ذلك بقولهم إنه من القش ، وعلم عن أشخاص آخرين كثيرين أنهم مسلمون لاتصاله بهم وتستَّر عليهم وأعاق عمل محكمة التفتيش السديد والحر، مقترفًا عددًا كبيرًا من الأيمان الكاذبة وانتهك حرمة المقدسات، ولم يعترف بأنه مسلم فى الاعترافات المقدسة التى قام بها. كل ذلك بغرض وبقصد ألا تُعرف الحقيقة وأن تظل هذه الجرائم بلا عقوبة.

طلب منا وتوسل أن نعلن أنه صادق فى نيته بعدما تبين أن العلاقة حقيقية ، وأن المدعو خوان كوراثون هو القائم بالجرائم المذكورة وأنه مرتد وتابع لملة محمد وعنيد منكر وناقص الاعتراف بذنوبه وحانث فى يمينه ومساعد على الشر ومتستر على المرتدين، وعليه فقد جلب على نفسه حكمًا بإسقاط عضويته من الكنيسة وفقدان لجميع ممتلكاته منذ اليوم الذى بدأ فيه اقتراف هذه الجرائم ، وتخصص لخزانة وبيت مال مولانا الملك وحارسه القضائى الذى ينوب عنه، وتقوم العدالة والمحكمة المدنية بتطبيق حكم الإعدام فيه باعترافه بأنه جلب على نفسه وعلى أولاده وأحفاده باقى العقوبات وفقدان الأهلية التى تقرها حقوق وقوانين هذه الممالك وإرشادات وأسلوب محكمة التفتيش آمرين بتطبيقها فى شخصه وممتلكاته حتى يكون رادعًا له وعبرة للآخرين، وينفذ ذلك على أكمل وجه تحقيقًا للعدالة. وأدى اليمين القانونية على هذا الاتهام.

و بعدما أُحضر أمامنا المدعو خوان كوراثون من السجون السرية حيث يتم احتجازه، وفى أول جلسة لنا معه، بعدما أدى اليمين وفقًا للقانون: قال إنه من مواليد وسكان قرية ديثا المذكورة بأبرشية سيغوينثا، أجير عمره ما بين الثامنة والعشرين

والثلاثين عامًا، و أنه والآخرين من آبائه وأجداده وباقى أهله كانوا مسيحيين بفضل الله. وبعد سؤاله إذا ما كانوا مسيحيين قدامى أم جددًا ينحدرون من مسلمين، أجاب قائلاً كيف له أن يعرف ذلك، و لم يُستخلص منه أى شىء آخر، ولم يسجن هو ولا أى أحد منهم ولم يحكم على أحدهم بالإعدام ولم يتصالحوا ولم يعاقبوا بأى شكل من قبِل محكمة التفتيش، فقط يتذكر أنه سمع أن خاله خوان فادريكى (Juan Fadrique) كان مسجونًا فى محكمة التفتيش هذه وتمت معاقبته بعقوبة التجديف فى السفن الملكية، وأنه سمع أيضًا أن أباه لويس كوراثون وأمه ماريا دى فادريكى تصالحا مع محكمة التفتيش خلال العفو الذى مُنح للموريسكيين بهذه القرية، و أنه مسيحى معمد ثابت التعميد ويسمع القداس ويعترف بخطاياه أمام القساوسة ويتناول القربان المقدس فى الأوقات التى تأمر بها الكنيسة المقدسة، وبعد سؤاله إذا ما كان يعرف أو يفترض أو يشتبه فى سبب سجنه، قال إنه لا يعرف السبب ولا يتوقعه، وبعد أن تم إنذاره للمرة الأولى، قال إنه لا يتذكر ولا يعرف شيئًا حول تماديه ضد العقيدة الكاثوليكية. وفى إنذار آخر قمنا به معه، و هو الإنذار الثانى بالنسبة له، استند إلى ما قاله من قبل.

وفى جلسة أخرى معه، قال إنه أراد الاعتراف ببعض الأشياء ليبرِّئ ساحته ، وإنه يظن أن سبب سجنه يرجع إلى أنه ظل عشرة أعوام يصوم فى كل عام شهرًا لأن أحد الأشخاص من جنسه قال له إن ذلك أمر واجب، كان يصوم كل النهار دون أن يتناول طعامًا حتى دخول الليل وظهور النجوم، وكانت مدة الصيام ثلاثين يومًا، وهو صيام رمضان ولم يخبره بأنه صيام المسلمين ولا أن ذلك بقصد الحفاظ على ملة محمد، لكن أخبره بوجوب هذا الصوم. وعندما سئل أجاب قائلاً إنه لم يتوضأ ولم يُصلِّ أى صلاة ولم يكن يعرف صلاة ملة محمد ولم يمارس أية شعيرة أخرى لهذه الملة. وعندما سئل عن القصد أو الغاية من صيامه الذى اعترف به، أجاب قائلاً إنه قام به لظنه أن الصوم كافٍ لخلاص روحه، فهكذا أخبره الشخص الذى علمه الصيام. وعند سؤاله أجاب قائلاً إن هذا الصوم من وجهة نظره هو صوم ملة محمد ، وأنه فى الوقت الذى صام فيه أدرك أنه صوم هذه الملة وأنه صام حفاظًا على هذه الملة والتزامًا بها، و هو ما يعنى أنه كان يعرف أنه مخالف لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، وأنه مارس هذا الصوم حال كونه مسيحيًا ضالاً، وأنه يطلب الرحمة. وعند سؤاله أجاب قائلاً إنه فى الوقت الذى بدأ فيه

هذا الصوم منذ عشر سنوات أكثر أو أقل بقليل ترك عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وتحول إلى ملة محمد المذكورة وكان يظن أنه سينجو بها، و مع ذلك كان يعلم أنها تخالف عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، و يطلب الرفق به، وأنه ظل فى هذه الملة وواظب عليها مدة سبع سنوات، وأنه تركها منذ ثلاث سنوات ورجع إلى العقيدة المسيحية وهجر هذه الملة لأنه أدرك أنه يسير فى طريق الضلال دون أن ينبهه أحد إلى ذلك، وأنه كان يعترف أمام القسيس كل هذه السنوات لكنه لم يعترف بأنه مسلم وأنه تحول إلى ملة محمد وأنه فعل ذلك لأن الشيطان خدعه. وعندما قيل له بإلحاح لماذا اعترف وسكت عن ذنوب خطيرة ؟ قال إن الشيطان خدعه وأنه كان خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة مسيحيًا صادقًا معتقدًا بشدة فى أنه سينجو فى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، التى يريد أن يحيا ويموت عليها. وفى مجلس آخر كان لنا معه قال إنه ليس هناك شيء آخر يقوله أكثر مما اعترف به ، وإن كان أهان الله فى شيء فليرسل إليه نارًا تطهره من خطاياه. وفى جلسة التنبيه الثالثة استند إلى كل ما قاله. وبعد صدور التهمة على المدعو خوان كوراثون، أقسم اليمين القانونى بأنه سيجيب بالحق على كل ما يرد فيها وقال إنه مسيحى معمد وثابت التعميد كما قال، وأنه لم يأكل الخنزير أبدًا ولم يشرب الخمر طيلة حياته ، وسبب ذلك أنه لم يعتد على أكل الخنزير ولا شرب الخمر وليس بسبب شعيرة أخرى أو بسبب أى التزام. وأن ما قيل عن الكتاب الذى وضعوه له فى ظهره تحت المعطف الذى كان يلبسه وأنه وضعه بعد ذلك فى بردعة وذهب به إلى بلد الوليد هو كلام حقيقى، لكن الشخص الذى كان يحمله لم يقل أبدًا إنه مسلم ولم يصرح بذلك ولم يقل بأنه يشفى بهذا الكتاب أى نوع من الأمراض ولا أنه ذاهب لعلاج الشخص الذى يتحدثون عنه، وأن إلقاءه اللحم فى الماء حقيقى لكنه لم يفعل ذلك لأنه شعيرة لكن كى ينظفه من الأشياء العالقة به، وكذلك أيضًا حقيقى أن آباءه وأجداده كانوا من نسل المسلمين. وعند سؤاله إذا ما كانوا من نسل المسلمين فلماذا أراد إخفاء ذلك فى أول جلسة عقدت له، قال إنه يجب أن يُنظر إلى قصده، متظاهرًا بالجهل، وأنه أنكر بقية ما يحتوى عليه هذا الاتهام. أمرنا بإعطائه نسخة من محضر الاتهام وتصريحًا حتى يتسنى له استشارة أحد محاميى محكمة التفتيش هذه فى قضيته، وحسبما يرى يدافع بما رآه مناسبًا. وبعد ما قام المحامى بالدفاع

استنتج من المادة أن القانون فى صالحه ، وأرسلنا نسخة من المادة إلى النائب العام الذى أثبت ما قاله وقبل اعترافات المدعو خوان كوراثون، وانتهى إلى إثبات التهمة، وبعد نظرنا ننهى القضية ونستقبل الطرفين لإثبات حججهما ويتم إخبارهما بذلك، وطلب النائب العام أن يُعرض الشهود وفقًا للقانون، وبعد إقرار الشهود، أمرنا بإعلان مواقفهم طبقًا لأسلوب محكمة التفتيش، وبعد أن أجاب المدعو خوان كوراثون بعد القسم على هؤلاء الشهود، استند إلى ما قاله، وسنرسل نسخة من رده ونسخة من اعترافات الشهود مع تصريح إلى محاميه حتى يستشيره فى الأمر. وبعدما قام بذلك وبموافقته ورأيه برهن على إنصافه وتبرئته ، وعليه فالقضية منتهية. بعد ذلك، بعد أن عاتبناه برأفة ، وبعد أن تمت الإجراءات القانونية الثلاثة التى يجب أن تتم وفقًا للقانون، قال إنه اغتسل للوضوء والصلاة، وبعدما سئل كيف كان يتوضأ، قال إنه كان يتعرى تمامًا وكان يغسل يديه أولاً قائلاً: أغسل يدىَّ حتى ينجيهما الله من نار جهنم، ثم الفم قائلاً فلينعم الله عليه بتذوق الأشياء الطيبة فى الجنة، ثم القدمين حتى يوفقهما الله فى اجتياز جسر الصراط وأن يجعله سهلاً مستويًا، ثم العورات كى ينجيها الله من نار جهنم ، وكان يقول نفس الشىء عند غسل باقى أعضاء الجسم، ثم يجفف نفسه ويرتدى قميصًا نظيفًا، ولقد كان مضللاً عندما قال إنه كان يؤدى الصلاة ؛ حيث إنه لم يكن يعرف كيف يؤديها ولو كان يعرف ذلك لقاله، و أنه كان يتوضأ عندما كان يصوم رمضان لمدة ثمانية أو خمسة أيام، يعنى أنه ظل على هذا الأمر سبعة أعوام التى اعترف بها، وأن الذى علمه الوضوء هو نفس الشخص الذى علمه الصوم ، ولقد صام التزامًا بملة محمد المذكورة مؤمنًا أن نجاته تتحقق فيها، على الرغم من علمه أنها تخالف العقيدة الكاثوليكية ، وأن ذلك حقيقى واعترف بأنه سافر إلى قلعة هود فى صحبة بعض المسلمين من أهالى ديثا، و كان ذلك فى وقت صيام رمضان فصاموا الثلاثة أيام التى استغرقها السفر دون أن يتناولوا طعامًا أو شرابًا فى كل النهار ، واعترف جميعهم بأن صيامهم كان بغرض الحفاظ على ملة محمد، و بعد سؤاله هل كان يتسحر فى هذه الأيام أجاب قائلاً إنه لم يكن يدرى ما السحور ، لكنهم قبل شروق الشمس كانوا يأكلون ما توفر لديهم وظلوا على ذلك طوال المدة التى صاموها، و بعدما قيل له : لماذا لم تعترف بذلك من قبل ؟ أجاب بأن الشيطان أوقع به فى شراكه. وبعد الانتهاء من القضية تمامًا مما يمكن من الرؤية وإصدار حكم، و بعد الاتفاق والمداولة مع أهل الخبرة والعلم العدول...

نحكم ونقر ونعلن، طبقًا للمواد القضائية ونظرًا لقيمة هذا المحضر الذى قام فيه النائب العام بإثبات اتهامه ودعوته سواء عن طريق الشهود أو باعتراف المدعو خوان كوراثون أن تهمته ثابتة ، وعليه فمن الواجب أن نعلن أن المدعو خوان كوراثون ملحد ومرتد ومسلم ومساعد على الشر ومتستر على الملحدين وأنه تحول إلى ملة محمد ... لاعتقاده بنجاته فيها ، وعليه فقد جلب على نفسه حكمًا بإسقاط العضوية من الكنيسة وسقط تحت طائلة كل العقوبات وفقد أهليته، التى يسقط فيها الملحدون ويجلبونها على أنفسهم ويرتكبون هذه الجرائم فى حق المسيحية، مع مصادرة وفقدان جميع ممتلكاته التى تخصص لخزانة وبيت مال جلالة الملك وإلى من ينوب عنه منذ اليوم الذى بدأ فيه بارتكاب هذه الجرائم التى نحتفظ باعترافه بها حيث يمكننا الحكم عليه بالعقوبات القانونية المقررة ضد هذه الأعمال الإلحادية، لكن نظرًا لأن المدعو خوان كوراثون أظهر لنا فى الاعترافات علامات ندم وتوبة راجيًا الغفران من الله ربنا عن ذنوبه ويرجو منا عقابًا رحيمًا مؤكدًا أنه من الآن فصاعدًا سيحيا وسيموت على عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة ، وأنه مستعد لتقبل أى عقوبة تصدر منا ضده ، وأنه سيقلع عن هذه الخطايا وسيمتثل لباقى ما أمرناه به، و على اعتبار أن الله لا يريد الموت للمذنب بل الإقلاع عن الذنوب والحياة، فإذا كان الأمر هكذا فعلى المدعو خوان كوراثون أن يتحول إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة بقلب صافٍ وإيمان ليس ظاهريًا وأن يعترف إجمالاً بالحقيقة ولا يخفى عن نفسه ولا عن أى شخص آخر حيًا كان أم ميتًا أى شىء، و رغبة فى استخدام الرأفة معه فنقبل بتصالحه مع محكمة التفتيش ونأمر – عقابًا له على ما فعله – أن يخرج اليوم – وهو يوم النطق بهذا الحكم – إلى كنيسة سان بطرس بهذه المدينة، مع باقى المحكوم عليهم عارى الجسد بلا إزار ولا عمامة وعليه زى السجن الأصفر ذى الصليبين الملونين وفى يده شمعة ويُقرأ عليه حكمنا هذا وهناك على الملأ يُقرُّ بذنوبه التى اعترف بها أمامنا ، وبعد هذا الإقرار أمرنا بتبرئة المدعو خوان كوراثون من أى حكم يتعلق بإسقاط عضويته من الكنيسة الذى وقع فيه وجلبه على نفسه بسبب ما ورد ذكره أعلاه، و نجمع شمله ونضمه إلى رعية الكنيسة الكاثوليكية المقدسة واتحادها ، ونسمح له بتناول القربان المقدس الذى يقوم به المسيحيون الكاثوليك

الأوفياء بهذه الكنيسة ، وحكمنا عليه بالسجن المؤبد وارتداء زىٍّ ثابت إلى الأبد ، وأن يصون زنزانته بسجن هذه المدينة (و تحفظ ملابسه فى حجز هذا السجن) وأن يخدم فى التجديف بسفن جلالة الملك بدون أجر خلال الثلاث سنوات الأولى، وعندما يُسلَّم فى السفن ينزع عنه زى العقوبة على سطح الماء ويرسل لسماع القداس الأكبر ، وفى ذلك اليوم يظل فى هذه الكنيسة فى هيئة معاقب حسبما ورد وفى يده شمعة مشتعلة ، ولا يهابن إلا من الرهبان القديسين حتى يتناول القسيس القربان المقدس عند إقامة القداس وبعد انتهاء القداس يقدم الشمعة إلى القسيس، وعليه أن يذهب مع باقى المحكوم عليهم كل أيام الآحاد والأعياد الدينية لسماع القداس الأكبر والخطب الدينية التى تعقدها كنيسة هذه المدينة ، وأن يذهب أيام السبت فى أعياد القديسين إلى كنيسة السيدة ماريا دى لا بوينتى (Nuestra Señora de la Puente) حيث يصلى خمس مرات راكعًا ، وبورع شديد ، الصلاة الربانية مع الصلاة على مريم وصلاة الإيمان ، وأن يعترف فى أعياد الفصح الثلاثة من كل عام ما بقى من عمره، وأن يستلم القربان المقدس ويقوم به على خير وجه. ويُعلَن أن المدعو خوان كوراثون فاقد الأهلية ونُفقده الأهلية حتى لا يتمكن من الحصول على مناصب رفيعة ومنافع ولا وظائف كنيسة أو دنيوية عامة أو شرفية ، ولا يرتدى ذهبًا ولا فضة ولا لؤلؤًا ولا أحجارًا كريمة ولا حريرًا ولا صوفًا ولا الجوخ الناعم ، ولا يركب الخيل ولا يحمل السلاح ولا يمارس ولا يستخدم الأشياء الأخرى التى – طبقًا للقانون العام بهذه الممالك وحسب إرشادات محكمة التفتيش – تحظر على أمثاله من فاقدى الأهلية. وعليه نأمر بأن تنفذ العقوبة هكذا وهى عقوبة من يصر على الخطأ ويسقط فى الإلحاد للمرة الثانية . وهذا هو حكمنا النهائى الذى حكمنا به، وهو الذى ننطق به ونأمر بكتابته عنهم.

٣ - ملخص ومقتطفات من محضر دييغو دياث (Diego Diaz) من مواليد الكامبو دى كالاترابا (El Campo de Calatrava) ومن سكان بيلمونتى عام ١٦٣٣ (*)

مَثُل دييغو دياث أمام محكمة كوينكا بعد أن اتهمه كل من خادمته القديمة وأنطونيو مالو (Antoño Malo) وزوجته وشاهد رابع بما يلى:

– عدم إضافة لحم الخنزير أو دهنه إلى طعامه، بل كان يطبخ بالزيت؛

– يتناول اللحم فى صوم الأربعين وفى أيام الجمع دون أن تقتضى صحتهم ذلك؛

– عدم الذهاب إلى القداس وعدم تعليم أبنائه الصلوات؛

– يغتسل ويغير ثوبه أيام الجمع و"ينام وهو عريان"؛

– يستضيف فى فندقه ناقلى بضائع موريسكيين من وادى الريكوتى (El Ricote).

"وتعلم هذه الشاهدة أن المدعو دييغو دياث كان يستضيف فى بيته موريسكيين كثيرين من وادى الريكوتى ، ودخل هو وزوجته فى حجرته مع باقى الموريسكيين وتكلموا العربية التى لم تفهمها هذه الشاهدة وأغلقوا عليهم باب الحجرة ما يزيد عن ثلاث أو أربع ساعات."

سُئِل دييغو دياث أمام المحكمة إذا ما كان له أعداء، فذكر خادمة قديمة كانت عنده ولقد صرفها من الخدمة لأنها كانت تسكر، و أنطونيو مالو وزوجته، أصحاب فندق مثله ومنافسين له. يدفع عن نفسه التهم (فيقول، على سبيل المثال، إنه لم يكن يتكلم العربية مع من كان يستضيفهم فى بيته، بل كان يتحدث اللغة الفالنسية، إذ إنه عاش فترة طويلة فى تلك البلاد وكان يتكلم لغتها وله أصدقاء هناك) وخلال عدة جلسات عقدت معه قصَّ ما وقع له فى حياته.

(*) ADC , Leg . 437 mim 6169 .

نشـأ دييغو دياث فى دايمييل (Daimiel) بقرى كالاترابا الخمس. (ينتهى نسبه إلى الموريسكيين القدامى الذين أقاموا بقشتالة ما يربو على ثلاثمائة سنة حيث قدموا على قشتالة لخدمة ملوكها، وبعد طرد الغرناطيين أرادوا طردهم وبالفعل طردوهم، ثم عادوا وعاشوا واستقروا بتلك القرى) .

عند الطرد كان دييغو يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، و حتى هذا الحين كان يعمل فلاحًا. "ثم خرج، عند الطرد فى ١٦٠٩، من مملكة قشتالة ودخل مملكة فرنسا فى بايونا (Bayona) وسان خوان دى لوث (San Juan de Luz) . أقام هناك حوالى خمسة عشر يومًا مع كثيرين مطلوب طردهم." عاد دييغو من فرنسا إلى دايمييل، لكنهم قبضوا عليه هناك ، وبعد أن تم احتجازه شهرين، حملوه مع موريسكيين آخرين إلى قرطاجنة (Cartagena) حيث أركبوهم سفنًا اتجهت إلى الجزائر. يحكى دييغو عن إقامته بهذه المدينة ويعترف بأنه مختون.

"أنزلوهم بالقرب من الجزائر وقدم أتراك هذه المدينة وحملوهم إليها وزجُّوا بهم فى الترسانات ، وهى مؤسسات ملكية كبيرة حيث توجد الأسلحة وقذائف المدفعية ، وكشفوا على كل الذكور هناك وختَّنوهم." قام الحلاقون بختنهم واعتنوا بتطبيبهم وتمريضهم ، ثم أنعم عليهم الأتراك بطعام فاخر،" وضع الطعام الذى أنعموا به عليهم على الأرض على حصيرة من الأسَل وضعت عليها بعض المفارش". بعد ذلك مباشرة، صنعوا له "رداءً إسلاميًا" من معطف كان يرتديه.

ذهب دييغو "للعمل فى السفن واستخراج حجارة لبناء رصيف فى الميناء". كانوا يدفعون له ريالاً ونصف ، وكان يسير فى صحبة موريسكيين من طليطلة ومن مملكة غرناطة وأيضًا مع مسيحيين. ذات مرة اعترف لقسيس أسير بخطاياه متظاهرًا بأنهما يلعبان الورق بقصد المواراة. ولقد ظل على دين المسيحيين دون أن يخبر أحدًا بذلك ، ولم يدخل أكثر من مرة واحدة إلى الجامع الكبير بالجزائر، فى وقت غير وقت الصلاة، إذ أنه كان يشعر بفضول كى يرى كيف هو الجامع.

يحكى الأشياء التى صدمته من عادات الأتراك وكيف أن تلك العادات نزعت منه الرغبة فى الانتساب إلى دين محمد لو أنه فكر فى ذلك ذات مرة. يقول إنهم يفعلون كل

شيء على العكس من المسيحيين: يرفعون رداءهم عندما يتبولون وينزلون سراويلهم مثل النساء، "يمشون في نعال بلا عروة وتبدو كل الأشياء على العكس من إسبانيا، وتسير النساء مستترات الوجه حيث لا يمكن رؤيتهن"، يأكلون وهم جلوس على الأرض ... لكن ما يصدمه بشدة، على وجه الخصوص، هو أنهم "يشترون غلمانًا صقالبة لكي يلوطوا بهم، فلك أن تتخيل يا سيادة القاضي هذا الفُحش"، "يوجد في الجزائر أكثر من ستة آلاف غرناطي مسيحي لكن موريسكيي أراغون وفالنسيا لم يكونوا مسيحيين أبداً؛ ولو أن أحد الغرناطيين بالجزائر عنده ولد فإنه لا يأمن أن يتركه بمفرده حتى يبلغ عشرين عاماً خوفًا من أن ينتزعه منه مسلمو الجزائر ويفعلوا معه الفحش الذى ورد ذكره"

وبعد بضعة أشهر في الجزائر، ركب دييغو في سفينة صيادين، بينهم جمع غفير من موريسكيي أراغون، وذات يوم عندما رأى سواحل إسبانيا قريبة ألقى بنفسه في الماء ووصل إلى طرطوش (Tortosa) سابحًا. ومن هناك انتقل إلى سرقسطة وسار إلى فرنسا للبحث عن والده أو أحد إخوته. لم يعثر على أى أحد (بعضهم مات والبعض الآخر عاد إلى إسبانيا) ذهب حتى أبينيون (Aviñón) وعاد إلى إسبانيا. عاش في فالنسيا لفترة، حيث تعلم مهنة الجزارة، التى مارسها بعد ذلك في أورويلا (Orihuela) ومانثنارس (Manzanares) و موتا ديل كويربو وبيلمونتي التي كان يوجد بها فندقه عندما تم القبض عليه.

يقول في دفاعه إنه لو لم يكن مسيحيًا مخلصًا ما كان قد رجع إلى إسبانيا مرتين بعد أن تم طرده منها، "و أنه لو أراد الحفاظ على ملة محمد لظل في الجزائر حيث إنها بلاد تتوفر فيها كل الأشياء".

النقطة الأساسية التى تمت مناقشتها على مدار المحضر هي : هل كان الختان إراديًا أم لا ؟ وحتى في حالة لو كان بالإكراه؛ فهذا يقتضي أنه ارتد، فلقد كان بوسعه أن يختار الموت. من جانب آخر، لا يعتقد قضاة محكمة التفتيش أن المسلمين يكرهون أحدًا على اعتناق عقيدتهم ولا يفرضون الختان بطريقة فيها إكراه.

قال ممثل الادعاء : يبدو لى - بعد النظر فى محضر دييغو دياث - أن المحضر لم يكتمل بصفة نهائية: لعدم أخذ شهادة ثلاثة من الشهود الجوهريين ألا وهم أنطونيو مالو وماريا دى لاغونا، زوجته، و يقول مفوض محكمة التفتيش إنهما لن يحضرا للشهادة حيث لا يعلم لهما مكان ، ويكفى استجواب شخص واحد فقط معتبر الأهلية فى بيلمونتى، فلا أحد يعرف عنهما أكثر من كونهما أصحاب فندق، و يعمل الشخص المستجوب محاميًا وقاضيًا مختصًا بالجنايات فى الأرياف؛ يجب أن يستعلم عن أصحاب الفنادق الآخرين وعن جيران وأصدقاء الشاهدين الغائبين ، فليس من المعقول أن اثنين متزوجين اختفيا تمامًا.

(يجرى نفس الشىء مع ماريا إيرنانديث، الشاهد الثالث، فلقد كانت على علاقة بالشاهدين السابقين وتعمل لديهما)

و عندما يتم استجواب هؤلاء الشهود ، أقول - على افتراض حقيقة أن هذا المتهم من جنس المسلمين وينحدر من نسل أناس يعتقد أنهم ظلوا محافظين بوجه عام على ملة محمد ولهذا تم طردهم من إسبانيا- يوجد ضده خمسة شهود يقولون بأنهم رأوه يأكل لحمًا فى صوم الأربعين وفى أيام أخرى محظورة وبخاصة فى صوم أربعين عام ١٦٣٢ ، حيث كان يأكل اللحم مع سمك التونة والجبن وأشياء أخرى ضارة بالصحة.

بغرض إبطال هذه التهمة قال كثير من الشهود الذين طلبهم دييغو دياث للشهادة إنه إذا كان يأكل اللحم فذلك يرجع إلى وعكات صحية ألمَّت به وكان يأكلها بتصريح من الطبيب، لكن بما أن أقوال الشهود انحصرت فى أن سبب الأكل صحى فإن لم يقل الطبيب بأن ذلك هو السبب وأنه رخص له به، فلا أهمية لشهادة ألف شاهد يقولون بذلك. يقول الدكتور باثكيث (Vázquez) الطبيب ، إنه أعطاه تصريحًا فى بعض الأحيان كى يأكل اللحم؛ لكنه قال بنفسه في المحضر أمام القاضى الكنسى ، وبعد ذلك أمام مفوض محكمة التفتيش ، إنه لم يعطه تصريحًا فى صوم أربعين عام ١٦٣٢ وأن التصريح الذى أعطاه له فى بعض الأحيان لا يعفيه إلى الأبد. وجَرَّح دييغو دياث اثنين من الشهود الأربعة ووصفهم بأنهم أعداء له وهم أنطونيو مالو وزوجته،

ويمكن تصديق العداء حيث إن كل واحد منهما صاحب فندق وجار للآخر؛ وفى الأوساط الوضيعة يُحدث ذلك شعوراً ورغبة فى طرد الآخر من المكان. ولم يثبت لدىَّ باقى أسباب التجريح الذى يطعن به الشهود الأربعة بأنهم لصوص سكِّيرون، على الرغم من أن الشهود يقولون بوجه عام إنهم لصوص، لكن لم يروهم سكارى حيث يجب أن يظهر عليهم ذلك، فالسكر يُعرف من التصرفات ولا يُرى بالعين، أما عن قضايا الاعتقاد فلا يقبل أى تجريح آخر ضد الشهود، بل يقبل فقط الطعن الذى يقضى بالعداوة.

ثمة اتهام آخر وهو عدم سماع قداس فى الأعياد الدينية ، وتُرفض هذه التهمة لعدم ثبوتها لدينا، فلا يوجد إلا شاهد واحد فقط يقول بذلك، وكلامه ليس قاطعًا، بل هناك من يقول من مجموع الشهود إنه رآه يسمع القداس وثمة عدد كبير من الشهود الذين طلبهم للشهادة يقولون بذلك.

هناك اتهام آخر وهو عدم أكل لحم الخنزير، عن هذا الأمر تقول خادمة كانت تعمل معه منذ سبعة أشهر إنها لم تره يأكل أو يضيف إلى طعامه لحم خنزير، على الرغم من ذلك فلو كان هناك شاهد آخر لثبتت التهمة ولعُدَّ دليلاً قاطعًا إذ أنه من سلالة المسلمين، لكن لا يوجد إلا شاهد واحد كما ذكرت ولم تثبت لدىَّ هذه التهمة ولا علاقة لذلك بقضية تجريحها بالسكر، إلا أنه فى طريقة إدلائها بالشهادة تبدو وهى تتكلم ببعض الانفعال ضدهما ، ولأنها تقول إنها لم ترهما أبداً يُعلِّمان أبناءهما الصلوات لكن تم التحقق من أن بنتًا لهما عمرها ستة أعوام تعرف الصلوات ، ومن المعتقد أن أبويها علَّماها إياها، أيضًا هناك الكثير من الشهود الذين طلبهم للشهادة يقولون بأنهم رأوه يأكل لحم خنزير؛ وهكذا لا تثبت لدىَّ هذه التهمة.

اتهام آخر يبدو لأول وهلة أنه اتهام ثابت ألا وهو ارتداؤه هو وأهل بيته أفضل الثياب وأنظفها أيام الجمع، لكن على اعتبار أن هذا الرجل يعمل جزاراً فإن يوم الجمعة هو يوم عطلته الذى يرتدى فيه الثياب النظيفة. فقط يظل هناك شك واحد، لا يتعلق بتغيير ثيابه أيام الجمع، بل بالآخرين من أهل بيته، لكن لا يشهد بذلك إلا شاهد واحد فقط وهى الخادمة المذكورة آنفًا.

إن الاتهام الوحيد القوى ضده هو ما اعترف به، فبعد اطِّلاع الخبراء تم التحقق من أنه مُختَّن ، والختان هو الشعيرة الأساسية عند المسلمين ، وأنَّهم ختنوه فى الجزائر عندما وصل إلى هناك مع موريسكيين آخرين عند الطرد ، وعلى الرغم من أنه يقول إن ختانه تم ضد إرادته إلا أنه من الواضح أن الأمر عكس ذلك، حيث إن المسلمين لا يُكرهون أحداً على اعتناق دينهم ولا يختنون من لا يقبل ذلك بالإكراه. وهكذا ليس لدىَّ شك أنه هو وباقى المختونين ارتدوا عن دين يسوع أو قالوا بأنهم لم يكونوا مسيحيين أبداً ، ويقال فى ارتدائه لزى المسلمين ما قيل عن الختان. وتعتقد ملة محمد فى التردد على المساجد، ويقولون إن المسلمين لا يسمحون لأصحاب أى عقيدة أخرى بالدخول إليها، ولقد اعترف أنه دخل مسجداً فى احتفال عظيم. واعترف أيضًا أنهم صنعوا له ثوبًا إسلاميًا من معطف كان يرتديه ، وعلى الرغم من أنه يوحى بأن ذلك حدث رغمًا عنه إلا أنه لا يعتقد فى ذلك بأى شكل ، وثبتت ردته لأنه تاب من هذا الأمر، أو أن الأكثر تأكيداً هو اعتقاده هو والعامة أن الذهاب إلى روما لمغفرة الذنوب يعفى من العقوبة فاتجه إلى روما وعند وصوله إلى أبنيون - التى كان بها وفد كنسى يقبل الاعتراف - واعترف هناك وغفروا له عرفيًا ، وقدم شهادة عن هذا الأمر من القسيس الذى اعترف إليه بتاريخ ١٦١٨/٧/١٢ ، كل ذلك يدل على أن هذا إن كان كاثوليكيًا لوقت معين فإنه ارتد عندما كان فى الجزائر.

يلاحظ أن الشهود الذين قدمهم أو عينهم للشهادة يتكلمون فى صالحه، على الرغم من أنهم لا يقولون شيئًا يزيل الشك أو يقلله، فهم يتكلمون بجرأة وانفعال فى صالحه لدرجة أن أحدهم قال إنه رآه لمرات عديدة يخصص ساعات لتعليم أولاده الصلوات على الرغم من أنه رجل لا يعرف القراءة. يقول آخرون إنهم رأوه يرتدى أثواباً نظيفة أيام الآحاد وإنهم رأوه وقد ارتداها لتوه، على الرغم من أنه شىء لو لم يره الخدام فلن ينتبه أحد إليه، و من مجموع الشهود قال طبيب جراح إن هؤلاء لم يخبروه بأن بهم أى علل صحية ولا يعرف أن بهم عللاً كى يأكلوا اللحم.

و يقول شاهد قدموه هم أن العلل التى بهم واضحة، حيث إنه رآها ، ولذلك يمكنه أكل اللحم وضميره مستريح، وأنه فى أحيان أخرى تم جلد هذين الشاهدين مائتى جلدة، جلدوا هذا الطبيب الجرَّاح والشاهد الذى قال إنه رآه يخصص بعض الساعات ... (و يوجد شهود آخرين يقولون أشياء أخرى) غير متوافقة وفيها جرأة مثل هذه.

ما يقولونه فى صالحه هو أنه يتصدق كثيراً ويفعل أشياء تدل على أنه رجل صالح ، وهى أشياء يعتبرها المسلمون والملحدون واليهود أعمالاً صالحة. لكن هناك نوع من الصدقة خاص بالمسيحيين، يقول بعض الشهود إنه يتصدق بتوزيع مأكولات ونقود على القداس، و هذا ليس إلا من باب التظاهر لأنه أقلع عن هذا الأمر فى الجزائر، فضلاً عن ذلك يبدو لى أنه يجب وضعه تحت طائلة التعذيب وأطلب بذلك تصريحًا.

ألونصو دى باييخو

"كذلك أيضًا أقول بأن الاعتراف بالخطايا الذى يقول بأنه أدلى به فى أبينون كان يعد سبعة أو ثمانية أشهر من خروجه من الجزائر، و إذا ما كان اختتن وأقر بملة محمد خوفًا، لم يكن لينتظر وقتًا طويلاً للاعتراف بخطاياه والتوبة منها".

"فى العشرين من شهر ديسمبر عام ألف وستمائة وثلاثة وثلاثين، فى مجلس محكمة التفتيش بمدينة كوينكا وبحضور السادة قضاة محكمة التفتيش السيد سيبستيان دى فرياس (Sebastián de Frias) والسيد إنريكى دى بيرالتا إى كارديناس (Enrique de Piralta y Cardenas) والسيد رومان رودريغيث دى مونروى (Roman Rodriguez de Monrroy) أمروا بإحضار دييغو دياث من سجنه إلى مجلس المحكمة، وبعد أن تم إحضاره أخطروه بما أبرموه فى قضيته ، وعليه أن يعترف لتبرئة ساحته ووفاء باليمين الذى عقده على نفسه، دون أن يلحق ذلك ضرراً بقضيته. قال بأنه ليس هناك أكثر مما قال.

سُئل أنه اعترف بختانه مع موريسكيين آخرين من إسبانيا بعد وصوله إلى الجزائر، و أنه لم يسمح بهذا الفعل عن طواعية لأنه ظل دائمًا على مسيحيته و لكى لا يفتضح أمره اعترف بخطاياه أمام قسيس أسير، لهذا عليه أن يخبرنا فى أى مكان تم هذا الاعتراف؟ وما الذى اعترف به للقسيس وهل اعترف له بخطيئة الختان على وجه الخصوص؟.

قال إنه لا يتذكر بأى شكل الوقت أو العام الذى حدث فيه الطرد، إلا أنه يعتقد أن ذلك حدث بعد مرور عامين من خروج الموريسكيين الغرناطيين من إسبانيا.

أخذوه إلى بيوبيا (Veobia) فى المرة الأولى وظل وقتًا قصيرًا فى سان خوان دى لوث على الرغم من أنه لا يتذكر طول المدة، ومن هناك عاد إلى إسبانيا وقبضوا عليه فى بيا دى أورو مع فرانثيسكو مورينو (Francisco Moreno)، وهو من مواليد دايميل وميت حاليًا، واعتقلهما قاضى لا بيمينتا (La Pimienta) وسلَّمَهُما إلى القضاء المدنى وتم احتجازهما ثلاثة أشهر وبعدها سلموهما مرة أخرى إلى السلطات فى بيوبيا ... ومن هناك ذهب إلى سان خوان دى لوث حيث يوجد والده وظل هناك حوالى ستة أشهر ، وبعد هذه الفترة الزمنية عاد إلى إسبانيا وقدم إلى مدريد وعاد إلى دايميل وكان على اتصال بمخبر محكمة التفتيش الذى يدعى أوروثكو (Orozco) و ظل معه حوالى ثمانية أو عشرة شهور ، واعتقله قاضى المحكمة ماديرا (Madera) فى القرية المذكورة مع آخرين كثيرين كانوا مساجين عنده وأعادهم إلى قرطاجنة حيث ظلوا هناك عدة أيام حتى أحضر القاضى كابريرا مجموعة أخرى من الموريسكيين ووضعوهم مع الذين اعتقلهم القاضى ماديرا فى سفينة وأجبروهم على النزول فى شاطئ سورخيل (Sorjel) الذى يبعد ثلاثة أو أربعة فراسخ من الجزائر. وبدأ الجميع فى المسير نحو الجزائر، وبعد أن قطعوا نصف فرسخ من الطريق، قَدِم أكثر من مائة شخص من قوة العسكر من الجزائر ومن القرى المجاورة وحملوا من لم يستطع المشى على الأقدام على خيول قوية ومن خلفهم النساء اللاتى طردن من إسبانيا وبعد مرور يومين أو ثلاثة ختنوهم، و اعترف أنه كان هناك رجلان من الجزائر يمسكان بالرجل من ذراعيه ودون أن يتفوهوا بكلمة كانوا يجعلونه يخلع سرواله ويختنوه. وأنه لا يعرف ما حدث مع القسيس أو رجل الدين، فعندما كانا يلعبان الورق اعترف إليه بأنه يشق عليه وجوده هناك وأنهم قاموا بختانه.

قال يبدو له أن ذلك الاعتراف قد حدث بعد شهرين أو ثلاثة من الختان، لأن بعض المسلمين الغرناطيين ممن كانوا يصنعون المقاعد، ولا يعرف أسماءهم، قالوا له إنه كان يوجد رجل دين مسيحى أسير اعترفوا له بخطاياهم وإذا ما أراد الاعتراف فسيتصل بعضهم ببعض بما أنهم مسيحيون وسيكونون هناك بالقرب منه عندما يعترف.

طُلب منه أن يعترف بالوقت الذى قضاه فى الجزائر بين اعترافه وبين خروجه منها . وما هو المكان الذى رحل منه وفى أى إقليم ؟ قال إن نفس رجل الدين الذى اعترف

أمامه نصحه إن كان يعرف العربية أن يذهب إلى وهران ويتجه من هناك إلى إسبانيا، و إلا فليصحب بعض الموريسكيين الأراغونيين القباطنة الذين يخرجون فى السفن الكبيرة للسرقة ولأمور أخرى. وهكذا سنحت له الفرصة والتحق بسفينة قبطان من موريسكيي أراغون وقطالونيا وألقى بنفسه فى الماء وذهب إلى هذه القرية ، ومن هناك ذهب إلى سرقسطة حيث ظل مريضًا فى المستشفى واعترف للقسيس بخطاياه قبل دخوله إليها. ومن هناك ذهب إلى فرنسا، إلى سان خوان دى لوث، بحثًا عن والده وإخوته، و علم كيف أن البعض قد مات وأن الباقين قدموا إلى إسبانيا، و من هناك ذهب إلى أبنيون بفرنسا حيث اعترف بخطاياه للقسيس.

سئل بأن يذكر من الذى نصحه بالذهاب إلى أبنيون بفرنسا وأخبره أن هناك من يمكنه أن يغفرله مثل هذه الأمور.

قال إنه هو الذى اقترح على نفسه الذهاب إلى روما للاعتراف بخطاياه، وعند مروره بأبنيون تقابل مع اثنين من رجال الدين الفرنسيين قبل أن يصل إلى المدينة وقال لهما إنه متوجه إلى روما لأنه اقترف بعض الخطايا التى لم يعترف بها على الوجه الأكمل، فأجاباه أن هناك أسقفًا وقاصداً رسوليًا يستطيعان غفران خطاياه التى لم يعترف بها ، وأعطياه عباءة للدخول عليهما وظل هناك بعض الأيام وذهب لرؤية الأسقف والقاصد الرسولى ولم يفهما منه أى كلمة ، وهكذا أرسلاه إلى الرهبان عسى أن يكون بينهم من يفهم لغته وأرسله هؤلاء إلى راهب بتريانى (؟) [هكذا] كان قد مكث فى طليطلة ثلاثة عشر عامًا وقام هذا الراهب بأخذ اعترافه وغفر له، ومن هناك اتجه إلى فرنسا وتقدم نحو بيربنيان (Perpiñan) و خيرونا (Girona) ومن طريق قريب من سرقسطة، قَدِم على فالنسيا وأليكانتى وإلباتيرا (Elbatera) حيث عمل مع جزار وتعلم المهنة ، وأن ما قاله واعترف به حقيقى... (يطلب ممثل الادعاء حينئذ أن يمثل السيد بيرناردينو ميدرانو (Bernardino Medrano) من سكان المدينة والذى كان مأسوراً فى الجزائر، أمام المحكمة ويُسأل عن حقيقية أنهم يُكرهون الموريسكيين الذين يصلون إلى المدينة على الختان واعتناق الدين الإسلامى وارتداء ملابس المسلمين).

فى محكمة التفتيش بمدينة كوينكا، فى العاشر من شهر يناير من عام ألف وستمائة وأربعة وثلاثين، أمر قاضى محكمة التفتيش ، السيد سيستيان دى فريناس المتواجد فى جلسة الحكم الصباحية والذى حضر بمفرده، بدخول رجلٍ قال بعد أن قُبلت منه اليمين القانونية وتعهد فيها أن يقول الحقيقة ويكتم السر أنه يدعى : السيد برناردينو دى ميدرانو، شريف من سكان ومواليد هذه المدينة ويبلغ من العمر زهاء سبعة وأربعين عامًا.

سُئِل أن يبين إذا كان رأى فى الوقت الذى كان فيه أسيرًا فى الجزائر أن المسلمين يختتون بعض الناس ممن ذهبوا من هنا دون أن يطلبوا منهم ذلك كى يحولوهم مسلمين أو يكرهوهم على اعتناق مظاهر ودين المسلمين.

قال إنه خلال الوقت الذى تم فيه طرد المسلمين من إسبانيا كان هو أسيرًا بمدينة الجزائر واستمر أسره ثلاث سنوات وشهرين ، ورأى بعينيه عسكر الضبطية (Adabajies) يتجولون فى الشوارع العامة وعندما يعثرون على أى موريسكى إسبانى غير مختتن كانوا يأخذونه ويزجُّون به بالقوة فى أول فناء يقابلهم ويفحصونه، فإن لم يكن مختونًا ختنوه وإن كان ذلك رغمًا عنه، و لقد مات الكثيرون من آلام الختان ، وهناك جمع غفير اشتكى إلى الأسرى ورجال الدين المسيحيين أنهم قاموا بختنهم ضد إرادتهم لأنهم مسيحيون كاثوليك ، ولم يتمكنوا من قول ذلك على الملأ أمام المسلمين بل إلى المسيحيين ممن يثقون بهم ، وكان هذا الختان يتم بعد إعلانات رسمية تصدرها السلطة القضائية حتى يتم ختان جميع الموريسكيين رضوا أم لم يرضوا.

و هذا الشاهد على علم بأن جميع موريسكيى مملكة فالنسيا مختونين، والنصف من موريسكيى مملكة أراغون كذلك، ولا يوجد مختون واحد بين موريسكيى مملكة أندلوثيا ومملكة قشتالة وفقًا للرأى السائد بين الأسرى ورجال الدين الذين كانوا على صلة بهم. ويعلم هذا الشاهد أن الراهب برناردو دى مونروى، من جماعة الثالوث، والقائم العام بفك الأسرى، كان معه رسالة بابوية من قداسة البابا للغفران لجميع الموريسكيين الكاثوليك الذين اختتنوا ، وأنه رأى بعينيه الموريسكيين الإسبان وهم يذهبون للاعتراف بخطاياهم أمام الراهب مونروى الذى أعطاهم الأسرار المقدسة.

سُئل إذا ما كان يعرف خلال الوقت الذى مكثه فى الجزائر هل يسمح المسلمون للمسيحيين الذين يعيشون معهم بدخول مساجدهم.

قال: عندما كانوا يدخلون المساجد لإقامة الصلاة لا يسمحون بأى شكل أن يدخل المسيحيون ولا حتى نساؤهم هم. وعندما لا يكونون فى جماعاتهم، عادة ما يسمح خادم المسجد بدخول مسيحى على وجه السرعة ليرى المسجد دون أن يتأنَّى فى ذلك ، وعندما يكونون فى الصلاة ووعظ القرآن فإن هناك حراساً على الأبواب لمنع المسيحيين ونساء المسلمين من الدخول إليها.

سئل هل لباس المسيحيين هناك مثل لباس المسلمين أم أنه مختلف؟ وهل يسمحون للمسيحيين بارتداء ملابسهم وهل يُكرهون أم يُقنعون الأسرى بالدخول إلى الإسلام؟

قال إن الأسرى الكاثوليك المسيحيين يستجيبون لكل نوع من اللباس التركى حتى عدم لبس قلنسوة ملونة بل داكنة، ولا يتركونهم يلبسون لباسا إسبانياً وينزعونه ويلبسونهم زى العبيد، وهو سراويل من الكتان الأبيض والأزرق تصل إلى قصبة الرجل، وهم حفاة الأقدام، وثياب من الصوف الداكن من أعلى إلى نصف الفخذ ، وعندما يكون الأسرى غلماناً أو نساء يجتهد المسلمون فى أن يلبسوا على شاكلتهم ويقنعوهم بدينهم ، بل ويكرهونهم أن يقبلوه بالسجن والضرب ووسائل أخرى، لكنهم لا يقنعون الرجال بترك دينهم ولا أن يلبسوا لباسهم.

سُئل إذا كان يوجد فى هذه المدينة أو بالقرب منها شخص آخر عنده معلومات عن الأشياء التى أوضحها.

قال إنه لا يعلم بأن هناك شخصًا يمكنه الإخبار بذلك إلا خادمًا له يُدعى فرنثيسكو أورتادو (Francisco Urtado) الذى ذهب منذ أربع سنوات ولا يعلم أين هو وهل هو ميت أم حى ، وأن كل ما قاله هو الحقيقة التى تعهد بها فى يمينه...

بعد هذا البيان من السيد بيرناردينو دى ميدرانو "يبدو لى أنه يُقدم شيئًا فى صالح المتهم عندما تكلم عن الختان القهرى، على الرغم من أن هذا شاهد وحيد ولا يقوم به دليل تام على أية حال. خاصة فى أمر بعيد الاحتمال، كما قمت بإيضاحه، على الرغم من أنه من الممكن أنهم، كأُناس متوحشين، كانوا مقتنعين بأنه من كان من نسل المسلمين أو معلومًا عنه أنه كان مسلمًا فيجوز ختانه بالقوة..." (على الرغم من ذلك، يقول ممثل الادعاء، بما أنه شاهد واحد فقط، يعتبر المتهم مشكوكًا فيه ويجب أن يقع تحت طائلة التعذيب. ومع ذلك، تم التصويت، و يعتبر القاضى أن دييغو دياث برىء ويجب أن يطلق سراحه، لكن بعد توبيخ قاس وتوبة على الملأ لأنه ترك نفسه يُختتن).

المصادر والمراجع

Alcántara Godoy, José, *Historia de los falsos cronicones*, Madrid, 1868.

Altisent, A., "conversión de un sarraceno aragonés (1449)", *Al-Andalus*, XXXI, 1966, pp.373-376.

Amor Calzas, Juan Julio, *Curiosidades históricas de la ciudad de Huete (Cuenca),* Madrid, 1904.

Aranda Doncel, Juan, "Potencial económico de la población morisca en Granada", *Boletín de la Real Academia de Ciencias*, Bellas Letras y Nobles Artes de Córdoba, 92, 1972, pp. 127-152.

___ , "Contribución al estudio de los moriscos en Córdoba" *III Anales de Instituto Nacional de Bachillerato* "Luis de Góngora", Córdoba, 1972, pp. 69-78.

Arie, Rachel, "acerca del traje musulmán en España desde la caída de Granada hasta la expulsión de los moriscos", *Revista del instituto de estudios islámicos*, 13, 1965, pp. 103-117.

___ , "Les études sur les morisques en Espagne á la lumiére de travaux recénts", *Revue des Etudes Islamiques*, 1967, páginas 225-229.

___ , "Remarques sur l'alimentation des msulmans d'Espagne au tours du bas Moyen Age", *Cuadernos de Estudios Medievales*, 1974. -1975,pp. 299-312.

Asín palacios, Miguel, "Un tratado morisco de la polémica contra los judíos", *Mélanges Hartwig Derembourg*, parís, 190, páginas 343-366.

Aznar Cardona, Pedro, *Expulsión justificada de los moriscos españoles y suma de las excelencias chiristianas de nuestro Rey Don Felipe Tercero desde nombre*, Huesca, 1612.

Bataillon, Macel, *Erasmo y España*, México, 1967.

___ , "Les nouveaux-chrétiens de Ségovie en 1610", *Bulletin Hispanique*, LVIII, 1956, pp. 208-231.

Benassar, Bartolomé, *Valladolid, au siécle d'Or*, París, 1967.

Bermudez de Pedraza, Francisco, *Antigüedad, y excelencias de Granada*, Madrid, 1608.

___ , *Historia eclesiástica de la ciudad de Granada*, Granada, 162

Bernúldez, Andrés: *Historia de los Reyes Católicos escrita por el bachiller que fue cura de la villa de los palacios y capellán de D. Diego de Deza, arzobispo de Sevilla*, Biblioteca de autores Españoles. t. LXX, Madrid, 1953.

Bernis, Carmen, "Modas moriscas en la sociedad cristiana española del siglo Xv y principios del siglo XVI", *BRAH*, 144, 1959, páginas 199-228.

Blázquez, Antonio, *La Mancha en tiempo de Cervantes*, Madrid, 1905.

Bleda, Jaime, *Crónica de los moros de España*, Valencia, 1618.

Boronat y Borrachina, *Los moriscos españoles y su expulsión*, Valencia, 1901.

Bosch Vila, Jacinto, "Dos nuevos manuscritos y papeles sueltos de moriscos aragoneses", *Al-Andalus*. XXII, 1957, páginas 463-470.

Braudel, Fernand, La *méditerranée et le monde méditerranéen á l'époque de Felipe II,* París 2. ed., 1966. (hay trad. Castellana, F. C. E., México, 1976.)

___ ,"Conflicts et refus de civilisation; espagnols et morisques au XVI siécle", *Arnales ESC*, 1947, pp.397-410.

___ , "Les espagnols et l'Afrique du nurd de 1492 á 1557", *Revue Africaine*, XLIX, Argel, 1928, pp. 184-233 y 351-428.

Cabanelas Rodríguez, Darío, "Cartas del morisco granadino Miguel de Luna", *HEAH*, XIV-XV, 1965-1966, pp.31-47.

___ , *El morisco granadino Alonso del Castillo*, Granada, 1965.

___ , "El morisco granadino Alonso del Castillo, Intérprete de Felipe II", *HEAH*, v, 1956, pp. 19-42.

___ , "Proyecto de alianza entre sultanes de Marruecos y Turquía contra Felipe II", *HEAH*, VI, 1957, pp.57-75.

Caballero, Fermín, *Elogio del doctor Alonso Díaz de Montalvo*, Madrid, 1870.

Cabezudo Astrain, José, "Noticias y documentos sobre moriscos aragoneses", *HEAH*, XIV, 1965, pp. 105-118.

___ , "Los conversos aragoneses" *Sefarad*, 18, 1958, pp. 272-282.

Cabrera de Córdoba, Luis, *Relaciones de las cosas sucedidas en España, desde 1599 hasta 1614*, Madrid, 1857.

Cabrillana, Nicolás, "Almería en el siglo XVI: moriscos encomendados", *RABM*, LXXVIII, 1,1975, pp. 41 -68.

___ , "Esclavos moriscos en Almería del siglo XVI", *Al-Andalus*, XI, 1975, pp. 53-128.

Cagigas, Isidro de las, "problemas de minoría y caso de nuestro medioevo", *Hispaña*, X, 1950, pp. 506-538.

___ , *Los mudéjares*, Madrid, 1848-1849.

___ , "una carta aljamiada granadina", *Arábia*, I, 1954.

Cantineau, Jean: "Leerte du Moufti d'Oran aux musulmans d'Andalousie", *Journal Asiatique*, 210, 1927, pp.1-17.

Cardalliac, Denise, *La polémique anti-chrétienne du manuscrit*, n. 4944 dc. la Bibliothéque Nationale de Madrid, tesis doctoral ciclostilada, Montpellier, 1972.

Cardalliac, Louis, *Le passage des morisques en Languedoc*, tesis doctoral ciclostilada, Montpllier, 1970.

___ , *Morisques et chétiens. un affrontment polémique (1492- 1640)*, París, 1977.

___ , "Morisques et protestants", *Al-Andalus*, XXXVI, 1971, páginas 29-63.

___ , "Morisques et turcs au xviéme siécle en Espagne", *Actes du I Cogres Internacional d'Historie du Magreb*, Túnez, 1974.

___ , "Morisques en provence", Les *Langues Romanes*, LXXIX, Mntpellier, 1971, pp. 297-316.

___ , "Le passage des morisques en Languedoc", *Annales du mid* 83, Toulouse, pp. 259-298.

Carlé, Marí de Carmen, "Mercaderes en Castilla(1252-1512)" *Cuadernos de historia en España*, XXI-XXII, 1954, pp.146-328.

Caro Baroja, Julio, *Los moriscos del Reino de Granada, ensayo de historia social*, Madrid, 1957, 2.ed., Madrid, Istmo,1976.

___ , "Los moriscos aragoneses según un autor del siglo XVII"

___ , *Razas, pueblos y linajes*, Madrid, 1957, pp. 81-98.

Carrasco Urgoiti, Soledad, *El problema morisco en Aragón al comienzo del reino de Felipe II. Estudio y apéndices documentales*, valencia, 1969.

___ , *El moro de Granada en la literatura*, Madrid, 1956.

Cascales, Francisco, *Discwrsos históricos de la muy noble y muy leal ciudad de Mwrcia*, 1621.

Castillo, Alvaro, "La España morisca", *Hispaña*, XX, 1960, páginas 578-585.

___ , "Population" et "Richesse" en Castille durant la secunde moitié du XVI siécle", *Annales ESC*, 1956, pp. 719-733.

Catalina García, Juan, *La alcarria de los primeros siglos de su Reconquista*, Guadalajara, 1973.

Caxa de Leruela, Miguel, Restauración de la abundancia de España, 2. reimpresión, Madrid, 1732.

Cirac Estopañn, Sebastián, *Registro de los documentos de santo Oficio de Cuenca y Sigüenza*, Cuenca-Barcelona, 1965.

___ , *Los procesos de hechicería en la inquisición de Castilla la Nueva (tribunales de Toledo y Cuenca)*, Madrid, 1942.

Cirot, Georges, "la maurofilie littérairie en Espagne au xviéme siécle, *Bulletin Hispanique*, 1938-1944.

Codera, francisco, "Almacén de un librero morisco descubierto en Almonacid de la sierra", *BRAH*, V, 1948, pp.269-276.

Colonge, Chantal, "Reflect litteraire de la question morisque entre la guerre des Alpujarras et l'expulsion (1571-1610)", *Boletín de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, XXXIII, 1969-1970, pp. 137-243.

Corchado Soriano, Manuel, "La Mancha en el siglo XVI", *Hispaña*, 123, 1973, pp. 141-158.

Credilla, C., P., "Ceremonias de moros que hacen los moriscos", *RABM*, 1874, pp. 165-169.

Chaunu, Pierre, "Minorités et conjoncture. L'expulsion des morisques en 1609" *Revue Historique*, CCXXV, 1961.

___ , "Au centre de l'Empire espgnol: les paysans de la nouvelle-Castille á la fi du xviéme siécle, un modéle d'hitoire sociale", *Bolletín Hispanique*, 1965, pp. 78-90.

Danvila y Collado, Manuel, *La expulsión de los moriscos españoles*, Madrid, 1889.

___ , "Desarme de los moriscos en 1563", *BRAH*, X, 1887, 275-306.

___ , "Ajuar de una morisca de Teruel en 1538", *BRAH*, VI, 1885, páginas 140-146.

Defourneaux, Marcelin, La vie quotodienne en Espgne au siécle d'Or, París, 1964.

Deny, J., "Les pseudo-proféties concernant les turcs au xviéme siécle", *Revue des Etudes Islamiques*, X, 1936, pp. 201-220.

Dollfus, L., "Morisques et chrétiens de 1492 á 1570", *Revue d'Histoire des religions*, XX, 1889.

Domínguez Ortiz, Antonio, "Los "cristianos nuevos". Notas para el estudio de una clase social", *Boletín de la universidad de Granada*, XXI, 1949, pp. 249-297.

___ , "La esclavitud en Castillas durante la Edad Moderna", *Estudios de historia social de España,* II, 1952, pp. 369-428.

___ , "Algunos documentos sobre moriscos granadinos", *Estudios dedicados a Antonio Marín*, Granada, 1947.

___ , "Felipe IV y los moriscos" *HEAH*, VIII, 1959, pp.55-65.

___ , "Notas para una sociología de los moriscos españoles", HEAH, XI, 1962, pp. 39-54.

___ , El antiguo régimen: los Reyes Católicos y los Asturias, Madrid, 1973.

Dresendoerfer, Meter, *Islamunter derinquisition. Die morisco prozesse in Toledo*, 1575-1610, Wiesbaden,1971.

Echegaray Bonifacio, "¿Se establecieron los moriscos en el país vasco de Francia?", *Bolletin Hispanique*, XLVII, 1945, páginas 92-102.

Epalza, Miguel, "Moriscos y andalusíes en Túnez durante el siglo XVII", *Al-Andalus*, XXXIV, 1969, pp. 247-329.

___ , "Sobre un posible autor español del Evangelio de Bernabé", *Al-Andalus*, XXVIII, 1963, pp. 479-481.

___ , "Notes pour une historie des polémiques antichrétiennesdas l'Occident musulman", *Arabica*, XVIII. 1971, pp. 99-106.

___ , "Recherches récents sur les émigrations des "moriscos" en Tunisie" Cahiers de *Tunisie*, XVIII, 1970, pp. 139-147.

___ , *"La Tuhfa, autobiografra y polémica contra el cristianismo de Abdallah al-Taryuman (Fray Anselmo Tuermeda),* Roma, 1971.

___ , y Petit, Ramón, *Etudes sur le moriscos andalous en Tunisie*, Madrid, Túnez, 1974.

Escolano, Diego, *Memorial a la Reina N. S. Cerca de las muertes que en odio de la fe y Religión Cristiana dieron los moriscos revelados a los cristianos viejos (y algunos nuevos) residentes en las Alpuxarrasdesde Reyno de Granada en el levantamiento del año* 1568, Granada 1671.

Galmés de Fuentes, Álvaro, *El libro de las batallas (Narraciones caballerescas aljamiado-moriscas)*, Oviedo, 1967.

Gallego Burín, Antonio, y Gámir Sandoval, Alfonso, *Los moriscos del reino de Granada según el sínodo de Guadix de 1554, edición preparada por Darío Cabanelas,* Granada, 1968.

García-Arenal, Mercedes, "La aljama de moros de Cuenca en el siglo XV" *Historia*, Instituciones, Documentos,1977.

___ , "Los censos de moriscos de 1589 a 1594 establecidos por el tribunal de la Inquisición de Cuenca", *Hispaña*, 1978.

___ , "Dos documentos sobre los moros de Uclés en 1501", *Al-Andalus*, XLII, 1977, pp. 167-181.

___ , *Congrés Internacional d'Histoire du Magreb*, Túnez, 1974.

Garcúa Carcel, R., y Ciscar Pallarés, E., *Moriscos y agermanats*, Valencia, 1974.

___ , "La revuelta morisca de Espadán", *Al-Andalus*, XLI, 1976, paginas 121-146.

García Carcel, R.,*Orígenes de la inquisición española. El tribunal de Valencia*, 1478-1530, Barcelona, 1976.

García Martínez Sebastián, "Bandolerismo, Piratería y control de moriscos en Valencia durante el reinado de Felipe II", *Etudes*, I, 1972-1973, pp. 85-167.

Garrad, K., "The original memorial of Don Francisco Nuñez Muley", *Atlante*, II, 1954, pp.168-226.

___ , "La renta de los habices de los mezquinos de las Alpujarras y valle de Lecrin. Algunos datos sobre su administración a mediados del siglo XVI", *HEAH*, II, 1956, pp. 41-48.

"la inquisición y los moriscos granadinos", *Bolletin Hispanique*, LXVII, 1965, pp. 63-77.

___ , "La industria sedera granadina en el siglo XVI y en conexión con el levantamiento de las Alpujarras", *HEAH*, V, 1956, páginas 73-104.

Garrido Atienza, Miguel, "Los moriscos granadinos. Agüeros, hechizos, encantamientos y otros maleficios", *La Alhambra*, II, 1899, pp. 349-350.

___ , *Las capitulaciones para la entrega de Granada*, Granada, 1910.

___ ,"Zambra", *La Alhambra*, II, 1899.

González de Cellorigo, Martín, "Memorial al Rey sobre asesinatos e irreverencias contra la religión cristiana cometidos por los moriscos", *Memorial de la política necesaria y útil restauración a la República de España*, Valladolid, 1600.

González Palencia, ángel, "Un curandero morisco del siglo XVI, y las fuentes de la comedia "Quien mal anda, mal acaba" de Juan Ruiz de Alarcón" *BRAE*, XVI, 1929, pp. 199-222, y XVII, 1930, pp. 247-274.

___ , *Historia de la literatura arábigo-español*, Barcelona, 1945.

___ ,"Noticias y extractos de algunos manuscritos árabes y aljamiados de Toledo y Madrid", *Miscelánea de estudios y textos árabes*, 1915, pp. 117-145.

___ , *Moros y cristianos en la España Medieval*, Madrid, 1945.

___ , "Cervantes y los moriscos", *BRAE*, XXII, 1947-1948, páginas 107-122.

Guadalajara y Javier, Marcos, *Memorable expulsión y justísimo detierro de los moriscos de España*, Pamplona, 1613.

___ , *Prodición y destierro de los moriscos de Castilla hasta el valle de Ricote con las disensiones de los hermanos Xarifes y presa en Berbería de la fuerza y puerto de Alarache*, Pamplona, 1614.

Gounon-Loubens, M. J., Essais sur l'administration de la castille au Xviéme siécle, París, 1860.

[illegible]do, Diego, *Topografía, e historia general de Argel*, Madrid, 1927.

Halperin Donghi, Tulio, "Un conflicto nacional: moriscos y cristianos viejos en Valencia", *Cuadernos de Historia de España*, XXII-XXIV, 1955, pp. 5-115, XXV-XXVI, 1957, pp. 83-250.

___ , "Recouvrements de civilisation: les morisques du royaume de Valence au Xviéme siécle", *Annales*, ESC, XI, 1956, páginas 154-182.

Harvey, L. P., Crypto-Islam en sixteenth century Spain", Primer Congreso de Estudios árabes e Islámicos (Córdoba, 1962) Madrid, 1964, pp. 163-178.

___ , "El mancebo de Arévalo de y la tradición cultural de los moriscos", *Actas del primer coloquio sobre literatura aljamiado-morisca* (1972), Madrid, 1973.

___ , "A morisco manuscript of the Godolphim collection at wadham College, Oxford", *Al-Andalus*, XXIII, 1962, pp. 461-465.

___ , "Un manuscrito aljamiado en la biblioteca de l universidad de Cambridge", *Al-Andalus*, XXIII, 1958, pp. 49-74.

___ , "The moriscos wh was Muley Zaidan's spanish interpreter: Ahmad ben Qasim Ibn al Faquih Qasim Ibn al Shaikh al hajari al-Andalusi" *MEAH*, VIII, 1959, pp. 67-97.

___ , "Aljamiado", art. de la *EncicIclopédie de l'Islam.*

___ , "The Arabic dialect of Valencia in 1595", *Al-Andalus*, XXXVI, 1971, pp. 81-117.

___ , *The literary culture of the moriscos (1492-1609). A study based on the extant mss. in Arabic Aljamia*, Oxford, 1958.

___ , "A morisco reader of jean Lemaire des Belges", *Al-Andalus*, XXVIII, 1963, pp. 231-236.

___ , "Yuse Banegas, un moro noble en Granada bajo Los Reyes Católicos", *Al-Andalus*, XXI,1956, pp. 297-302.

Herrero García, M., Ideas de los españoles del siglo XVII, Madrid, 1926.

Hess, Andrew, "The moriscos. An ottoman fifth colum in sixteenth century Spain", *The American historical review*, LXXIV, 1968-1969, pp. 1-25.

Hinojosa, E., "Mezquinos y exáricos. Datos para la historia de la servidumbre en Navarra y Aragón", *Homenaje a Codera*, Madrid, 1904.

Hurtado de Mendoza, Diego, *Guerra de Granada hecha por el rey de España don Felipe II contra los moriscos de aquel reino, sus rebeldes*, Biblioteca de Autores Españoles, t. XXI páginas 65-122.

___ , *De la guerra de Granada*, ed. Crítica de Manuel Gómez Moreno, Memorial Histórico Español, LXIX, Madrid, 1948.

Ibarra, Eduardo, "Cristianos y moros. Documentos aragoneses y navarros", *Homenaje a Codera*, Zaragoza, 1904, pp. 79-92.

Janer, Florencio, Condición social de los moriscos en España, causas de su expulsiôn y consecuencias que ésta produjo en el orden político y económico, Madrid, 1857.

Jessen, Otto, "La Mancha. Contribución al estudio geográfico de Castilla la Nueva", *Estudios geográficos*, VII, 1946, páginas 269-312 y 479-524.

Jouin, Jeanne, "Documents sur le costume des musulmans d'Espagne", *Revue Africaine*, 1934, véanse pp. 43-46 (moriscos).

Kamen, Henry, *La inquisición española*, Barcelona, 1967.

Ladero Quesada, Miguel Ángel, *Los mudéjares de Castilla en tiempos de Isabel I,* Valladolid, 1969.

___ , *La hacienda real en Castilla en el siglo* XV, La Laguna, 1973.

___ , *Granada, historia de un país islámico* (1232-1571),Madrid, 1969.

___ , "Datos demográficos sobre los musulmanes de Granada y Castilla en el siglo XV", *Anuario de estudios medievales*, VIII.

___ , "Algunos datos para la historia económica de las Ordenes Militares de Santiago y Calatrava en el siglo XV", *Hispaña*, XXX, 1970, pp. 637-662.

Lapeyre, Henri, *Géographie de l'Espagne morisque*, París, 1959.

Le Flem, Jean Paul, "Les morisques du nord-quest de l'Espagne de 1594, d'aprés un recensement de l'Inquisition de Valladolid", *Mélanges de la casa de Velázquez, I,* 1967, pp. 223-245.

___ , "Un censo de moriscos en Segovia y su provincia", *Estudios segovianos*, XVI, 1964, pp. 433-464.

Lea, Henry Charles, *The moriscos of Spain*; their conversión and expulsión, Nueva Cork, 1968 (1. ed., Londres, 1901).

___ , *A History of the inquisition of Spain*, Nueva York-Londres, 1907.

___ , "The decadence of Spain", *Atlantic*, Monthly, LXXXII.

Longás, Pedro, *Vida religiosa de los moriscos*, Madrid, 1915.

___ , "Un documento sobre los mudéjares de Nuez (Zaragoza) en el siglo XV", *Al-Andalus*, XXVIII, 1963, pp. 431-443.

López, Mateo, *Memorias históricas de Cuenca y su obispado*, edición de Ángel González Palencia, Madrid, 1949.

Loupias, Bernard, "La practique secréte de l'Islam dans les évéchésde Cuenca et Sigüenza au XVi et XVII siécles", *Hesperis Tamuda*, 1965, pp. 115-132.

Llorente, Juan Antonio, *Historia crítica de la Inquisición, de España*, Barcelona, 1835.

Macho Ortega, Francisco, *Condición social de los mudéjares aragoneses (siglo XV),* Zaragoza, 1923.

___ , "Documentos relativos a la condición social y jurídica de los mudéjares aragoneses", *Revista de Ciencias Jurídicas y Sociales*, V, 1922, pp. 143-160 y 444-464.

Manzanares de Cirre, Manuela, "El otro mundo en la literatura aljamiado-morisca", *Hispanic Review*, XLI, 1973, pp. 599-608.

___ , "Nota sobre la aljamia", *Anuario de Estudios Medievales*, V, 1958, pp. 479-483.

___ , "Textos aljamiados. Poesía religiosa morisca" *Bolletin Hispanique*, LXXII, 1970, pp. 325-372.

___ , "Dos manuscritos aljamiados inéditos", *Modern Philology*, 62, 1964-1965, pp. 130-136.

Mármol Carvajal, Luis, *Historia del rebelión y castigos de los moriscos del reino de Granada*, Madrid, 1797, reed, Biblioteca de Autores Espaóoles, XXI, Madrid, 1946.

Martínez Ruiz, Juan, *Inventarios de los bienes moriscos del reino de Granada (siglo XVI)* Madrid, 1972.

___ , "Escritura bilingüe en el reino de Granada (siglo XVI) según documentos inéditos del Archivo de la Alhambra", *Actas del Primer Congreso Internacional de Hispanistas*, Oxford, 1964, pp. 371-374.

___ , "Notas sobre el refinado del azúcar de caña entre los moriscos granadinos", *RDTP*, XX, 1964, pp. 271-288.

___ , "Léxico de origen árabe en documentos granadinos del siglo XVI", Revista de *Filología Española*, XLVIII, 1965, páginas 121-133.

___ , "La indumentaria de los moriscos según Pérez de Hita y los documentos de la Alhambra", *Cuadernos de la Alhambra*, III, 1967, pp. 55-124.

___ , "Almohadas y calzados moriscos. Secuestros de los bienes en Mondéjar y Granada, 1557-1569", *RDTP*, XXIII, 1967, páginas, 289-313.

___ , "Un nuevo texto aljamiado: el recetario de sahumerios en uno de los manuscritos árabes de Ocaña", *RDTP*, XXX, 1974, páginas 3-19.

Mártir Rizo, Juan Pablo, *Historia de la muy noble y leal ciudad de Cuenca*, Madrid, 1629.

Millán Vallicrosa, José María, "Contratos de judíos y moriscos del reino de Navarra", *Anuario de la Historia del Derecho Español*, X, 1933, pp. 273-286.

___ , "Un amuleto musulmán de origen aragonés", *Al-Andalus*, VI, 1941, pp. 317-326.

Minguella, Toribio, *Historia de la diócesis de Sigüenza*, Madrid, 1913.

Mohamed Abd-el-Jalil, Juan, "El Islam ante la Virgen María", *Arbor*, 65, 1951, pp. 1-27.

Monroe, James T., "A curious morisco appeal to the ottoman empire", *Al-Andalus*, XXXI, 1966, pp. 281-303.

Muñoz Soliva, Trifón, *Historia de la muy N. L. e I. ciudad de Cuenca y del territorio de su provincia y obispado desde los tiempos primitivos hasta la edad presente*, Cuenca, 1866.

Nadal Oller, J., *La población española de los siglos XVI al XX*, Barcelona, 1973.

___ , "La revolución de los precios españoles en el siglo XVI", *Hispaña*, XIX, 1959, pp. 503-529.

Pérez de Hita, Ginés, *Guerras Civiles de Granada*, Cuenca, 1619, edición de P. Blanchard-Demonge, Madrid, 1913. La segunda parte, en Biblioteca de Autores Españoles, III.

Pinta Llorente, Miguel de la, *La Inquisición española y los problemas de la cultura y la intolerancia*, Madrid, 1953.ß

Pons Boigues, Francisco, "La inquisición y los moriscos de Valencia", *El Archivo*, II, 1887-1888, pp. 251-258 y 309-314.

Ponsot, Pierre, "Les morisques, la culture irreguée du blé et le probléme de la décadence de l'agriculture espagnole au xviiéme siécle", *Mélanges de la casa de Velázquez*, VII, 1971, paginas 237-262.

Pruneda, Pedro, " Crónica de la provincia de Cuenca", *Crónica general de España*, t. IV, Madrid, 1869.

Reglá, Joan, "La cuestión morisca y la coyuntura internacional en tiempos de Felipe II", *Estudios de Historia Moderna*, III, 1953, pp. 217-234.

___ , "La expulsión de los moriscos y sus consecuencias. Contribución a su estudio", *Ispahán*, 1953, pp. 215-267 y 447-461.

___ , "Los moriscos: estado de la cuestión y nuevas aportaciones documentales", *Saitabi*, X, 1960, pp. 106 ss.

___ , *Estudios sobre los moriscos*, Valencia, 1964; nueva ed., Barcelona, 1974.

___ , "Valéncia i els moriscos de Granada", *I Congreso de Historia del País Valenciano*, abril 1971,Valencia, 1973.

___ , *Relaciones del obispado de Cuenca hechas por orden de Felipe* II, ed. p. Zarco, Cuenca, 1927.

"Relaciones topográficas de los pueblos que pertenecen hoy a la provincia de Guadalajara", ed., J. Catalina García y Pérez Villamil, *Memorial histórico español*, tt. XLI al XLVII, Madrid, 1905-1915.

___ , *Relaciones histórico-geográfico-estad?sticas de los pueblos de España hechas por iniciativa de Felipe II. Provincias de Toledo y ciudad Real*, ed. Viías Mey y Paz, Madrid, 1971.

Ribera, Julián, "Supersticiones moriscas" *Disertaciones y opúsculos*, I, Madrid, 1928, pp. 493-527.

___ , "Vida religiosa de los moriscos", *BRAH*, 1918.

___ , y Asín Palacios, Miguel, *Manuscritos árabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta*, Madrid, 1912.

Ron de la Bastida, C., "Manuscritos árabes en la Inquisición granadina", *Al-Andalus*, XXIII, 1958, pp. 210-211.

Ruiz Almansa, Javier, "La población de España en el siglo XVI", *Revista Internacional de Sociología*, I, 1947, pp. 115-136.

Ruiz Martín, Felipe, "Movimientos demográficos y económicos en el reino de Granada durante la segunda mitad del siglo XVI", *Anuario de Historia Económica y Social*, I, 1968, páginas 127 ss.

Salomon, Noël, *La campagne de Nouvelle Castille á la fin du XVI", Siécle d'aprés les "Relaciones topográficas"*, París, 1964.

Temimi, A., "Une lettre des morisques de Grenade au Sultan suleiman al-Kanuni en 1541", *Revue d'Histoire Maghrebine*, III, 1975, pp. 100-105.

Torres Fontes, Juan, "Estampas de la vida en Murcia en el reinado de los Reyes Católicos", *Murgetana*, XV, 1961, páginas 17-94.

___ , "La conquista del marquesado de Villena en el reinado de los Reyes Católicos", *Hispaña*, XIII, 1953, pp. 37-152.

___ , *El Señorío de Albanilla*, Murcia, 1962.

___ , "Moros, judíos y conversos en la regencia de don Fernando de Antequera", *Cuadernos de Historia de España*, XXXI-XXXII, 196 pp. 60-97.

___ , "Los mudéjares murcianos en el siglo XIII", *Murgetana*, XVII, 1961, pp. 57-90.

___ , "El alcalde mayor de las aljamas de moros en Castilla", *Anuario de Historia del Derecho Español*, 1962, pp. 131-182.

Torres MENA, *Noticias conqueneses*, Madrid, 1878.

Ubieto Arteta, "Proceso de la Inquisición de Aragón", *RABM*, LXVII, 1959, pp. 549-559.

Valencia, Pedro de, "Tratado cerca de los moriscos de España", *BNM*, ms, 8888.

Vicent, Bernard, "L'expulsión des morisques du royaume de Grenade et Leur reprtition en Castille", *Mélanges de la casa de Velázquez*, VI, 1970, pp. 210-246.

___ , "L'Albaicin de Grenade au xviéme siécle", *Mélanges de la casa de Velázquez*, VII, 1970, pp. 187-222.

___ , "Combien de morisques ont été expulsés du royaume de Grenade?, *Mélanges de la casa de Velázquez*, VIII, 1971, páginas 397-399.

___ , "Les bandits morisques en Andalousie au vxiéme siécle", *Revue d'Hitoire Moderne et contemporaine*, XXI, 1974, páginas 389-400.

Viñas Mey, Carmelo, *Problema de la tierra en España en los siglos XVI y XVII*, Madrid, 1941.

Wagner, Klaus, "Un padrón desconocido de mudéjares de Sevilla y la expulsión de 1502", *Al-Andalus*, XXXVI, 1971, páginas 373-383.

المؤلفة فى سطور

مرثيديس غارثيا أرينال (مدريد ١٩٥٠)

- أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمى بإسبانيا ، ورئيسة قسم الدراسات العربية به لعدة دورات .
- من أبرز المتخصصين فى مجال الدراسات الموريسكية .
- لها العديد من الكتب والمقالات المنشورة فى إسبانيا وغيرها حول العلاقة بين المغرب وإسبانيا .
- أشرفت على العديد من رسائل الدكتوراه المقدمة إلى جامعة مدريد المركزية .

المترجم فى سطور

خالد محمد عباس

- حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة مدريد المركزية
- مدرس الأدب الإسبانى بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر .

المراجع فى سطور

جمال عبد الرحمن

- من مواليد ١٩٥٦ بقرية بنى مجد (أسيوط) .
- حاصل على درجة الإجازة العليا (الليسانس) فى اللغة الإسبانية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من كلية اللغات والترجمة (١٩٧٩) .
- الدراسات التمهيدية للدكتوراه فى جامعتى سلمنكا ومدريد .
- حاصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة مدريد المركزية (١٩٨٩) .
- فى عام ٢٠٠١ رقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة .
- له العديد من الكتب المترجمة والمقالات المنشورة فى مصر والخارج حول موضوعات مختلفة من الأدب الإسبانى والعلاقة بين الإسلام والثقافة الإسبانية .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

-١	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
-٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
-٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
-٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
-٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
-٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
-٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
-١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
-١١	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
-١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
-١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
-١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
-١٥	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
-١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
-١٧	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
-١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
-١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
-٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
-٢١	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
-٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
-٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
-٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
-٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
-٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
-٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
-٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
-٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
-٣٢	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
-٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
-٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
-٣٥	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
-٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أوناموتو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترواپا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديڤ روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	مجمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَثِ» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن أخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سبهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣١٣٩ س ٢٠٠٤